

كتاب

العقود الدرية

في

تاريخ المملكة السورية

تأليف

الياس ديب

طبع بالخط والمكافاة من مجلس المعارف
في دار السعادة العالية

حقوق طبع وثابة وترجمة راجعة للمؤلف

طبع بطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧٤

مقدمة

حمدا لمن جعل التاريخ مركز المعارف والحكم ومראה بها تنظر احوال الممالك
والامم العالم بالظاهر والمكنون والامر بما كان وما يكون احده حمداً تصويره
الفصاحة على دسر الافكار واهم لسرده ما توالي الليل والنهار اما بعد فاني اذ كنت
غريباً في سور مطالعة تواريخ الامم والتفكر بما بكل الممالك الم شعرت بحاسيات
مصدرها النواد تجبرني على اظهار فضل مورخي الا عصر والبلاد فتمت بيد الشكر
حسن فخرهم الجزيل وما تفضلوا به من الجميل بيد اني لما امتطيت ادم النجاج
غائراً وسط ميدان القدم والفلاح شعرت بما كاد يحوي سروري وفيه بات منهي
حبوري حيث شاهدت ان لكل مملكة تاريخاً به ذكر البلاد مع من تغلب
عليها وساد دون مملكتنا السورية اذ لم ار تاريخاً لها على الاطلاق سوى بعض
نبذات انت على غير اتفاق فاخذني من ذلك العجب وتطلعت على الدخول
في رياض المعارف والادب وتاملت في هذه البلاد وبينها ساد وحكم فرايتها اشهر
من نار على علم بحق للفلم ان يفخر بذكرها وللشاعر ان يتغزل بحسن تربتها ورياتها
اذ منها بزغت بسماء الفضل اقامت منوشة بجلى المعارف ونجوم متجلية بجلباب
اللطائف فبمثلها يشدو كل بارع اديب وعالم نجيب كيف لا وقد كانت ولم تنزل
من اشهر البلدان وذلك امر غني عن البرهان وما لنا سوى ان نسرّح النظر بما
وصلت اليه من الثروة والاقتدار بعصر يعد من اجمل الاعصار وهو عصر
المليك الاعظم والخاقان الافخم السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان

ادامه الله مدى الزمان بالعز والنصر والامان اخذتني الحماسة العربية واستفزتني
 النخوة الادبية لتأليف كتاب يحتوي على ترجمة بلدانها ونسطين تاريخ محصولاتها
 واعيانها مع ذكر من حكمها من الملوك العظام والامراء الفخام فكنت اسير تلك
 الحماسة العربية ملياً لها بسرعة كالية واخذت ابذل الكد والجهد وافرغ القوة والجهد
 مسرعاً بنوال المطلوب مربيّاً دمي امام منبر وطن محبوب واجتنبت كل تطويل
 حمل واختصار مخل فحجاء بحمد الله تعالى كتاباً حوى من الحوادث اشباهها ومن
 الامور التاريخية اوفاهها ولما تم على احسن منوال اهديته لذى المقام والكمال
 يتيمه الدهر وجوهرة العصر جامع شوارد المعارف والادب وفريد مؤرخي العجم
 والعرب مولاي مالك كل مكرمة بهية دولته افندم جودت باشا وزير المعارف
 السنية ادام الله اجلاله وعظم فضله وكماله وابلى دولته غاية القصد والارب
 والبسة ظل المعارف والادب وقد تطلعت على موائد مدحها واهتديت الى المعاني
 بنوعها ونفعها فقامت

قصيدة

ايا دعد اني لا ازال على العهد	معنى باشواق الصبابة والوجد
لقد سرت في قفر الغرام مولها	فلم اتق فيه من رشيد ولا مهدي
فها بالهوى الا سقام وحسرة	ونيران اعراض تزيد لدى الصدة
كفاك قتالي في هواك باسهم	تصيب قوادسي المستهام على بعد
فها لي مثل في الغرام وما لها	بمنظرها بين البرية من ندر
اذا نظر الداعي محاسن نهدها	بييت معنى من سنا ذلك النهر
فلو اسمعوا قيس الملوّح وصفها	لاعرض عن ليلي وضل عن العهد
ولو شامها العبي اصبح منشداً	اذا اكلمت ميتاً يقوم من اللحد
ففرع هو الليل البهيم ووجنة	بجدت عنها انها روضة الورد
وقد رمت ان ادنو اليها فشمها	اقامت عليها حارساً شعرها الجعدي

فكهنها تغنيك عن وصف ذكرها
ولما انجلت قلت الوصال فجاءت
وشاهدت شمساً للحسن حينما
وابدت هلالاً من جبين وانجما
فما جليت الا نطقت صباة
وما نطقت الا تساقط لؤلؤ
فما حاربت الا باسم مقلد
سمت في سماء الحسن واشهرت كما
وزبرته جلّت فنون معارف
فتاريخه المشهور يشهد انه
كريم اذا جار الزمان فانه
هو الجهيز المقدم فخر زمانه
واولاه ساطان البرية منصبا
كريم همم بالعلوم ممنطق
هو الفاضل المشهور ذوالحلم والندی
وقد بشرته بالسعادة همه
له شهرة تسمو السماك وصوله
وما علمت يبروث قدرك وحدها
علوت على الشعري مقاماً فاصبحت
سما للعلی السامي فاصبح فائما
لك الله من مولى جليل مجل
اذا بت اهديك المدى اسطر الثنا
فيا سيداً حاز المناخر كلها
ودمر بالهنا ما الیاس اصبح منشدا

عير ملاب اقرب الرند بالند
وصال الغواني دونه وافر الكد
نضت برفع الوجه الجبيل لدى الوفد
بصدروزهر الورد من روضة الخند
باحرف شوق ترجمت للورى ودي
به عيل صبري وانجلى حلية العند
وما راعني منها سوى اسم الند
ساجودت المنضال ذوالفخر والرشد
وقد بات صدراً للكارم والمجد
فريد وبالنار يخجل عن الند
يجود بما يدعو الزمان الى الحمد
امام المعالي والحمد والسعد
يو جمع الاكرام مع لغة الرغد
ومن صيته قد صار في الصين والهند
له سطوة ذات لها سطوة الاسد
تحل عسير الامر بالند والمجد
وخلق رقيق دونه نفحة الورد
ولكن مصر واليامة مع نجد
تميس بك الايام في حلل السعد
اذا ذكرت اوصافه عير الند
جلوت علوماً للانام بلا حد
فلست افي بعض المديح بما اهديه
تنازل وجد بالعبود عن زلة العبد
اباعدني لا ازال دلي العهد

سورية

ان سورية هي القسم السادس من ممالك الدولة العثمانية في اسياء الصغرى ويحدها شرقاً الفرات والبادية وغرباً البحر المتوسط وبحر الروم وشمالاً اسياء الصغرى وجنوباً جزء من بلاد العربية وهو برية طور سيناء الملقب الان بجبل موسى البالغ ارتفاعه عن مساواة سطح البحر نحو ٧٥٠ قدماً وقسمت قديماً الى قسمين وهما سورية وارض فلسطين غير انها عند خضوعها للرومان أطلق على كليهما اسم سورية ودعيت بهذا الاسم نسبة الى اشوريم حفيد ابراهيم عليه السلام غير ان بعضهم رأى انها انما دعيت بذلك لاشتقاقها من صور المدينة العظيمة وسميت ارام نسبة الى ارام بن سام حفيد نوح عليهما السلام وكانت قديماً ذات اتساع وافراذ وجد بها جملة اقاليم مختلفة الاسماء فمنها ارام يين النهرين اي الدجلة والفرات وارام معكا التي دعيت بهذا الاسم من معكا بن ناحور وارام زوبا ابي الجوفة وقسمها اخيراً القدماء المتأخرون الى ثلاثة اقسام الاول سورية انطاكية والثاني سورية حماه والثالث فينيقية لبنان وهي ما فيها دمشق ولبنان وتوابعها ثم انقسمت ايضاً الى قسمين وهما سورية الاولى وسورية الثانية فالاولى كانت عاصمتها انطاكية والثانية كانت قاعدتها افاميا. ولما افتتحها العرب المسلمون أطلق عليها اسم سام التي منهم من رأى انها دعيت كذلك نسبة الى سام بن حام ومنهم من ادعى انها انما لقبت بذلك لما فيها من كثرة البقع المشبهة بالشامات وقال ابو الفدا انما دعيت شاماً لان بعض الكنعانيين من سيلة سام بن حام قد نشأوا اليها

اي تياسر لانها عن يسار الكعبة واول من سكن فيها من الشعوب هو نسل حام
غير انه بعد زمان طويل طرد بنو اسرائيل الكنعانيين من فلسطين فهاجر هؤلاء
ربوعهم واما اطلال سكان افريقيا واوربا وقد حكم سورية ملوك اشور وبابل
منذ سنة ٧٢٢ ق م الى سنة ٧٦٠ ثم خضعت للملك الفرس غير انه في سنة ٢٢٤
قبل المسيح دخل اليها اسكندر المكدوني الملقب بذي القرنين وبعد ان افتحها
قام ملكها داريوس قدمانوس اخر ملوك الفرس في البلاد المذكورة ثم بعد ان
توفي بنحو ١٢٠ سنة ق م بنحو ٢٢٢ سنة ظهر احد قواده سلوخيس نيقاتورس الاول
واقام ملكه في مادي وبابل وباقي الاقسام الشرقية ولما توفي في سنة ٢٧٩
ق م قام خلفائه الذين نسبت اليهم الدولة السلوقية وخلفه ولد انطيوخوس
الاول وحارب (بطولوماوس) (فيليدلفاروس) وخاب املة في اثارته الحرب على
فيله من دوسيبوس ودعي انطيوخوس الخالص لانقاذه شعبه من غزوات البربر
ولما توفي في سنة ٢٦٠ خلفه في السنة ذاتها ولده (انطيوخوس) الثاني الذي لقب
(بتهيوس) لانقاذه الشعب من الظلم الفاحش وقد اقترن بابنة (بطولوماوس)
ملك مصر بعد ان كمل الحرب التي كان افتحها والد وتوفي مسموما سنة ٢٤٧
ق م فخلفه (سلوخيس) الثاني الملقب (بكيانيكوس) الذي توفي سنة ٢٢٥ بعد
ان حارب وانتصر على ملوك (برطس) وخلف هذا ولد (سلوخيس) الثالث
الملقب بكبرنيوس الذي توفي مقتولا سنة ٢٢٢ وذلك في محاربه عصاة اسيا
الصغرى فخلفه ولده (انطيوخوس) الثالث الملقب بالكبير وكان شجاعا ولولا
سطوة الرومان واستعانة اعدائهم لتغلب على ساير اقسام اسيا الصغرى وعندما
كان سائرا لغزو احد المعابد توفي فخلفه ولده سلوخيس الرابع الملقب
بفيلوباटर الذي ظلم الاسرائيليين وانعم على وزيره (اليودوروس) بانعامات
وافرة غير ان هذا الوزير قتل في سنة ١٧٦ ق م وفي سنة ١٧٤ اتولى (انطيوخوس
الرابع ابن انطيوخوس) الثالث على عرش الملك المختلسه اليودوروس الذي
توفي باعجوبة عظيمة فهذا الملك كان مشهورا بالشجاعة فانه غلب انتصاره على

قسم عظيم من الديار المصرية اسر بطولماوس ملكها واضطهد الاسرائيليين
 اضطهاداً شديداً حتى انه منعهم عن ممارسة طقوسهم الدينية والزمهم ان يقدموا
 ضحيةً للاصنام وهو الذي اهلك السبعة الاخوة المكابيين مع اليعازر الشيخ غير
 ان ماثانياس ويهوذا المكابي انتصرا على عسكره فذهب بنفسه لمحاربتهم وبمسيره
 وقع عن جواده ميتاً وكان ذلك سنة ١٦٤ ق م وقد تحرر الاسرايليون بعد
 ذلك من العبودية تحت لواء المكابيين وبعد انطيوخوس ايفانوس قام
 ديمتريوس سوتروس الاول الذي نجح في محاربتهم الاسرائيليين فخلعه عن ملكه
 اسكندر الاول الملقب ببالوس الخارج عن دائرة النسل الملكي غير انه في سنة
 ١٤٤ ق م قام ديمتريوس نيقاتوروس بكر ديمتريوس سوتيروس وخلع اسكندر
 المذكور عن ملكه وطرده بمساعدة بطولوماوس ملك مصر وحارب ملوك
 برطس فانهزم من امامهم خوفاً ورهبةً ولما وقع بين ايديهم لم يعاملة ملكهم
 متريدانوس الا بجزيل المرحمة والرافة وزوجه بابتة رودريكا بعد ان طلق
 كلوبترا امراته القديمة وخلعه عن ملكه اسكندر الثاني ثم قام انطيوخوس
 السادس وهو ابن اسكندر الاول مدعيًا انه من نسل انطيوخوس تيوس
 (متريفونس) الخداع اقام ديمتريوس نيقاتوروس على عرش النجاش ملكاً دلي
 سورية مقام اسكندر الثاني وغب ان مضى زمن يسير قتله تريفونوس لاسباب
 وملك مقامه في سنة ١٤٠ ولما ضايقه في ميدان الحروب انطيوخوس السابع
 وكسرت جنوده قتل نفسه وكان ذلك سنة ١٢٢ اما انطيوخوس السابع وهو
 ابن ديمتريوس سوتيروس فتوفي في سنة ١٢٩ وطرده تريفونوس كما سبق الكلام
 واخضع الاسرائيليين وحارب ملوك برطس وقد اضطربت نيران الوحش بينه
 وبين ديمتريفس نيكاتوروس في سنة ١٢٠ فانتصر عليه ديمتريفس المذكور
 واستولى حيثن على صولجان الملك الى سنة ١٢٥ واذاك خلعه عن ملكه
 اسكندر الثاني الذي ادعى انه ابن اسكندر الاول وبمساعدة بطولماوس ملك
 مصر تولى الاسكندر المذكور تخت مملكة سورية وغب تملكه باربع سنوات افتتح

الحرب مع انطيوخوس بن دمتريكوس فانهم من امامه قامر اذ ذاك انطيوخوس الثامن بقتله وخلفه سلوخيس الخامس ابن دمتريكوس نيفاتوروس وكان اول زمن حكم هذا الملك سنة ١٢٤ ق م غير ان والدته كلوبترا قتلته واقامت مقامه اخاه انطيوخوس الثامن فكان ذلك فعلاً ردياً سطرته الاقلام في صنف التاريخ وكان ذلك موضوع رواية (كورناليه) الشاعر الفرنسي الشهير غير ان انطيوخوس الثامن التزم ان يقسم الملك بينه وبين اخيه انطيوخوس التاسع في سنة ١١٢ واما حاكبين الى سنة ٩٧ واذ ذاك توفي انطيوخوس الثامن فقام بعده سلوخيس السادس وهو بكر انطيوخوس الثامن وقد تولى سنة ٩٧ على سورية انطاكية وعمه انطيوخوس التاسع كان متولياً على سورية دمشق غير ان الملك سلوخيس السادس قد اكتسب اخيراً من عمه جميع اقسام المملكة السورية وحيث ظهر ابن عمه طالباً ناراً بيه فانهم سلوخيس من امامه الى بلاد بين النهرين حيثما هلك هناك وخلفه فيلبس بن انطيوخوس العاشر والحادي عشر والثاني عشر وتزل عن الملك ثم رجع اليه غير انه غلب برهة يسيرة خلعه شعبة عن ملكه واقام مقامه تيكرانوس ملك ارمينيا ثم قام انطيوخوس الحادي عشر مع اخيه فيلبس وملكاً بعده وفاة اخيهما سلوخيس السادس اذ اخذ ابناهما ولما جاريهما انطيوخوس العاشر فر انطيوخوس الحادي عشر هارباً وتوفي في فراره سنة ٩٠ ق م اما دمتريوس الثالث فانه ملك واخوه فيلبس سنة ٩٥ وحارب اخاه المذكور فانكسر امام اخيه حيث استغاث المذكور بملوك برطس واما انطيوخوس التاسع فهو ابن انطيوخوس السابع وقد تولى في سنة ٩٧ وذلك غلب وفاة اخيه وبعد حكم فيلبس واخيه دمتريوس الثالث سنة ٩٥ قام انطيوخوس العاشر في سنة ٩٤ وقد قبض على صولجان الملك من ذلك الحين الى ان خلعه عن حكمه ولدا انطيوخوس الثامن وبعد ان ته في انطيوخوس العاشر قامت امراته (سه له نه) وكان اول زمن حكمها سنة ٨٠ وانتهى سنة ٧٠ وقتل هذه الملكة تيكرانوس ملك تلقب اخيراً باسم ملك الملوك واكتسب فياروسيا

سنة ٨٢ وكان ملك على سورية سنة ٧٠ ولما توفي خلفه انطيوخوس الثالث عشر
الملقب بالاسيادي لمطالعة كتب المعارف والعلوم في اسيا الصغرى وطوى
زمنًا مديدًا مجردًا عن الملك الى ان ولأه في سنة ٦٩ ق م كيليكيوس وفي سنة ٦٤ ق
م حضر بومبايوس بامر الرومانين وحارب انطيوخوس الثالث عشر وبعد ان
كسر جنوده تولى وقبض على صولجان تخت الملكة السورية التي احيلت منذ
ذاك الحين الى اقليم روماني فيكون زمن ملك اليونانيين في سورية منذ سلوخيس
الاول الذي حكم بعد اسكندر ذي القرنين لآخر يوم من حكم انطيوخوس الثالث
عشر مائتين وثمانيا واربعين سنة وقد نجحت هذه الملكة نجاحًا باهرًا تحت حكم
الرومانين غير انه في سنة ٢٢ و ٤١ ق م هدم منها قسمًا وافرًا ملوك برطس
الذين انقرضوا في سنة ٢٢٦ ودُعوا ملوك الارساسيد وقد خلف هذه الدولة في
السنة المذكورة ملوك الساسانيين الاعجم واستقام حكم هذه الدولة ٤٢٦ سنة منذ قيام
ارتاكزرس الاول او يزديجار الى موت يزديجار الثالث وقد تلقبوا بالساسانيين
نسبة الى ساسان والد يزديجار فقد حكموا منذ سنة ٢٢٦ الى سنة ٦٥٢ اذ قتل
يزديجار الثالث وانقرضت هذه الدولة في السنة المذكورة وخلفها الخلفاء واولهم
الخليفة ابو بكر الصديق الذي كان ابتداء حكمه سنة ١١ للهجرة وسنة ٦٣٢ بعد
المسيح وخلفه حضرة عمر بن الخطاب في سنة ٦٣٤ م ثم حضرة عثمان بن عفان سنة
٦٤٤ م ثم حضرة علي بن ابي طالب سنة ٦٥٥ م ثم حضرة الحسن بن علي بن ابي
طالب سنة ٦٦١ وهؤلاء سمو الخلفاء الراشدين في مكة وخلفهم الخلفاء بنو امية
وقاعدة ملكهم كانت مدينة الشام واولهم معاوية بن ابي سفيان الذي حكم سنة
٦٦١ واخرهم مروان بن محمد بن مروان الذي حكم سنة ٧٤٤ م ثم خلفهم بنو
العباس وقاعدة ملكهم مدينة بغداد واولهم ابو العباس الملقب بالسفاح حكم سنة ٧٥٠
ب م ثم ابو جعفر المنصور سنة ٧٥٤ ثم المهدي سنة ٧٧٥ ثم الهادي سنة ٧٨٥
ثم هرون الرشيد سنة ٧٨٦ واخر بني العباس كان المستعصم بالله ثم قام الخلفاء
الفاطميون في مصر واولهم عبيد الله سنة ٩٠٩ م ثم الفاطمي ابو القاسم سنة ٩٢٦ م ثم

المنصور سنة ٩٤٥ م واخرهم العاضد لدين الله سنة ١١٦٠ م وقد امتد حكمهم
 الى سنة الف ومائة وواحدة وسبعين ومنهم من قال الى سنة ١١٧٤ ثم قام
 السلجوقيون الذين انتهت دولتهم في سنة ١١٥٤ ثم تسلمت الى الاسراء الملقين
 بالبكوات وحيث انه وفدت جيوش وجنود القوات الصليبية وفي سنة ١١٧٢ احكم
 الملك الناصر صلاح الدين الايوبي الذي اباد الخلافة الشاطمية في سنة ١١٧١ وقد
 انقرضت الدولة الايوبية في سنة ١٢٥٢ بالديار المصرية من الاشرف مظفر
 الدين ابي موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل وفي سنة ١٢٥٩
 قتل هولاكو بن تولي بن جنك خان ملك التتر الملك الناصر صلاح الدين الايوبي
 اخر ملوك الايوبيين في بر الشام وغزا سورية خلا الاماكن التي كانت متسطة
 بها الا فرنج وقد قرض الدولة الايوبية في بر الشام وخلف هذه الدولة ملوك الدولة
 التركية التي ابتدأت سنة ١٢٥٢ واول ملك لها هو المعز عز الدين ايبك
 التركاني الصالحاني وانقرضت سنة ١٢٨١ بالصالح حجي وملوكها كانوا يعرفون
 بالمماليك البحرية او ممالك الدولة الكردية وحكمت بعدها الدولة المجرسية
 المعروفة ملوكها بالمماليك البرجية وقد ابتدأت هذه الدولة سنة ١٢٨١ واول
 ملك لها هو الملك الظاهر برقوق بن عبد الله بن انس بن بردبك وكان يدعي
 الطنبغا وهو الذي اقام يعقوب بن ايوب الماروني حاكما على جبة بشرية وفي
 سنة ١٢٨٨ اضطربت نيران الحرب بين جنود الظاهر برقوق وتركمان كسروان
 فدارت الدائرة على التركمان ورفرف نسر الانتصار على رؤوس الجنود الظاهرية
 وكانت الموقعة في جورة منطاش غربي زوق مكائيل من اعمال جبل لبنان وقد
 انقرضت هذه الدولة سنة ١٥١٧ وذلك انه في سنة ١٥١٤ حارب السلطان
 سليم الاول طومان باي سلطان مصر فانكسر المجرس امامه اي المماليك واذ
 ذاك تملك حلب ودمشق واشهر مدن سورية ثم توجه نحو القاهرة واخذ المدينة
 وامر بفتح طومان باي اخر ملوك المماليك في مصر فكان كامره وذلك سنة
 ١٥١٧ مسيحية في ٧ اشهر نيسان من السنة المذكورة وبعد ذلك خضعت مصر

باسرها لحكومة الانراك وانقسمت الى سناجن ولكن السلطان سليم الاول لم
يطلب سوى حكومة المالك اذ انه ابقى الحكم لبيكانهم الاربعة والعشرين تحت
حكم سناجن وذلك في مصرف فقط دون سورية ومنذ ذاك الحين بقيت سورية
تحت حكم الملوك العثمانيين الا انه في سنة ١٦٣٥ اشهر بالعصيان الامير فخر
الدين المعني وفي اواخر الجيل الثامن عشر ظهر احمد باشا الجزار الشهير وفي
سنة ١٧٩٩ تولى الافرنسيون الاقليم المصري تحت لواء نابليون بونابارت وحاولوا
بان باخذوا حكمها ولكن بدون نفع وفي سنة ١٨٢١ تغلب علي سورية محمد علي
باشا الذي اباد ساير المالك وبقيت في يده حتى سنة ١٨٤٠ حيثما اخرجه منها
اتفاق الدول الاجنبية مع السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان
اما السلطان سليم الاول فقد ولد سنة ١٤٦٧ ب م وهو ابن بايزيد الثاني وعمه
جام المتوفي في نابولي وقد تولى هذا الملك تحت الملك في سنة ١٥١٢ واشهر
بالشجاعة وفي سنة ١٥١٦ افتتح سورية وقتل طومان باي والي مصر وفي سنة
١٥١٧ قرض دولة المالك المعروفة بالدولة المجرسية وتوفي في سنة ١٥٦٦
وخلفه السلطان سليم الثاني الذي توفي سنة ١٥٧٤ وقام مقامه ولده مراد الثالث الذي
اثار حرباً على العجم وانتصر عليهم وغلب ان حكم عشرين سنة توفي في سنة ١٥٩٥
فخلفه ابنه محمد الثالث الذي افتتح الحرب مع امبراطور النمسا وتوفي سنة
١٦٠٢ وخلفه ابنه محمد الاول الذي اثار حرباً على ملك خراسان دون ان
ينتصر عليه وتوفي سنة ١٦١٧ ولما توفي خلفه اخوه السلطان مصطفى الاول
الذي لم يملك سوى شهرين اذ غلب مروورها خلع من الحكم وحجر عليه ومنذ
ذاك الحين ابتدأت العادة بالحجر على اخوة السلاطين آل عثمان ولما خلع من
الحكم خلفه ابن اخيه عثمان الثاني غير ان هذا حكم اربع سنوات وفي سنة ١٦٢٢
هاجت عليه الانجارية وخلعته عن ملكه وارجعت السلطان مصطفى الذي غلب
رجوعه امر بقتل ابن اخيه عثمان الثاني الذي كان تولى مقامه وفي سنة ١٦٢٣
خاعت الانجارية ثانية السلطان مصطفى المشار اليه وحجرت عليه ثانية فحيث

تولى عرش الملك السلطان مراد الرابع اخو عثمان بن احمد الثاني وهذا الملك حارب في بلاد الفرس وبولونيا واشتهر في جملة مواقع وقتل جميع اصحاب المفسد والانشقاقات الذين من اشهرهم محمد باشا الرومي وفي زمنه صارت محاكمة الامير فخر الدين معن حاكم جبل لبنان الذي ثوفي قتيلاً في القسطنطينية وقد ارتقى هذا الملك الى اوج المعالي وافخر المراتب وفي ايام دولته رقت الدولة العثمانية الى ذرى المعارف والمجد وغلب ان حكم سبع عشرة سنة توفي سنة ١٦٤٠ وكان عمره ثلاثين سنة وخلفه اخوه السلطان ابراهيم الذي حكم تسع سنين وتسعة اشهر وحارب مع البنادقة في سنة ١٦٤٤ على فتح كريد وقتل هذا السلطان سنة ١٦٤٩ فخلفه ولده محمد الرابع الذي حارب في بولونيا سنة ١٦٧٢ وافتتح بعض مدنها وفي سنة ١٦٨٢ حاصرها عاصمة اوستريا اي النمسا وسنة ١٦٨٧ تنزل عن الملك وحجر عليه فتوفي سنة ١٦٩٣ وكان تنصب سنة ١٦٨٨ اخوه سليمان خان الثالث الذي حارب النمسا سنة ١٦٩١ واخذ نيسا وبلغراد وغيرها وتوفي في هذه السنة بداء الاستسقاء فخلفه اخوه محمد الثاني وكان بود الحظ والصيد وحدثت في ايامه حريق هائلة في الاستانة احرقت قسماً وافراً منها وذلك سنة ١٦٩١ وتوفي هذا الملك في منتصف كانون الثاني سنة ١٦٩٥ وخلفه السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع وحارب البنادقة وانتصر عليهم غير ان بطرس الاكبر امبراطور الدولة الروسية افتتح معه حرباً وحاصر قلعة ازوف واخذها واجبر السلطان مصطفى ان يتخلى عن اكثر مقاطعات اوتقار بالدولة اوستريا وتوفي سنة ١٧٠٣ متجوراً عليه بعد ان خلع من الحكم وخلفه اخوه احمد الثالث وخلع من حكمه ايضاً وتنصب في سنة ١٧٢١ السلطان محمود الاول بكر السلطان مصطفى الثاني الذي استولى على اكثر اماكن العجم وحارب دولة روسيا التي اتحدت مع اوستريا فكسرت جنود الدولة العلية وتوفي هذا السلطان سنة ١٧٥٤ بعد ان جدد الحرب مع روسيا وعندئذ منع شروط الصلح غلب انتصاره وفي ذاك الاوان تلقبت الملكة كاترينا باسم امبراطور قوق حيث منع دخول المراكب الروسية الى

البحر الاسود وفي سنة ١٧٥٤ خلفه اخوه عثمان الثالث الذي توفي سنة ١٧٥٧
 فقام مقامه مصطفى الثالث بن احمد الثالث الذي انتصر على روسيا سنة ١٧٧٣
 واسترجع بعض خسائر سلفائه ومات سنة ١٧٧٤ فخلفه اخوه السلطان عبد
 الحميد الذي عقد شروط الصلح مع روسيا واخذ منها الفلاخ والبغدان وفي سنة
 ١٧٨٣ اخذت دولة روسيا من الدولة العلية بلاد القرم وذلك بعد حدوث
 مواقع دموية وفي سنة ١٧٨٦ توفي السلطان عبد الحميد فقام مقامه السلطان
 سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث الذي حارب روسيا واوستريا
 دون ان يتصر عليها وفي زمنه صارت الموقعة المهولة في قلعة اسماعيل حينما دارت
 الدائرة على جنود الدولة العلية وفي سنة ١٧٩٨ افتتحت الجنود الفرنسية تحت
 راية نابليون الاول البلاد المصرية مع بعض مدن فلسطين وفي سنة ١٨٠١
 اتفق السلطان سليم مع الدولة المشار اليها فرجعت جنودها من مصر وفي سنة
 ١٨٠٧ هاجت الانكليزية ضد السلطان سليم الاول فعزلته وخلفه السلطان
 مصطفى الرابع بن السلطان عبد الحميد فرغب في ان يذل وجاه الانكليزية
 الذي اثار عليه حالا فتنة هلك بها سنة ١٧٠٨ وخلفه اخوه السلطان محمود
 خان وهو من اول سلاطين الدولة العلية واشهرها فاق امثاله في ايضاح حقوق
 العدل والانصاف وقد حدثت في ايامه اشياء كلبية الاهمية فمنها الحرب التي اثارها
 روسيا على الدولة والتي استقامت الى سنة ١٨١٢ واستقلال الاروام في سنة
 ١٨٢٨ من بعد محاربتهم اياهم وقد حارب وجاه الانكليزية واخذ وسائطها
 اباد جميع من كان تحت هذا اللواء فلم يبق لهم اثر ولا خبر وغب ذلك جددت
 نيران الحروب دولة روسيا فمنعتها الدول الاوروبية عن التقدم مما اوجب
 عقد شروط الصلح التي من جملتها تخلي الدولة بعض مقاطعات ارمينيا
 لروسيا واستقلال الفلاخ والبغدان وفي سنة ١٨٣٠ افتتحت دولة فرنسا جزائر
 الغرب بالقوة الجبرية مدعية ان اهل تلك الجزاير كانت تفتك بسفنها التجارية وفي سنة
 ١٨٣١ استغمت الدولة المصرية الفرصة فارسل محمد علي باشا ولده ابراهيم باشا

لافتتاح عكا فافتتح في طريقه بافا وغزة وحيفا ونزل في ٢٠ من شهر رجب ١٢٠٨ من
السنة المذكورة بعسكره على عكا وبعد مفاصة شديدة استفتحها بمساعدة حاكم
جبل لبنان الأمير بشير الشهابي الشهير واخذ اغلب مدن سورية وفي سنة ١٨٢٨
توفي السلطان محمود فاولى سائر الرعايا جزيل الاسف وكان ابراهيم باشا اذذاك
خائضاً في ميدان الافتتاح التي لم تعلم به الدولة العلية العثمانية سوى عند تنصب
السلطان عبد المجيد الذي خاف اياه السلطان محمود وقد اتفق مع سائر الدول
الاوروپاوية على اخراج الدولة المصرية وجميعهم عدا الدولة الفرنسية بذلوا
معه بذلك جزيل المساعدة وبواسطتهم استرجعت الدولة العلية العثمانية البلاد
السورية وابقت ولاية مصر بنوع من الاستقلال لمحمد علي باشا وزيره وكان
ذاك سنة ١٨٤١ وفي سنة ١٨٥٢ جددت الحرب الدولة الروسية مع الدولة
العية فانفتحت فرنسا وانكلترا وايطاليا مع جنود الدولة العثمانية التي استغثت قلعة
سيستانبول وفي سنة ١٨٥٦ صارت المعاهدة المعروفة بمعاهدة باريس غير انه سنة
الف وثمانمائة وستون ظفرت يد المنابا بالسلطان عبد المجيد فخلفه اخوه السلطان
ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان ابد الله سرير سلطنته مدى الزمان وايد
تحت خلافته محفوظاً من طوارق الحداث وقد شرع منذ نبواً عرش الملك بافعال
المكارم السنية وما آل لاصلاح احوال المملكة الداخلية والخارجية ففي ايام
شوكته رقت البلاد الى المقام الاعلى من النجاح وحازت العباد الدرجة العليا
من الفلاح كيف لا وقد سارت تشد بمدحه الركبان وترغم الاطيار بحمد في
رياض الاغصان وقد ساج في البلاد الاوروپاوية فحاز من الاكرام مقاماً فائقاً
ومن الاحترام نوعاً لا ثقتاً مما يعرب عن كمال مزاياه وحسن سجاياه ادامه
الله على عرش المسرة راتعاً وفي سماء الفضل واللفظ كوكباً ساطعاً
ما علا على افنان رياض الازهار هزار واشرفت
بعد ظلام الليل انوار
النهار

سورية القديمة

ان سورية القديمة قد اشتهرت في التاريخ اشتهاراً فائقاً وكانت ممتدة من جبل الامانوس المعروف بجبل كاورداغ اي جبل الكفار الملقب بالمدك وكيليكيا شمالاً الى فينيقية واليهودية جنوباً ومن البحر غرباً الى الفرات شرقاً غير ان بعض المؤرخين وسع حدود هذه المملكة فزج اشور وسورية سوية واطلق الاسم السوري على جميع سكان البلاد الكانية بين بابل وخليج اليوس اما المؤرخ سترابون فقد قسم حدود هذه المملكة بقوله ان سورية تمتد من جبل الامانوس المذكور سابقاً حتى العريش الذي بعده بعضهم من اعمال مصر غير ان مؤلف تاريخ سورية القديمة لم يدخل كيليكيا وبابل وفينيقيا واليهودية في حيز الحدود السورية بل اوجد لكل فصلاً متائزاً وقسم سورية القديمة الى قسمين اولهما ما عم البلاد الممتدة من الناحية الشمالية الى لبنان وثانيهما دون ذلك

وقد احدثت الطوارق السياسية في هذه المملكة الشهيرة قديماً جملة تغييرات مهمة ففي زمن حكم المكدونيين وجد بها اربع مدن شهيرة وهي انطاكية وسلوقية وافاميا واللاذقية وكل من هذه المدن كانت قاعدة اقليم من اقاليم هذه المملكة المتسعة

غير انه عند خضوعها للوك الرومانيين قسمت الى عشرة اقاليم وسنذكر كلاً على حدة مفصلاً مع اهم مدنه

الاول اقليم قوماجانا (ان اسماء الاقاليم ومدنها هي كلام يوناني لا يترجم الى

اللغة العربية لذلك ابقيناها على لفظها) وهو ما عم البلدان التي كانت موجودة بين جبل الامانوس المذكور والفرات ومن اشهر مدنيه اولاً شمشار وهي وطن لوسيانوس الشهير وكانت مركز الحكومة المختصة بذلك الاقليم ثم (جارمانيسيا) اي المعرة وهي وطن نطوربوس وقد استغل هذا الاقليم برهة من الزمان غير ان الامبراطور فاسيانوس اضافة اخيراً الى باقي مملكة سورية

الثاني اقليم الكيرة سنك وهو الى الناحية الجنوبية من اقليم قوماجانا ولشرفي الاماناس ويعرف اليوم بقسم من اطراف ولاية الشام واخص مدنيه ارية بواس اي مدينة الشمس التي دعت ايضاً بامبشيك ومابوك وهي بعابك الخلقة الذكر بما بقي فيها من الاثار القديمة التي من اشهرها هيكل الشمس الموجود بها منذ الزمن التدم وزخما على الفرات وكان فيها جسر هابل والى الناحية الجنوبية من زخما كانت مدينة اه رويسيس ثم من اشهر مدنيه ايضاً مدينة (يه روا) التي هي حلب الان وقد اشتهرت جداً هذه المدينة في زمن السلوقيين ومدينة بوتنا او بتين وهي على جنوبي حلب

الثالث اقليم بياره ومن اعظم مدنيه ميرياندروس التي كانت في محل اسكدرونة او بالقرب منه ثم مدينة باكروا وعلى مسافة يسيرة منها يوجد مكان دعاه القدماء روسيس

الرابع اقليم سلوقية وهو في الناحية الجنوبية من اقليم بياره ومن اشهر مدنيه سلوقية التي بناها سلوخيس نيقاتوروس الاول وكانت في زمن المكdonيين قاعدة احد الاقاليم الاربعة التي قسمت اليها سورية غير انها الان اشبه بقرية حقيرة ثم مدينة جنداربوس الخامس اقليم سالسيديس ومن اشهر مدنيه واخصها مدينة شاليس ثم عاصمة الاقليم هي مدينة المعرة ولعلها معرة النعمان التي ذكرها ابو الفدا في تاريخه

السادس اقليم شاليون واشهر مدنيه شاليون عاصمته وهي قديمة جداً ثم مدينة نابساكوس وتدعى الان مدينة الديروهي على شاطئ الفرات الايمن وهي مولد

صويل وبامثيل وممر سائر ما كان مجاوز الفرات وقد بدل اسمها سلوخيس نيقاتوروس الاول الى اسم امفيوبولي او يابولي ثم مدينة بابا السيوس التي حصنها يوستيانوس الملك وهي على شاطئ الفرات ثم زنوبيا المبنية من ملكة تدمر زنوبيا الشهيرة وهي على مسافة ثلاثة ايام من سيزا او قورش وسه ريان التي هي ايضا على مسافة ثلاثة ايام من سيزاريم التي هي الان كركيزيا من بلاد بين النهرين ومركزها على مصب الكابور والفرات وقد ذهب بعضهم الى انها هي شاليبون عاصمة الاقليم المذكور وادعى السباح المتأخرون بانهم غلب ان ساروا ثلاثة ايام من جنوب شرقي حلب صودفوا بانثار خرابات هذه المدينة ثم مدينة سالامينياس وارتوزا التي وجدت في شال غربي سالامينياس وشالي حمص وحاصرتها في زمن المورخ سترابون جنود اميرية عربية كانت تحت حماية الرومان

السابع الاقليم البالميري (الدمري) واخص مدنه عاصمة تدمر ثم الرصافة وهي على جنوبي قورش وشاطئ الفرات الثامن الاقليم اللاذقاني وهو في جوار فينيقية وعلى الناحية الغربية من الاقليم التدمري ومن اخص واشهر مدنه اللاذقية

التاسع اقليم افاميا وهو في جنوبي الاقليم السابق ذكره واشهر مدنه اوله مدينة اباميا التي دعت اخيرا فاميا وهي على شاطئ الجنوب الشرقي من بحيرة فاميا ودعت اباميا على اسم زوجة بانها سلوخيس نيقاتوروس الاول ومركزها في ناحية مخصصة جدا وقد دعاها انتيفون باسم (pella به لا) وكانت في زمن اليونانيين عاصمة سورية الثانية وكان بها مرعى خمسمائة فيل وثلاثين الف رأس خيل ثم مدينة حمص التي دعت (امه ز) وهي على غربي تدمر وجنوب شرقي صيدا وكان اهلها يعبدون الشمس وبها هيكل البعل المشهور وفيها تتزوج الامبراطور اليوغابالس وانهمزمت جنود الملكة زنوبيا امام قوات الملك اورليانوس ثم ايفافا التي دعت حماه الان وبناها الفينيقيون

العاشر اقليم كاسيوتيد وهو ما بين فينيقية والبلدان السلوقية وممتد للغرب

بالقرب من السواحل البحرية ومن اخص واشهر مدنيه مدينة انطاكية التي هي
حسبما يدل التاريخ القديم اول مدينة في العالم اشتهر شعبها بالكمال والحداقة
وكانت عاصمة لسورية الاولى في زمن بانيها سلوخيس نيقانوروس الاول وقد
هدمها كسرى غير انه اعاد عمارها يوستيانوس الملك وبالقرب من انطاكية على
مسافة اربعين مرحلة يوجد مركز مدينة دفنا المحاطة بغاب السرو وفي هذه المدينة
بني قديماً هيكل الفهر والشمس او ابوللون و(ديان) وقد امسى هذا الهيكل
ضحية النيران التي تجددت سنة ١٢٦٢ واخترست كل ما كان يحيطه وقد ترتب اخيراً
اقليم دعي كلوه زهري ومن اشهر مدنيه دمشق الشام وهي اشهر مدن العالم واقدمها
اذ نوه عنها في رموز الكتب الدينية ولكن لعمرى ان هذه المدينة ليست هي سوى
على جزء مما هو لازم ان يكون ما كان فيها من صافي الكنوز غير انها كانت ولم تنزل
تلقب بعاصمة بر الشام ومركزها في وادي تسقيها مياه بردى وقد اقام فيها وبوكله
نيانوس قديماً كرخانة اسلحة ثم مدينة عيلا وموقعها سابقاً بين بعليك والشام ثم
افاكا وهي الان خراب وحفظ هذا التقسيم حتى زمن الملك قسطنطين فانه غلب
ان اضاف اقليم كيره سنيكا الى اقليم قوماجانا فرقها عن باقي الاقسام السورية
طاودوسيوس الملك الشاب وقسم سورية الى قسمين اولهما دعي سورية الاولى
وكانت عاصمتها انطاكية وهذا القسم كان يعم جميع البلدان الجنوبية الى حد الفرات
والثاني دعي سورية الثانية وكانت عاصمتها مدينة افاميا التي هي الى الشمال الشرقي
من حلب وهذا القسم كان يعم مدن شالي العاصي وبلاد بين النهرين وبابل واما
القسم الشرقي من سورية ونواحي الفرات فكان مخصصاً ببعض الامم المتوحشة
هذا وان سورية القديمة كانت كما لا يخفى لمطالعي التاريخ من اشهر الممالك
وعرضة لغزوات البربر وكانت محط او مركز اقامة من اشتهروا في سالف الاجيال
وموضوعاً لفتح اطماع الافتتاحات الشاقة واغلب المدن التي اوجدها اليونانيون
الذين خلفوا اسكندر ذا القرنين قد تحولت الان الى الخراب والدمار ولم يبق
لها كروار الايام اثر ولا ذكر غير انه عند الوصول الى ترجمة وتاريخ كل من

المدن السورية سنذكر التغلبات التي حدثت على كل منها مع الاساء التي تلقت
بها قديماً انمكن المطالع من الوقوف على اثار مقتضيات هذا التاريخ الشهير والله
اعلم وبه التوفيق

السكان

ان شعوب سورية قد امتزجت من اقوام كثيرة حتى صار يصعب تاصيل
من هم قاطنون فيها وحسب يستدل من التواريخ انه نسل تركب من بقايا الامم
العربية والتتية والتركية والرومية والطوائف التي تداولت البلاد السورية وفيها
يرى المتأمل من الطوائف عدداً وافراً اذ قد حوت من المسلمين والصاري
والدروز والمتاوله وعرب البادية والاساعيلية والسمره وغير ذلك من القبائل
التي لم يسمع لها اسم بامكان اخرى اما العرب الموجودون بهامع كوننا نراهم خاضعين
لاوامر الباب العالي كثيراً ما نسمع انهم يهيجون نيران الفتنة والعصيان فمن
الامم المسيحية طائفة الروم التي بلغ عددها مائتين واربعين الف نسمة واكثرها
عدداً في بيروت وطرابلس والقدس والشام ولها مدرسة في بيروت داخلية اي
ياكل بها التلامذة موقعها يبعد قليلاً عن ساحة البرج ومكاتب اخر عديدة ومن
اشهر كنائسها في المدينة المذكورة كنيسة ماري جاورجيوس والكنيسة المعروفة
بالمسكوبية ثم المارونية وعددها تقريباً مائتان وعشرون الف نسمة وهي متقدمة
بالمعارف والعلوم وبطربرك هذه الطائفة يجلس في جبل لبنان وكرسيه بكركي ولها
مدارس شتى واكثرها عدداً في لبنان وبيروت واسقفها في بيروت سيادة المطران
يوسف الدبس العالم المحترم الذي باشر ببناء كنيسة كبيرة في نفس المدينة المذكورة
ثم طائفة الروم الكاثوليك وتبلغ مع غيرها نحو ٤٠٠٠٠ نسمة ولها المدرسة الشهيرة
في بيروت المعروفة بالبطريركية اذ موسسها غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف
فيها الطلبة تحصل انواع العلوم واللغات المختلفة
ثم الدروز يبلغ عددهم ٠٠٠٠٠ نسمة تقريباً وهذه الطائفة كثيرة العدد في

جبل لبنان لا سيما في بلاد الشوف ولهم في حاصبيا خلوات تعرف بمخلوات البياضة على اننا نرى هذه الطائفة لم تنزل غير عالمة لذة العلوم سوى ما ندر من افرادها وقد بلغ عدد النصيرية والاساعيلية في سورية مائتين الف نسمة اما الاولى فكانت ولم تنزل غارقة في البحر الجهل عاربة عن كل ما يمتاز به المرء من حسن الصفات والثانية تشبهها الا انها تعد بدرجة اعلى قليلاً اما المتأولة فعدد هم ٢٥٠٠٠ نسمة واصل مسكنهم بلاد الشقيف ويوجد منهم احياناً علماء ادباء

ثم الارمن مع ما بقي ٢٠٠٠٠ نسمة اما الطائفة الاكثر عدداً في سورية فهي الطائفة الاسلامية وعددها ثمان كرات وخمسة وعشرون الف نسمة واكثرها عدداً في الشام وحلب وبيروت ولها مكاتب

وكنيت ارجب ان اعرف عدد اليهود الموجودين في سورية فما امكني واكثر هذه الطائفة في صدد حيثما يجلس المحامخام الكبير فلو سمحت لي وزارة المعارف لما كنت تاخرت عن ابراز بضع اوراق تبين اصل معتقدات كل طائفة على الاطلاق

واذا تكلمنا بما يخص تركيب الارض عن سورية نقول انها سلسلة جبال ذات سفحين فاحدهما وهو السفح الغربي تبتدي جباله لدى اعين المنامل باكام ثم اذا تقدم السائح يرى تلك الاكام مضطحة ومحالة الى التراب الذي يتصل اخيراً بالبحر مع ان السفح الاخر يخص بارض اكثر ارتفاعاً وينتهي لدى وادي مستوي يحده لناحية الشمال الشرقية الفرات وللجنوبية الرمل او بر الشام

سورية الجديدة

ان سورية الجديدة عمت جميع الاقاليم التي كانت دعتهما القدماء بما ياتي من الاسماء وهي سورية الاولى وسورية الثانية سورية الفرات سورية تدمر ثم سورية فينيقية اللبنانية والبحرية وسورية فلسطين وسورية اليونان التي كانت تقسم الى ثلاثة اقسام ومجدها شرقاً الفرات والبادية وغرباً البحر المتوسط او بحر الروم وشالاً اسياً الصغرى وجنوباً جزء من بلاد العربية

وعند التامل نرى ان سورية هي سلسلة جبال عظمى ممتدة من اسيا الصغرى حتى البلاد العربية وبها يشاهد الناظر انقسامات شتى وهي تحيط بمخارج اسكدرونه لحد انطاكية ثم تبعد عن السواحل مظهرة للبصر جملة اكمام شاسعة وتنحني نحو البحر وتغطي جباله واذ ذاك تنقسم الى فرعين لبنان وانييلينان ثم من يتقدم نحو الناحية الجنوبية يصادف الكرمل وابعده منه يسيراً ذاك الجبل الشامخ المدعو جبل طابور ثم تنخفض قممها المرتفعة وتضمحل الى التراب يبشر ابتداء البرمل او الصحراء

وفي سورية من المناظر البهجة ما يقصر القلم عن وصفه فان هذه المملكة كانت قديماً من اشهر ممالك العالم ولم تنزل من اشرفها وفيها على ما قيل وجد الانسان الاول ومنها خرجت اعظم واهم الاستنباطات التي تزين بها الكون الطبيعي لعربي ان هذه الارض هي ما تحمد سائر الدول الدولة العلية العثمانية عليها كيف لا وفيها الاماكن المقدسة والاراضي الموعود بها نسل ابراهيم عليه السلام وقد

حدث بها من طوارق الزمان ما لم تحس انثارة كروور الدهور والايام غير انه اذا اطلقنا جواد النظر على رياض التفكير في نجاحها نرى ان بعض بلدانها رجعت او سترجع الى شهرتها القديمة وربما ننظر بعين وهمية ايام تلك الملكة زنوبيا التي اقامت لها في تاريخ الامم ذكراً مخلداً لا تحموه عجائب ونواب الدهور فلنردد مدح ساطعنا الاعظم

واذ تأملنا في مدنها نرى ان اشهرها قديماً كافاميا وانطاكية قد تحول الى الخراب والدمار وفي الوصول لتاريخ المدن نرى كل ذلك منفصلاً وبناءً على ما تقدم ذكره كان عدد سكان سورية منذ سنة ٥٠٠ اقم اي منذ عهد داود عليه السلام الى زمن هرقل سنة ٦١٠ بعد المسيح بالغاً عشرة ملايين واما الان فبالكد يبلغ عدد سكانها مليونين فتأمل

وعندما تملكها الملوك العثمانيون اقامت ولم تنزل تقيم بها الدولة العلية واليا ينوط بامرهم تدبير مهامها وامورها وقد قسمت اخيراً الى اربع ايلات ثم انقسمت معاً وصارت ولاية واحدة

في جبال سورية

ان سورية باسرها هي سلسلة جبال عظمى التي تمتد من حدود اسيا الصغرى حتى بلاد العربية ومن جبل طوروس الى الصحراء وبرى المتأمل فيها تغيرات كلية يسوح بها دائماً نظراً لوجه الافكار فيها اخذت حدود نواحي خليج اسكندرونة حتى انطاكية ثم اذا توجهنا نحو الجنوب الشرقي من انطاكية بعلمك نراها مبتعدة عن السواحل التي لا ينظر فيها سوى بعض اكام لا تذكر ثم ترتفع نحو البحر مجمعة قممها ومنقسمة الى فرعين وهما لبنان واتيلىبنان ثم اذا ابتعدنا ايضاً مكملين المسير نحو الناحية الجنوبية برسم اثرها المنهني بجبل شهير تلقب بجبل الكرمل وابتعد عن ذلك جبل طابور الشامخ علوه نحو السماء ثم تبتعد قممها بالانخفاض وتغير ارتفاعاتها بالصخور التي تضيئها اخيراً وتبين للزائر الصحراء

التي طالما روي رنين اسمها في توار يخ السياح المتأخرين
وبالحقيقة انه من ياخذ بالتفكير يري ان اعظم مساحة سورية هي جبال وبرى
فيها جملة نهيرات وبحيرات وانهارا واكاما ووديانا وسهولا حمة وبالاختصار انها
من افضل الممالك التي اوجدها البارى عزوجل جلاله ومن سكنها استنبط فن
سفر البحر والحدوف النجائية الى غير ذلك مما يدل على اهميتها في التاريخ

في مناخ سورية

اذا رما ان نتكلم كلاما عموما يجب ان نقر ان المناخ السوري هو من
احسن مناخات اقسام المملكة العثمانية واذا اخذنا الكلام بنوع مختص نقول ان
مناخ السواحل البحرية في هذه المملكة هو مما يجب الابتعاد عنه كراس العين
وطرابلس حيثما تكثر الامراض والحميات واما مناخ الجبال فهو جيد وممدوح
حتى نقصد اعيان سكان السواحل البحرية كل سنة في زمن اشتداد حرارة
الصيف وهو مقرب للابدان نافع الجسم والصحة ولا يشتد البرد في زمن الشتاء
عدا بعض اودية من رؤوس لبنان وجبل الشيخ حيثما تقطن النواج التي تدوم
من عام الى عام ويوجد في اغلب جبال هذه المملكة منتزهات طالما اطيب المورخون
بدهنها وفضل القرار بها متولجو احكام الدولة العلية العثمانية واعظم شاهد لنا
برهان التواريخ ومصادرة كتب السياح المتأخرين

حيوانات سورية

من اشهر حيوانات هذا الاقليم الجمل والضبع والثور وابن اوى والغزال
والثعلب والجاموس ونوع من الدب التي تكثر في صنين وجبل الشيخ وغيرها
والذئب في نواحي بلاد الشقيف ثم الخنزير البري الموجود في جبل الرمان
الذي فيه ايضا قسم وافر من الطيور الاهلية والبرية كالعصفور والسمن والحمام
وقس عليه

واما طير الجراد فقد يظهر بعض السنين في بعض مدنها ويضر كثيرا بارزاقها

ويكثر حتى انه يكسف نور الشمس الساطع واحيانا ينسلط عليه طائر صغير
يدعى السمير فيهلكه ويحني اناره

حواصل سورية

ومن حواصل هذه المملكة اولاً اخشاب البناء التي يكثر وجودها في
اغلب المدن السورية وفي الناحية الشمالية حيثما توجد غياض الصنوبر والبلوط
يرى هناك من اخشاب الوقود قسم واخر ثم في القسم الاغلب منها توجد الطرفاء
والاس والسرو والكرم والجوز والتوت واللوز والصفصاف والخرنوب والارز
والصنوبر والميس والقراصية والازدرخت والتفل والجوز والتفاح ثم الزيتون
الذي يكثر في الشويفات وحاصبيا ونواحي دمشق الشام وصفدويكثر ايضاً شجر
المحور في الشام وحاصبيا

ومن فواكه سورية المشمش والخوخ والتفاح والقراصية والتين والصبير
والكمثرى والانرج والذراقرن والليمون والعنب والرمان اما انواع حبوبها فهي
الحنطة والشعير والعدس والملش والكرسة والحمص والفول والارز والذرة
والسمسم وهلم جرا مع القطن الذي يبنى منه سنوياً ما ينيف عن خمسة عشر الف
قنطار فيرسل اقلبه الى البلاد الاوروبية مع حرير هذه المدن الشهيرة ثم
صوف القطن الذي تصطنع منه بعض اقمشة جميلة وفي هذا الاقليم يستخرج
زيت الزيتون والسيرج وزيت الخروع وفي بعض اماكن بر الشام يوجد من
اجود الخمر واحسنه ويغلب ذلك في نواحي كسروان حتى طرابلس وبالاخص
خمر قرية سبعل

وفي بعض سهول هذا الاقليم تنبت الفوة ونبات الزعفران وادخل صاحب
الدولة ابراهيم باشا دودة القرمز لهذا الاقليم فصممت في بعض اماكنه ويصطنع
في نواحي انطاكية بعض اقمشة من شعر المعزى ثم من احسن حواصل بر الشام
التين الذي يغلب ويوجد في بلاد البترون وجبل الرمان وجبل فيوخذ القسم

الوافر الى نواحي النسططينية والاقليم المصري وفي جبال انطاكية وجوارها يصطنع سنوياً قناطير من الشمع الذي يرسل الى اوروبا وفي نواحي حلب والبترون توجد السكونيا اي (السكويه) المحبودة وهي من مخنصات الادوية غير انها كلما توجد خالصة فاننا نشاهد ما غالباً مزوجة بالصمغ والمر والشا وانقي يستعمل اغلبه في بلاد نابلس لعمل الصابون وقد روى بعضهم انه يوجد في بلاد نابلس ما ينيف عن سبعمائة وخمسين مصبنة واما الاسفنج فيرسل اغلبه الى ازمير واما مصنوعاتنا فهي قليلة لا تعتبر بالنسبة لما اوهب الباري عز جلاله اراضيها من الخصب والموجودات التي هي اكبر واسطة لمساعدة سكانها على اصطناع ما يعسر الغير على صنعه ففيها يصطنع مصب الذهب والنضة والنجاس والحديد والنجمة الحرير والقطن والصوف وفي نواحي اورشليم وبيت لحم وتلك الاراضي المقدسة يصنع عدد وافر من المسابح والصور المركبة من مادة تدعى عرق اللؤلؤ الذي يجلبونه من البحر الاحمر غير ان غالب هذه الصور والمسابح يطلب للبلاد الاوروبية

معادن سورية

معادنها يسيرة لا تسحق الذكر فيها معدن الحجر الموجود في حاصبيا وهو مخصص بالحكومة وغالباً تضخه التجار وبواسطة قوافل تجلبه لبيروت فيرسل بجزا الى البلاد الاوروبية وفي الجبال الى شمالي اسكندرونه يوجد معدن النضة والرصاص وفي الجبل الاقارع وجبل لبنان يوجد معدن الحديد ثم معدن الفحم وهو في لبنان ايضاً وفي بعض اماكن هذه البلدان ملح البارود والملح الاعتيادي اما تجارة هذه البلدان فانه يرسل الى اقاصي البلدان منها العنص الذي يوتي به من كردستان والقوة من الهند ويجلب اليها من بغداد ومصر الصمغ العربي وبالصمغ القناد من نواحي بر الاناضول وبالخلتيك من مسقاط والهند ومن مصر ياتيها ايضاً اللبان واله نه وياتيها الافيون من اسيا الصغرى وترسل الى بلاد

فرنسا جلود الارانب والثعالبا التي تأتي بها من الجبهات الشمالية وترسل المحرير
والشمع واصواف الغنم ايضا الى بعض الاقطار الاوروبية واوسع تجارتها بالمانيفاتورة
وغيرها من البضائع الافرنجية

سكان سورية

كل من كان ذا خبرة في معرفة التاريخ يؤكد ان من الامور الصعبة الحاق
احدى الطوائف الساكنة سورية الان بسكان سورية الاصليين لانه من المعلوم
ان سورية كانت قديما مركز الحروب ومقر المعامع الدموية وعرضة لافتتاحات
الملوك ونظرا بهجما ومهيميا لفتح اطباع قابضي زمام الامور وانا نرى انه بعد ما
طرد الاسرائيليون الكنعانيين من سورية تسلط عليها جم غفير من الملوك فقد
حكمها ملوك اشور وبابل ومادي وفارس والملوك المصريون واليونانيون وملوك
الرومانيين ومكدونية وغيرهم وقد ابقى بها كل من هذه الاسباط عددا وافرا من
نسلكه حتى انه اخيرا امتزج سكانها ببعض ببعض وصار صعبا جدا ان يعرف
الانسان اصل مصدر احدى الطوائف التي تسكنها الان وهي اثنا عشرة طائفة
بلغ مجموع عددها مليون وستائة وستون الف نسمة كما ترى

- | | | | |
|-----|--|--------|------------------------------|
| (١) | اسلام | ٨١٥٠٠٠ | ثمان كرات وخمسة عشر الف نسمة |
| (٢) | روم | ٢٤٠٠٠٠ | كرتان واربعون الف نسمة |
| (٣) | موارنة | ٢٢٠٠٠٠ | كرتان وعشرون الف نسمة |
| (٤) | روم ملكيون مع غيرهم من الطوائف الباباوية اربعون الف نسمة | | |
| (٥) | دروز | ١٠٠٠٠ | ماية الف نسمة |
| (٦) | نصيرية واساعيلية | ٢٠٠٠٠ | مايتان الف نسمة |
| (٧) | مناولة | ٢٥٠٠٠ | خمسة وعشرين الف نسمة |
| (٨) | ارمن مع ما بقي | ٢٠٠٠٠ | عشرون الف نفس |

المجموع ١٦٦٠٠٠٠ ستة عشر كراة وستون الف نسمة

في مدن سورية

حلب

ان هذه المدينة كانت قديماً ولم تنزل من اشهر مدن المملكة السورية ومركزها في بيرة قفراء خالية من الاشجار وهي في عرض شمالي ١١٢٥° وطول شرقي ٢٧١٩° يحدها غرباً خليج اسكندرونة ثم بحر الروم وشرقاً نهر الفرات وجواره شمالاً عين ناب وجنوباً المعرة وهي الان مركز ولاية دعت باسمها ولما تسلط عليها اليونانيون كانت تدعى بروقال مولف سورية ان مركزها ما بين ارزروم وبغداد واسكندرونة ودرازون هو من المراكز التي يتبها الفكر عجباً ودلالاً وذا المركز كان سبباً لصيرورتها في الجبل الخامس عشر مركز التجارة السورية ومقر البضائع الاوروبية والهندية والعجمية وقال ايضاً انها في بيرة ذات نواحي مخصصة جداً وجنان تغطيها اشجار الفستق وتسقى بمياه نهر قويق الموجود وسط المدينة ومياهه باردة لا تنشف ابداً تربتها جميلة وماذنها مرتفعة وبسرو مقابرها العالي لا يزداد نظارة سوى على ارض تلك الصحراء الحمراء ومن المعلوم انه في سنة الف وثمانماية واثنين وعشرين كانت هذه المدينة بعد مصر واسلامبول اول مدينة في المملكة العثمانية حيث بلغ عدد سكانها في ذلك الاوان مئتي الف نسمة وهي مبنية بناء متيناً وحجرها ابيض وازقتها نظيفة ومتسعة ومخلائها متسعة ومزروعة ويوجد فيها عدد وافر من الاعين التي تجري مياهها الصافية والمهيرة بكل من نواحيها وقد اختلف المؤرخون في حقيقة بانيتها فمنهم من قال ان بانيتها حلب بن المهر ولذلك دعت باسمهم من ارتأى ان بانيتها سلوخيس نيقاتوروس

الاول الذي افتتح سورية سنة ٢٠١ ق م وملك عليها كما سبق الكلام في مقدمة الكتاب وقد روى ذلك المورخ سدرانوس الشهير واما سبب تسميتها حلب فقد ارناى التدماء بان ابرهيم الخليل كان له بقرة شهباء وكان يحلبها في يوم مخصوص من ايام السنة على تل قرب قلعة حلب واذ ذاك كان ينادي الفقراء رجل قاتلاً ابرهيم حلب الشهباء فحينئذ كانوا يجتمعون اليه فيتصدق عليهم من لبنها ومن هاتين اللغتين قد اتخذ اسم حلب الشهباء على ان ذلك غير مثبت والله اعلم بالصواب

واما جناتها فيغلب فيها شجر الفستق والتوت الذي يبلغ محيط جذع بعضه نحو اربعة اذرع وثمره شديد الحلاوة والزكاوة وسكان حلب يشربون من مياه تبعد عن شمالي البلدة نحو ثمانية اميال ومنبعها من مكانين وهي تنفرغ في الحمامات والبيوت والاسواق بواسطة اقنية مخصوصة ولها تسعة ابواب ومع ان ابنتها حسنة المنظر لا تثبت على نوايب الدهر لرقه حجر ابنتها وتصاغر اجزائه واسوارها شديدة غير ان الزلازل المتواترة لم تلبث حتى جعلت اعظمها في دائرة الدمار فمن اخص واشهر الزلازل التي حدثت في هذه المدينة زلزلة ١٢ اب سنة ١٨٢٢ اذ هدم جانباً عظيماً من حلب وانطاكية وجوارها كما ان المدافع التي امر باطلاقها والى البلدة سنة ١٨٥٠ على باب اليرب قد احوالت منها قسماً للخراب

واما مناخ حلب فهو جيد مقوٍ للابدان غير انه في زمن اشتداد حرالة الصيف يختار بعضهم المنامة على السطوح وذلك هو سبب وجود كثيرين مرة العريان فيها ومن اشهر ما يوجد في حلب من الابنية اولاً القلعة ومركزها على تن مستديرة حسنة المنظر وسراية بني جنبلاط وهي برج واسع جميل كاشف على قسم عظيم من المنزهات وفيها الامة الاسلامية جوامع عديدة التي منها ما يندرج وجوده في سائر اقسام المملكة العثمانية وفيها اثنا عشرة كيسة للطوائف المسيحية ومعبدان للامة الاسرائيلية تم فيها مكتبتان عموميتان غير شهيرتين ولها اثنا عشرة مدرسة وقد اطنب المورخون في مدح تجارة هذه المدينة القديمة وربما بالغ من قال انها

كانت سوق الدنيا والمتامل يرى انه كان ياتيها اربعون قافلة وكانت مقر بضائع بلاد النرس واوروبا والعالم الجديد باسره وكان يسافر في كل عام من حلب اربعون قافلة الى اخص مدن اسيا وقوافل اخر من داخل البلاد الفارسية كانت تاتيها في كل عام مرتين حاملة من محصولات تلك البلاد الثمينة وكنوزها الفاخرة وكانت تعاض عن محصولات سورية وفلسطين بمنتجات ابعدها المدن فهذه تجارة حلب القديمة واما الان فقد قلت عن ذلك بما لا يقاس وقد تجمع بها قوافل بغداد والموصل وبين المهرين ودمشق ولذلك لقبتم باسم بالميرا الجديدة وقد بلغ عدد سكانها قديماً مئتي الف نسمة غير انه لما عدل اخيراً لم يبلغ سوى نصف هذا العدد ودونه واهلها يمتازون عن غيرهم بالحبة التي لا بد ان تظهر على وجه من يقطنها وتعرف عندهم تحت اسم حبة السنة حيث لا تبرا قبل حلولها وعند العامة بحبة حلب لانها مخصصة بها

وقد تملك في هذه المدينة الملوك اليونانيون زماناً مديداً ومنهم الملك اركلاوس الذي ينسب اليه بناء اقينتها وفي سنة ٦٢٦ افتتحها العرب المسلمون تحت راية عمر الخليفة حينما قاست اشداً تعاب المحصار وكان لها اذ ذاك غير مخازنها التجارية حصن متين على ابوابها وان الملك اركلاوس الذي ملك زماناً هذه المدينة اخلف بعد وفاته ولدين فاحدهما بوكيانوس افتتح الحرب مع اعدائه العرب المسلمين وتغلب عليهم في الواقعة الاولى من الحرب المذكورة فاستولت عليه حالاً توهمات الامل والاطماع فابى الدخول الى البلد وعسكر في فيافي انتصاره وبذلك الليلة اتى بعض سكان المدينة سرّاً ابا عينة قائد الجيوش العربية الاسلامية واخبره سرّاً بما هو جارٍ في معسكر العدو فانخذ الوسائط اللازمة للدفاع وهكذا التزم بوكيانوس الذي كان مسنداً على احلام وافكار التقسم ان يسلم غير انه لما رجع الى المدينة اجري اشد الفصاص على الخائنين ولاسباب تجددت الحرب بينه وبين العرب وابتدا حصار شديد لبث خمسة اشهر ونتيجة اخيراً كانت استيلاء الجنود العربية الاسلامية على حلب اذ انما ولو قاست انعاباً جزيلة رفعت اخيراً بيارق الانتصار

وافتح تلك الفلعة العظيمة واستلام ابي عبيدة هذه الفلعة كان سبباً فعالاً قاد
 بوكيناوس الى اعتناق الديانة الاسلامية وفي سنة ٩٦٢ افتتحها الملك نيسافوروس
 الثاني الملقب بفوكاسيوس من يد الطائفة الحمدانية التي كانت تغابت عليها
 وهو ملك يوناني ولد سنة ٩١٢ واذ سي ملكاً سنة ٩٣٢ افتتح كليزيا وقبرص
 وسورية وقتل احد قواد عسكره زه مبره سنة ٩٦٩ وفي سنة ١٠٧٢ افتتحها
 الملك شاه الملقب بجلال الدين وهو احد سلاطين الدولة السلجوقية الذي
 خلف اياه الالب رسلان ذي المملكة الممتدة من وجهون الى الفرات ومن البحر الرومي
 حتى الصين ثم من الكوكاز الى اليمن وكان شجاعاً وفي سنة ١٠٧٥ طرد ساير اليونانيين
 من اسيا الصغرى وخضع بعض العصاة الذين كانوا متهمين بما ياول الحراب ودمار
 بلاد بين النهرين وغب ان افتتح انطاكية وحلب توفي في مدينة بغداد وكان بالغاً
 من العمر اذ ذاك ثمانياً وثلاثين سنة وفي سنة ١٢٠٦ كانت حلب عرضة لفتح
 اطاع ذوي الافتتاحات وهجمات جيوش النر التي لم تلبث بتلك السنة حتى
 استولت على المدينة المذكورة وفي سنة ١٤٠٠ هدمها تيمور بك الملقب بالملك
 تيمورلنك الاعرج الذي بعد ان اجري فيها اقمج ما يمكن ان تتصوره الافكار
 وجعل عدداً وافراً من اهلها رهين نرب القبور وحسب عادته بنى عواميد
 شاحخة من جثث القتلى فنعهم المشياعة وبس العادة وسنة ١٥١٧ استولت عليها
 الدولة العلية العثمانية تحت راية السلطان سليم الاول وحكمها المصريون في ظرف
 ٨ سنوات تحت لواء ابراهيم باشا غير ان الدولة العلية العثمانية استرجعتها في زمن
 السلطان محمود مع سائر البلاد السورية ولم تزل تتداولها حتى الان ومن سنة
 ١٥٠٧ وهو زمن افتتاح الدولة العلية البلاد السورية دامت حلب تعد من الاربع
 ايلات التي قسمت اليها سورية تحت حكم البطال الهام السلطان سليم الاول
 وكانت ممثلة من المدن والقرى العديدة التي كان يسكنها الوف الوف من النسم
 فان انطاكية وحدها عاصمة سورية القديمة كان بها قبل ان تحكمها الدولة العلية
 العثمانية بما يهتف عن مائتين وثمانين الف نسمة ثم سلوقية وهي الان السويدية

كان يجتمع في ميناها الف مركب وما ينيف عن مائة الف بحري وتاجروهي الان
مينا حفيرة يجتمع بها يومياً عشرة قوارب لصيد الاسماك وادبى العاصي التي
كانت مرعى خمسية فيل وعشرة الاف راس خيل وطروش غيرها عديدة
كانت كل من قراها ترى ذاتها مبتعدة عن الاخرى بمسافة يسيرة مزدهرة بالزهور
والخضرة فقد يرى المتأمل ان الحوادث ابادت تلك القرى وما جاورها قديماً
واعتناضت عنها بحميم البدو المنصوبة دائماً في ذلك المرج الواسع وان ارض سهول
هذه الايالة هي خصبة جداً فلما برى نظيرها اذ اتنا نرى حشيشاً ونباتاً
مزهراً ووافراً نباتاً بتلك الارض التي لم تزرع بها يد الانسان شيئاً ولم تلق بها
ادنى بزار وحيثما يكون الفلاح بذل نوعاً من الفلاحة والاعتناء نرى الاغلال
الوافرة التي تعمر عن الاتيان بها احسن ارض مخصصة اجنبية من يكون بها
الانسان التي وافر الاعتناء

فلا يرى الانسان في جولائه في ارض هذه الايالة سوى اثار وبقايا تلك الابنية
الشهيرة التي شادها اولئك الرومانيون الذين باعمالهم الشهيرة قد خلدوا لهم ذكراً
ليس بمحوة كرور الايام ولما صدرت الاوامر من لدن الدولة العثمانية بضم
ايالة عكا وطرابلس والشام لولاية واحدة فرقت حلب وتوابعها بولاية مركزها مدينة
حلب الشهباء التي نحن في صددنا وفيها دائماً وال من لدن الحكومة منوط به
مهام واحكام الولاية باسرها وقيل ان ننهي كلامنا عن هذه المبلدة يجب ان نقول
ولئن تكن متأخرة عما حصلت من الشهرة في سالف الزمان فلم تنزل راتعة بجهان
الالفه والاتحاد وكاشفة برقع المعارف والعلوم وقد ظهر بها انام من اشتهروا
بالبهاة وحداقة الافكار والسياسة ومنهم ممن اشتهروا بالمعلوم والمعارف

قنسرين

ان هذه المدينة كانت قديماً من اعظم مدن سورية اذ كانت اعظم من حلب
سعة واشتهاراً الا انها الان خراب واول من هدمها هو الملك باسيلوس الثاني

الذي خلف أباه مع أخيه قسطنطين التاسع في سنة تسعماية وثلاث وستين واذ
كانا كلاهما قاصرين عن الملك قام نيكافوروس فوقاً قائداً عموماً للجيش وشاركهما
في الملك وبواسطة ما اشتهر به هذا من سمو الحذاقة والنظن استرجع من الشراكة
كليهما وسورية وقبرص وما كان ذلك الا بارادة وترتيب وزيره سميق الشهير
الذي قتل نيكافوروس سيقاً اخيراً بمعاملة امراته ثيوفانا سنة ٩٦٩ فكلل موضعه
وسمي يوحنا الاول ونفى امراته ثيوفانا واذ كان قد اشتهر بالشجاعة والفروسية
حارب جنود الدولة الروسية في بولغاريا وانتصر عليهم ولم يقبل ويرتدع سوى
بارجاع ذاك الاقليم منهم غير انه في سنة ٩٧٥ وقع طريق الفرائش وبعد ان قاسى
اوجاعاً وافرة توفي فخلفه الملكان الاصيلان وهما باسيلوس الثاني واخوه قسطنطين
الناسع فباسيلوس الثاني هدم قنسرين وفي اواخر الجبل الحادي عشر هدمها
عن اخرها تاج الدولة وذلك بعد ان جدد بناءها الامراء بنو بيس التتوخيين
وهذه المدينة هي على بعد مرحلة صغيرة من حلب كثلاثة اميال وتدعى فلشيدس
ايضاً وهي الى ناحية الجنوب مائلاً الى الغرب منها قال مورخ التاريخ العجمي
ان شيدار لم ترض ان تحامي وتدافع عن ذاتها فقتلت حاكمها في ذلك الاوان
لانه جمع السكان وهيجهما على حمل السلاح وسلت الى العرب دون ادنى مقاومة
فحينئذ ساعدت حلب قنسرين غير انه لما قطعت الاعداء المواصلات ومنعت
ايصال الزاد والمهام من حلب لقنسرين التزمت هذه ان تسلم وبعد مدة تغلب
ابوعبيدة على قسم من مدن وسواحل نهر الدافى وقد اشتركت قنسرين بالعصاة
مع سورية وحلب وبلاد الجنوب في زمن مروان اخر خلفاء بني امية وهو
رجل شهير الذي لما دخل جامع دمشق الشام اخذ وقيل بمقام خليف واذ
انتصر على سائر امراء عائلته ظن ان الايام قد تاهلت له الا ان فرجه لم يملكه
من نوال ماريه حيث اشتهر عليه عصيان حمص ثم سورية وحلب وقنسرين كما
سبق الكلام وروى بعض المؤرخين انه بقرب قنسرين قرية يقال لها حاصر
قنسرين وبها قال عكرمة

سقى الله اخواننا ورأيي تركهم بحاضر قنشرين من سبل القطر
وفي القرب منها موضع دعاهُ مراراً المؤرخون فراديس وهو محل تسكنه اسود
القباني والقفار وقد استشهد على ذلك من اقوال اكثر المؤرخين والقرب من
الفراديس قرية صغيرة لا تسحق الذكر وهي على مسافة عشرين ميلاً الى الجنوب
الشرقي من حلب. واما وادي الملح فهو الى الجهة الشرقية من صفيحة وهو وادٍ
شاسع جداً يغمره في اوان الشتاء المطر الجاري وعنى الملح الموجود فيه ربما يبلغ
الكف سمكه وهو يجتمع من جملة انواع واقسام من الخ الملح في ويكثر وجوده
في زمن اشتداد الامطار ثم بالقرب منه يوجد خرابات قديمة دعاهها المؤرخون
زوبا ومركزها في جهة الجنوب الشرقي من وادي الملح الذي لا يبعد كثيراً عن
الفرات

وقد زعم بعضهم ان قنشرين هي زوبا المذكورة المنقوشة فيها في سفر الملوك الثاني
وبقرب قنشرين يوجد ايضاً موقع ومركز مدينة الخناصر التي هي مسكن قبيلة
من العرب تدعى سلب وهي قبيلة لم تزل ذارقة في درجات التوحش فانه انقذات
من لحوم النزلان وتكتسي من جلودها وهي لا تختلط مع غيرها من القبائل
مطلقاً وقيل انها جاهلية فلا تعني في المراسي ولا تهتم بامور التجارة وروى ابو
اسحق الاصطخري انها كانت مسكن احد الخلفاء وهو جهر بن عبد العزيز.
ولنرجع الى قنشرين ونقول ان من الامور المتجربة ان يرى مدينة كئذه قد
صارت الان خراباً او دماراً ولم يبق اوان لم يجر فيها شيء مما يستحق الذكر ولم يذكر

حين ناب

عدد سكانها يبلغ حسبما تدل اخيراً في كتاب المرات الوضية في الكرة الارضية
تأليف العالم الشهير الدكتور كرنيلبوس فانديك الامركاني عشرون الف نسمة
وهي مدينة عامرة قديمة وكانت ذات غنى وافروقة فائقة ومن يتأملها يتعجب من
كثرة مياهها ولقد اطبب بمدحها جميع زائري تلك الحلات وذكرها كثير من

السباح المشهورين فمنهم السائح الفرنسي (فولنابي) الشهير وقد ذكر موافق القاموس العمومي في أحد مجلداته الشهيرة أن عين ناب هي بلدة من بلاد ناصول مختصة بولاية سورية التي هي تسم من اسمها الصغير في هذه البلدة تبعد نحو سبعة وسبعين كيلو متراً عن شمالي مدينة حلب الشهباء التي هي مركز ولاية ذلك الجوار وموقعها في ٥٥ و ١٣ طول شرقي ٢٣ و ٥ عرض شمالي وما من سائح أوروبي أتفق مع غيره على تحديد عدد أهلها فمن طالع موافقاتهم يرى أنهم بضربون اثناناً باسناد كواقع في حبص يبص اذ منهم من قال ١٥ ألف نسبة واخرون أكثر وغيرهم أقل وقال أحد المؤلفين المشهورين أن عدد سكانها يبلغ عشرين ألف نسمة أما مواها فهو مقو وبارد ونرسي أحياناً أن عددًا وانرا من الأنام ينفرون من السكن فيها لسبب تلك الداهية الدهياء التي قد أصبحت متسلطة على ذلك الجوار وهي الرلازل المتكاثرة فكم وكم هدمت واحترقت وامات وادخلت أموالاً وأرزاقاً الى حيز الدمار وجعلتها في خبر كان وحينما تحولت بلاد المملكة السورية الى إقليم ريماني قد دعيت هذه البلد عاصمة صغيرة ليضع بلدان تجاورها وفي سنة ألف وأربعمائة قد أخذها تيمورلنك المعروف بقائد جيوش التتر وهذا القائد قلما قد ران يكتب رضى المؤرخين فكان اينها ذهب يجري من الانفال ما ينفر منه كل ذي طبع سليم ونادى ما اجراء في مدينة دمشق الشام اذ انه على رواية قد صنع من جثث الأتلي ابراجاً بلغ علوها عددًا وارباً من الأقدام فما قولك بكذا جسارة تدمرها انلام المؤرخين في كل الزمان . قال بعضهم الى الشمال الشرقي من اسكدرونة تقطع محلات في بالحقيقة ذات منظر يظن المتأمل به انه ثول من خمرة الترم بالشهرة القديمة وانصببت انهار اذ ان تلك محلات مخزنة ومكدرة قلب كل من ينظر اليها لما حاق بها من فرط النادر والاضططاط فان التوائل نلما تمر بملك الطريق وان مرّت فلا تماند لها هناك مركزاً والتركمان هناك متسلطون على المراعي المجاورة تلك القفار وبكي يستانس من قد حل لصدفة في تلك المحلات لزمه ان يصعد الى البلدة التي نحن

في ذكرها وهي عين ناب فاذا ذاك بانني بانام بقدر ان بيدي لديهم ويسمع منهم
مسامرات ومناشآت ويبلغهم وبفهم منهم المرام وعلى مسافة يومين من جنوب شرقي
عين ناب للناحية الغربية من نواحي نهر الزنرات توجد قرية دداها المورخون
اليونانيون (يارابواص) قبل اكتسبت شهرة حيث انها بنيت في مركز (ده ربا
بواس) اي مدينة الشمس وربما يعنون بهذه الاخرة عن مدينة بعابك الار وتد
خالف المورخين اليونانيين احد المورخين المحدثين بقوايه ان موقع مدينة
الشمس بعيد ٦ فراسخ عن موقع ذلك والله اعلم بالصواب

انطاكية

تنبيه المطالع وافكر قليلاً بما تحمله يد النواصب يوماً قيوماً في هذه
المدينة التي انتطت قديماً جواد النجاج ونزه الافكار بروضة تاريخها الذي لا
شك يصبو اليه كل من كان مغرمًا بمعرفة احوال سائر الاعصار
فانهم ان انطاكية هي المدينة التي حازت شهرةً فايتاً بين بلدان المملكة
السورية وموقعها على مسافة ٢٧ كيلومتراً من شرقي حلب واربعين كيلومتراً
من جنوبي حمص التي تبعد مسافة عشرين كيلومتراً عن شرقي بعابك
وهي مشيدة فوق اربع تلال متخارة ولكل منها فروع ماء جارية من العاصي
تسقي اراضيها ومنزعاتها وهي محاطة بعمار صنور ضنية يظن انها من معجزات
الطبيعة وذلك مضروب بالارميل ومستديرة بشنادق حبيقة جداً وهي عديمة
بقلعة شامخة قوية مرتفعة على التل الغربي ولها سور عظيم يحيط بجوانبها الثلاثة
وعلى الجهة الرابعة وهي الشمالية شرقي مياه العاصي التي بقيت باسائرهم ووجد في كل
من نواحيها الرطبة اللازمة واما سورها العظيم فهو صاعد من الجانب الشرقي
الى راس الجبل المشرف على صوايح البلدة ثم ينحطف للشرق وينحدر للجانب
الشرقي لشادي التبروند هدم قسماً يسيراً منه ابراهيم باشا اخذ بوي مصر
ومن حجارته قيل انه بنى منزلاً لجنوده قلع ومركزها على العاصي مركزها

يد النامل المحجب وقد دعاها القدماء دفنا نسبة الى حدائق زهر كانت تحيط بها
 ولما بناها انطيوخوس في سنة ثلاثماية قبل المسيح دعاها انطيوخونيا نسبة اليه غير
 انه لما انتهى بناءها سلوخيس نيقانوروس الاول جاءها عاصمة لسورية ودعاها
 انطاكية نسبة لانطيوخوس ابيه واذا ذاك كانت تعد المدينة الثالثة في بلدان
 المملكة الرومانية مع انها الان ليست سوى قسم يسير من السور القديم وكثيرا ما
 تغلب عليها ملوك الفرس الذين ارجعوها اخيرا اسطورة ملوك البزنطية
 والاسطنطينيين وبعد ان تغلب عليها المسلمون سنة ٦٣٨ استرجعها الافرنج
 الصليبيون سنة ١٠٦٨ وفي سنة اثنتي عشرة وثمان مائة هدم ابنيتها سلطان
 مصر وقتل كثيرا من اهلها وهدم كائنها اما كيفية استيلاء العرب المسلمين
 على هذه المدينة فانما لما افتتح ابو عبيدة اذلب المدن السورية وجد ان من الامور
 الواجبة لتجراح مفاصل انتاج مدينة انطاكية العظام وهكذا امر الفواد بقطع
 النفاذ في وسباسب الافقار وسار مع خالد في مقدمة تلك الجيوش حتى وصل اليها
 فجاء حاب فهناك توقفت تلك الجيوش ما بين شهرين اربعة اشهر بعمارة
 يوكينياوس بن اركلاوس الملك حتى اخبر بوسائله ذكرها رفرق نسر
 الانصار على هامات اواك الابطال واستفتحوا البلدة المذكورة فتكون للعرب
 اذ ذاك اقليم واسع شاسع لا يفصل بينه وبين النهرين سوى الفرات وانكسامة
 الحشود قال موانث نارنج العرب لزم انتاج انطاكية فسارت الجنود بهمة دليما
 ولما وصلت شاهدت تحت اسوار تلك المدينة جنودا كثرارة مستعدة للانزال
 ومناهة للكفاح والحال ثارت نيران تلك الحرب الشديدة ولم يمض زمان طويل
 حتى كسرت جبايرة العرب تلك الجنود الرومانية وصدمتها صدمة بها ابانت الجراءة
 اللازمة وانت نهب المدينة وغزو ما فيها من الغنائم فانتدى ذلك الاهالي بقدر وانرا
 وا ما كيفية استيلاء الصليبيين عليها فهو من اعجب واشهر ما حدث في
 حروب الامم فان منظر انطاكية وشجرة اسمها وغنائمها الوافر كان يحرك واهج
 دائما حاسيات الجنود الصليبية التي اخضعت مدن ليكوينا وهيراكيا وقيسارية

وكبادوكية وسيانا وفوزقون ومردش غير انه كان يلزمها قبل ان تسلم اموار المدينة ان يجهز جسر العاصي الحصن من ناحيتيه ببرجين نظيرين وهما ك كان معسكر الجنود الملمن المخافين بقوة هكذا منيعة لمنع مسيرة ملك الجنود المتقدم ذكرها فلما رأى ذلك الدوك دونورماند يا علم ان لا ابل باقتحام الاهوال والخطار وهكذا هجم بعساكرو على الجنود الملمن وصدما صدمة ابلان بها شجاعة كلبية بها انهزمت جنود الانداه التي هلمت وفرت خوفا من ان نذيرها راج الجنود الظافرة التي رفعت يارق الظفر والعلام الانتصار وعسكرت في سهل واحد واسع يبعد مسافة ميل واحد من البلدة وكان اذ ذاك لملك شاه الشيك انطاكية ولد يدعى اكيان سبق وارعب انطاكية من الهات الحريره والرخاير الملازمة الواقعة عند ما سمع باخبار وفود الصايبيين

واذ ذاك اجتمع الامرء اللاتيدون فتمهم من رأى ان من الواجب بمحاربة تلك المدينة النافقة ومنهم من خالف ذلك وادعى بقرب اوان الشتاء ذى الدرد القاسي والامطار الشديدة حيث يفر راي جميعهم على التوصل لزمن الربيع خيران (ادهارده مويل) افسد هذا الراي ودحضه ببراهين طليفة (وغردا فروادو بوايون) صرخ قائلاً هلم ايها الجنود يكفي ان الزمن تصير فلغتنين فرصة الكفاح ومدار النهاون فان كل فرصة تعطى للعدو تزداد بها توتة نترجع ضوائل حوائجنا اعطينا فنقدى ايها الجنود واكسبى ذلك الشرف الوطني والافنعدم اثار انتصاراتنا المكتسبة بارماج البسالة والشجاعة

ماذا نتظر ايهمنا عساكر جديدة من الغرب التي تشترك معنا في ملذات الافتتاح واكتساب الشهرة النافقة دون ان تكن قاست حضل الشدائد وُرُ الاتعاب الباهظة هلم هلم فانتقلد بالشجاعة وتندرع بالبسالة ولنتكبد ابر الاتعاب قرب جزاً احدى من الضرب ان خزائن انطاكية الجديدة تدحونا اليها وما من مانع يمنعنا عن مصادمة جنودها

فان هذا الخطاب ناثيراً وانراً وقبل برضى في ديوان المشورة الذي حكم

بوجوب محاصرة انطاكية وللحال انتقل معسكر الجنود الى امام اسوار المدينة وانسم الثواء المحلات بأسرها وكل كان يحيط بعساكر جهة منها ددا جبهة المدينة النبيلة المحمية بالجبل الاور وتنادى انها دامت مكتوفة نظير المنيعة الغربية المحمية بالنهر المذكور

غير ان الصمت الذي وجد حينئذ في الابراج والاسوار حتى ينفس المدينة كان معبأ للثامل وقد اوجد في معسكر الجيوش المسيحية قلعا واربا وبنا مفرطاً حتى ان الثواء حكمت بان المخوف وانزع استوايا دلي الجنود المسلمين وتوادوا والاملا كن مناً وهكذا طفقوا يشرعون ويتورطون بورطة الادل واحترقوا البورات التوجبة ففترقوا في المتزيمات والجنابان واعاضوا عن الاستعداد بالملاهي بالذات رغبة نزعهم كن العدو ساهرا يستعد منادياً لامارة تلك النيران الشديدة ولم ينس زمين : يرحى برزت لفيافي الوشي جنود المسلمين وتنادت الصايين المستورطين بورطة الملاهي وصد منهم صدمة لم يكن لهم منها نذر ولا هرب فلم يكتم الخاوص اذ ذاك سوى بامر من اما الاسر واما الهلاك واشتدت بعد تلك المحاصرة وتجددت هجمات الصليبيين دفعات شتى دلى المحاصرين واكن دون فائدة

فعلم الصليبيون اخيراً ان لا فائدة وشرعوا في ضبط المحصار ضبطاً شديداً ومنعوا الواردات من سائر جهات المدينة وشدوا ابراجاً ضد ابراج الامر الذي كان لعدد مصرف منهم واستناداً دلي الامل بمستقبل النجاح انقوا ما كن عندهم من الزاد والفوت بايام قليلة ولما ادركهم زمن الشتاء وقبوا تحت ثقل الامطار الشديدة وخوف هاتيك العواصف والزوابع التي اذاقتهم من الاتعاب اشدها ومن المخاوف اوقاها ولم يصل اليهم شيء من المياه التي اذ كنت في لجمع الابحار اغرقتها عواصف الارياج وبذلك الاوان ذبح الانراك الامير صوفون الشريف النبيل وريث تحت سلطة الدانرك حيناً كان سابراً انبارة اورشليم وسائر الاراضي المقدسة مع خطيبه التي قتلت معه ولما انقطع

رجاء بعض الجنود الصليبية فرمهم قسم وافر هارباً قاصداً الانجاء الى بلاد
كنعان وغيرها من الاقطار التي بها يقدر ان يستتر وفتات والقسم الاخر التمس
الى ورطة المعاصي وارتكاب الذنوب غير انه بواسطة الارشاد رجع اخيراً
وتجلبب بوشاح التقوى ورداء العبادة. ومن المعلوم ان الجنود الاسلامية كانت
عالة بسوء احوال الصليبيين وموقع جنودها الخالي بعدم اهتمامها في الاستعداد
لواجب لتلك الحرب المزمعة ان تحدث الامر الذي كان يوجب حظوا الزوائد
وسرورها المفترط ومن ثم عينت جواسيس من السريان يحولون خائباً بلا بس
اعتيادية رثة ينحسرون اخبار المسيحيين بنوع ان كل ما كان يحدث من الاذلال
والويلات في المعسكر المسيحي كان يشتهر حالاً لدى الجنود الاسلامية

واذ لم يذ لك بوهيمون رسم بان كل غريب يماهد في معسكر جنودهم يصبح
حالا فريسة نيران المحنة والنصب وهكذا ابطال جميع لجواسيس فامتنع وصول
معرفة احوال الصليبيين للمعسكر الاسلامي وبينما هم كذلك وندت رسل الخيانة
المتولي اذ ذاك دلى القطر المصري واعلنت للصليبيين ان الخيانة بروم اتحاد
المودة معهم فسادهم ان قبلوا وبجارتهم ان رفضوا انهض حينئذ احد النواد
وخطبهم معلماً بجراءة ارادة جنودهم لاثارة الحرب وتال لم امضوا وقولوا هكذا
لمن ارسلكم ذاك الذي كتب محمداً اما الصلح واما الحرب ان الصاري الناصيين
معسكرهم امام مدينة انطاكية لا يهابون الشعوب المصرية ولا ملكها ولا الحجة
ولا من يسكنها ولا يمكنهم الاتحاد سوى مع مالك روساؤها بخدمون الشرايع
وبوقردن سناجق العدل المسيحي وبعد ذلك احدثت الجنود المسيحية بالقرب
من انطاكية واحاطنها معركات شتى بها نالت النكبة والانتصار وتشدت الحصار
ضد انطاكية واستدارتها من كل ناحية ولولا الخاصمة التي حدثت بين قوادها
لاستفثت المدينة

غير انه في مدة هذه الخاصمة تجددت قوات العدو ومهاته الذي لم يفتقر عن
اجراء اشد الاضطهادات دلى اسرهم الجنود المسيحية وقد ابقي لنا التاريخ اسم

احد اوانك الاسرى الابطال الذي مات شهيداً لشجاعة سطرتهما الاقلام في صحف التاريخ فمنا البطل يدعى رامين بوشاراتي به المسلمون لادلى السور تجاه اخوته الصليبيين كي يرجوهم بان يستفكوه بما يليق بمقامه فالد ليبي خاطب اخوته هكذا . . . احرسوا جداً متحسين من ان تفعلوا لاجل انقاذي من الاسراقل واسطة نفس صالحكم بل احسبوني ايها الاخوة بانني قد مت فيما مضى وداروا بجدة وانري وكدر مفطر محاربة جنود هذه المدينة التي عن قريب تقع تحت سطونكم ايها الابطال وللحال قطع راسه الجبال

والا بوهيمون قائد الجيوش الصليبية لما رأى ان لا امل بالتحلاص فاستدعى باشد الرسائل رجلاً ارمنياً يدعى فيروز كان احبب الدينانة الحمدية واكتسب رضا سلطان انطاكية الذي اقامه وكيلاً على ثلاثة ابراج المدينة الاخص عظمه وبعيد ماله باعطاء رشاه لان يدبر حيلة بها يسلمهم المدينة ولما كان من طبع فيروز المكر والخيانة قبل منه بذلك ودبر ما دبر اذير ان بوهيمون اقام مجلس المشورة وخاطب اعضاءه هكذا

لا ابل ولا رجاء والى انوع تشهد بذلك ولا وسيلة سوى الانجاء الى رشاه بعض الاعضاء فرفض رايه بعض النواد خوفاً من انه يتسلط بذاته فقط على المدينة العظمى لدى افتتاحها غير انهم اجبروا على اقبال رايه عند ما طرقت مسامعهم اخبار وفود جيوش سلطان الموصل لمساعدة العدو وهكذا تيل لفيروز ان يتابع لتنفيذ حيلته. اما الحيلة فهي انه في الغد دقت الجنود الصليبية الطبول ورفعت الاعلام وسارت مظاهرة انها فككت الحصار عن انطاكية حتى قطعت مسافة غاب عنها نظر سكان انطاكية الذين رجعوا على عرش الاطشنان ومن ثم اخذ الصليبيون بالرجوع ملاملاً وهدو مفطر وصمت تام ادركو ابرجاً يلعب ببرج الثلث الاخوات المتقلد فيه فيروز الخائن وظيفته الحرس والادارة ولبثت الجنود هناك حتى نصف الليل واذا ذاك ابتدا فيروز بان يتاهب لتنفيذ حيلته فسل اولاً سيفه وقتل اخاه خوفاً من ان يمانعه اذا شعر بذلك وللحال فجر

دم ذلك البري المسكين لدى اعين قائله الخائن الشرس المكر الخداع واذا
 برسول من بوهيمون اتى البرج على سلم من جلد ووقف بين يدي فيروز فاراه
 حالاً جثة اخيه المقتول كبرهات وطيد بمطابقة الوعود فرجع الرسول حالاً
 واخبر بما راي واذا ذلك اسرع بوهيمون وصعد اولاً بذاته على ذلك السلم ثم
 تبعه عدد وان من الجبابرة والابطال وكان فيروز يدوس بقساوة عظيمة على جثة
 اخيه المقتول وشجع الجنود وحثها على الصعود حالاً حتى ان هذا الخائن ابا
 اخيراً للصليبيين ان يقتلوا اخاه الثاني حارس البرج المقابل وبذلك امتلكتوا سبعة
 ابراج اخرها ما بقي الجيوش فقد خلعوا باب المدينة القريبة لذي الابراج ودخلوها
 بازدهام (غودافروا) ورايون وكونت ده نورمانديا وغيرها وخلصوا صواح البلدة
 وللحال لمعت اسنة الرماح ودقت الطبول وهتفت الابواق وثار شرار نيران
 الانتصار وصرخت الجنود هكذا يريد الرب هكذا الخ فكانت ساعة جمعت
 بين دمدمة الابطال وصهيل الخيول وصلصلة السيوف وبين الحظ والانصراف
 فكان ذلك مهتراً سكان المدينة العظمى بالظفر والانتصار وهكذا اتبع الجنود
 اثار من نيران من الاعداء فمن سلم كن اسيراً غير ان حاسيات الصليبيين هيجتهم اخيراً
 لقتل الاسرى وتعذيبهم باشد العذابات القاسية

ونال اذ ذاك الصليبيون المكاناة والسرور بافتتاحهم المدينة العظمى
 وذلك بعد ان ناست هتة اشد احوال وانعاب الحصار الذي دام ثمانية اشهر
 وبعد انتاحتها تنصب بوهيمون ساطاً لها وفيروز اخذ جزاء اوفر الثناء
 واجمل الشرف واسناء وقد تم جميع ذلك في شهر حزيران من سنة الف وثمان
 وتسعين حساباً مسيراً

وكانت انطاكية كما هو معلوم هي اول محل به انتشرت الديانة المسيحية وذلك
 ما يدل على قدمية هذه المدينة وعظمتها السالفة فكم وكمن المعامع حدثت تحت
 تلك القلعة التي يظن من ينظرها انها من عجائب الطبيعة واجمل تذكارات بقية
 العناية الالهية تفكرنا باحوال ام ثابر الايام وكمن من الوقائع حدثت تجاه تلك

الابراج العظيمة التي كثيرا ما سطرت وصنفا الاقلام في صحف التواريخ وكم من
الملوك او الالهة حوى كل من صوابحتها وقد بلغ عدد سكانها قديما ما ينيف عن
سبعماية الف نسمة واما الان فليس بها ما ينيف عن سبعة الاف نسمة وهم اترك
وانصيرية وروم وارمن ويهود واما بيوتها فهي حنيئة البنا صغيرة الحجم وما ذلك
سوى مخافة من سوء عواقب الزلازل التي حسبها يستدل من التاريخ انها تكررت
بها مرارا فانه في شهر كانون الثاني سنة ٤٤٧ للمسيح حدثت زلزلة شديدة في
دار الاسنان العلية لم تلبث حتى امتدت الى جوه انطاكية فهدمت منها قسما
وانرا وفي سنة اربعمائة وسبع وخمسين تكررت هذه الحادثة وكادت تهدم المدينة
باسرها وقد قلبت مبانيها الجديدة كانه مع محلات صناعاتها باسرها في المائة
العاشرة مساء في اليوم الرابع عشر من شهر ايلول من السنة المذكورة واذ ذاك حركت
الحاسة والهمة ليون الملك الذي لم يقترع عن اجراء المساعدة اللازمة لقيام
خربانهم وقد وهبهم قسما وافر امن النضة واعفاهم من الرسومات الميرية وفي
سنة ٤٩٤ حدثت زلزلة خربت مدينة منبج مع اللاذقية وانطاكية العظمى ايضا
وبعد سنين يسيرة كسبت انطاكية رونتها وجمالها الاولين وشارت على جواد
النقدم والنجاح حتى ادركت سنة خمسمية وست وعشرين فحدثت اذ ذاك في ٢٩
ايار زلزلة مهولة احوالت بعض جهاتها للدمار غير انه حدث ذلك لدى اوان
النداء حيث كانت النار لم تزل في وجانات البيوت فصدف وجود ارياح قوية
اجابت النار واصلتها لمحلات اخرى ومنها تلك الكنيسة التي لم يذكرنا التاريخ
عن شبه لها في سائر الانظار وهي الكنيسة التي بنيت في ايام سطوة وافتخار الملك
قسطنطين المشيدة اركانها بالمرمر والرخام الطلية بالذهب الروماج غير انه لما
لم تؤثر فيها تلك النيران اكملت حول اساسها وبعد ان دامت مدة بنية باذ طرام ما ينيف
عن ثمان واربعين ساعة اسقطتها فضيحة هذه الحريقة اجلبت عساكر الرومانيين
من قم الجبال وقد نهب المذكورون جميع ما سلم من اقوام النار من
المال والامتعة وما اشبه وغلب مضي شهر اقيم من تحت الردم اشخاص كانت لم

نزل في قيد الحياة وقد اقتاتت بتلك المدة ما وجد في بيوتها وأطفالاً حديثي الولادة دون أمهاتهم اللواتي ذهبن فريسة الزلزلة والنار فبلغ عدد اموات تلك الحادثة حسبما اخبر احد معاصري الزلزلة مائتين وخمسين ألف نسبة

وغب مضي سنتين أي سنة ٥٢٨ حدثت الزلزلة في انطاكية التي هدمت كل ما كانت تركته الزلزلة التي حدثت قبلها وقد قتل فيها أربعة آلاف وثمانماية وسبعون نسلاً وحيتلر أهالي المدينة لقبوها بتيوبولس أي مدينة الله أملاً برفع هذا الغضب وفي زمن يوستينانوس الملك الاقدم حدثت بها زلزلة ايضاً اهلكت خمسة وعشرين ألف نسمة وفي سنة ألف ومائة وخمس عشرة حدثت الزلزلة التي كادت تهدم المدينة مع ما كان تجاوراً لها ثم في سنة ألف وثمانماية واثنين وعشرين حدثت زلزلة مدمرة قوية احوالت قسماً وافراً منها للدمار واهلكت عدداً وافراً من السكّن وفي سنة ألف وثمانماية واثنين وسبعين حدثت ايضاً زلزلة لم تلبث حتى ابادت اذاب صوابها وترجعت اساسات الابنية التي بقيت حتى صارت سريعة العطب فمن جملة الابنية التي هدمت حيتلر وجدت الكيسة المختصة بطائفة الروم الارثودوكسين وهذه الكيسة قد كلنت اموالاً جزيلة قلت وقد هلك في هذه الحادثة ما ينيف عن ألف وخمسمائة نفس وتعطل من الاشغال والارزاق ما ليس يسير وكانت تتبع تلك الزلزلة القوية زلازل خفيفة وسبب ذلك اصبح أهالي انطاكية في فاقة شديدة واحتياج مفرط ولذلك صارت المباشرة بقيام عمدة مخصوصة وجمعت لهم احساناً من سائر الطوائف وجميع كل منهم هذا الطلب بالمصادقة والايجاب ولما كان اغلب سكان انطاكية من الطائفة الارثودوكسية الذين هدمت فيها كنيسهم قد توجه بأمر خطبة ابروتوس بطريرك الطائفة المذكورة حضرة الاب الارشيمندري شربل جباره الى الديار المصرية لجمع الاحسان لاولئك المنكودي الحظ وهناك تقابل بحضرة خديوي مصر المعظم وبجمل فصيحة قد اوضح له عن وجوب المساعدة وتدارج طلبه بالقبول لدى الخديوي وسكان القطر المذكور هذا وان هذه المدينة الثالثة

الصيت المشهورة شهيراً فانما ما بين البلدان السورية ثقت قد نبأ باطمانة
 المشرق وكانت تعد بعد رومية والقسطنطينية من اجل المدن في اقطار العالم
 وهي في ما بين بلاد معتبرة وخصبة وقد سكنها كثيرون من الملوك الرومانيين
 الذين زينوها باجل الابنية واهل الخزفيات التي يقيم بها فكلما يتأمل غريباً
 ودلاً وكان فيها اشياء مبهجة ومعجبة قد حركت حماسة الجود الصليبية لانتهاج
 الحرب المدونة وهي كانت مقر السباح وزوار العالم الغربي اذ كانوا يتقاطرون
 اليها من كل قطر ومكان وتغاليل للجلال برياض العاصي ان حصونها وكثرة
 ابراجها العظيمة من اجل مبتدات الطبيعة حيثما كان غطاءً بانصاف
 الاشجار المنضوع منها رواج رندت تلك الازهار الزكية تجاذب حيرات تلك الياض
 الصافية ونسيم ارياح فنون ابد شاطي ذلك العاصي الذائع اسمه في صحف توارخ
 الامة وانه في سنة ٤٢٩ قدمرت الملكة اندوكية امراء الملك تيودوس وجاءت
 هناك على كرسي ثمن متلاليء بالحجارة الكريمة والجواهر المرصعة وخطابت خطاباً
 به جمعت ما بين البلاغة والبراعة وانصحت عن نمو المدينة العظيمة وشبابها
 الباهر بجمل محرقة هيئت ذلك الشعب النافع الذي اقام لها ثمانين احدى من
 نحاس والاخر من ذهب فوضع الاول في خزينة الثنف والثاني في تحفة انتفاضة
 وقد شرت الملكة سروراً بعجز القلم عن تبيانها وخمرت السكان بابي الخطاب
 وانزل الهبات

وفي دائرة هذه المدينة يرى الناظر من اجل الاشجار المغروسة ببساتين
 محصنة ذات حيطان مرتفعة واذ انبها ذات هيئة جمعت ما بين الهدوء والسكون
 من يتأمل بها ويشراصة تلك التحصينات بصمت مهابة واجلالاً ونظراً لما كانت به
 من وانحر التحات قد اتلها دد وانحر من الشراكة خوفاً ما تثيره من المحروب
 العداكر الصليبية

وحول انطاكية ضيع وقرى كثيرة لم يزل سكانها رانعين في هرادس الشوحش
 وباسب البريرة الشاسعة فعليك اذا ايها المطالع ان تتأمل

سويدية

قال بعضهم ان السويدية هي سلوقية ذاتها التي بناها سلوخيس نيقاتوروس الاول واشتهرت انه يارافانثا في التاريخ وقال اخرين ان السويدية هي بلدة غير سلوقية والله اعلم

وهي بالقرب من شالي مصب العاصي وعدد سكانها مع سكان الخضيع المجاورة لها بلغ نحو تسعة الاف نسمة من النصرانية والارمن والروم اقول ان هذه المدينة قد اشتهرت قديما وفيها كان يرسو عدد وافر من المراكب البحرية واما الان فلما ترى في ميناءها سوى بعض قوارب حربية خائضة امواج البحر اصيد الاسماك وهذه القوارب الان هي عوض عن تلك المراكب العديدة التي كان ينظرها الانسان في مينائها النجاج

وان داود المورخ المذنب في احوال البلاد الشرقية قد وصف في كتابه الشهيرة حالة البلاد السورية في زمن الرومانيين وقابلها مع الحالة الحاضرة الحزنة فمن ذلك عند انتهاء كلامه في وصف ما حل في انطاكية من التناحر اذ قال وانا ترك هذا المظار الاطلي ولنايين الى منظر يكاد يقطر قلب المرء حزنا وتأسفا منظر ميناء مدينة السويدية تلك التي كان يظن ناظرها انها عاصمة اشهر قسم في الآلة الاضية لما كان يرى الوثنا من المراكب المستعدة للخروب راسية في مينائها والان لا يرى سوى بضعة قوارب مطروحة غابا على ذلك الرمل المحرق اقول وليس الامر بهذا المتدارفان ميناء هذه المدينة لم تزل ذات اهمية واوريسيرة فهكذا بقدر استطاعتهم بان في شالي سورية كان نسل من اليونانيين غير المعروف في الاعل عندنا من الرومان واليهود وشيخهم ولكن مشتركنا بالحوادث ونسأولنا بوسائط النجاج وقد بناها القينقيون حسبما نص مؤلف سورية ودعيت حينئذ (اوجيا وديريا) كما درن ذلك في تواريخهم واما سلوخيس نيقاتوروس الاول فهو الذي جدد اسم رايتهما وظاهرها فقد سماها باسم سلوقية ودرن داود في

تاريخه انه قد اضيف اليها اسم بيار وما ذاك سوى نسبة الى الجبل المجاور لها المعروف بهذا الاسم وروى في جغرافية فولتارنا توس ان سلوخيس نيناتوروس دماست عشرة مدينة باسم انطاكية نسبة الى ابيه انطاوخوس وتنع مدن سلوقية نسبة اليه وخمساً لاذقية نسبة الى اسم والدته وثلاثاً لآباءها نسبة الى اسم امراء وقد ارناى بعضهم ان باني سلوقية هذه هو سلوخيس المذكور الذي دفن فيها والارجح انه دفن في سلوقية التي كانت مركز ولاية السلوقيين المكثفة بالقرب من بابل اما سلوقية هذه التي هي الان السويدية كانت ميناء لانطاكية وقد كتب (اورويروس) ان بومبايوس اذ تولاها ساها سلوقية الحرة وقد اسس فيها الرسولات بواس وبرنابا كيسة سيم اول اسقف عليها (دوستيارس) ثم زينوبيوس اسقفها حضر في الجمع القسطنطيني الاول وقد قيل ان طيباريوس قيصر هو الذي عمل ميناءا والذي اصلحها هو نيرون مع من سلف من الملوك الرومانيين وان تمسكاس الملك بن قسطنطين الكبير حسبما روى ثدرا نوس قد حصن في السنة المباشرة من ملكه هذه المينا ووسعها وقد هدمت ابنية هذه المدينة فيما حدث من الزلازل التي اخربت انطاكية وجوارها سنة ٥٢٦ وسنة ٥٢٨ وكانت تسمى في زمن الصابيين مينا سمعان واما السويدية الان فهي كقرية حنيرة وقرق السويدية جبل موسى عليه السلام الذي دناهُ المورخون مراراً بياراً ثم بابه راس الخنزير الذي دعي قديماً صخر (روصوص) وهو جبل عال فيه ذاب متكاف وقد قال بعضهم ان ارتفاع هذا الجبل عن البحر نحو الف وستماية متر ثم بعد ذلك راس صغير منخفض يسمى راس عرصوص وهناك روسوس القديمة التي ذكرها المورخ سترابون في تاريخه الشهير فلا يرى المتأمل هناك سوى بيوت حنيرة وبن راس الخنزير بيندي خليج اسكندرونة المسمى قديماً خليج البرس

اسكندرونة

ان اسكندرونة هي الى الشمال من مدينة انطاكية على ريف البحر وهي ميناء

حلب وموقعها في درجة (٢٢) ودقيقة (٥٥) من الطول الشرقي ودرجة (٢٦) ودقيقة (٣٥) من العرض الثاني وقد قال في الجغرافية ابو الفدا باب اسكندرونة ونص احمد الكاتب هذا ان باب اسكندرونة مدينة على شاطئ البحر المتوسط او الرمي بالقرب من مدينة انطاكية النخاس وان بانيتها ان ابي داود اليباري في ايام خلافة الهادي وقال موان سفر الاخبار ان باب اسكندرونة هو من جهة حلب وبانك يبعد مرحلة عن (بفراسي) اذ ين بفراسي وباب اسكندرونة اثنا عشر ميلاً وزعم بعضهم ان اسكندرونة التي دعيت تدنيا اسكندرية على (ابسوس) هي في مكان ميريا ندروس وارتأى اخرون ان ميريا ندروس كانت بعيدة عن اسكندرونة نحو عشرة الاف متر الى الغرب وذلك في الخل المدعى بثريرة وبث ثم انه على مسافة ساعتين ونصف من اسكندرونة والى ناحية الجنوب الشرقي قرية (بيلان) وهي مركز اقامة قناصل الدول وبعض معتبري اسكندرونة في زمن اشتداد حرارة الصيف وما ذلك سوى وقاية من الامراض المتسلطة على اغلب سكان البلدة المذكورة

ومينا اسكندرونة امينة من طوارق امواج الساحل الذي قد تعب الملاحون الندماء بتهديد وترتيب رمل الكثيف غير ان الاقامة في هذه البلدة غير مستحسنة نظراً لما يهددها من الاخطار في زمن الشتاء ومن ذنابل عواقب الامراض في زمن الصيف ومع انها انسب مينا لمدينة حلب الشهباء فحجرها ليس ذا اهمية كلفة وهكذا ارقان اسكندرونة مبنية على سبل من النبات الناعم من المياه المتدفقة المضرة فالك ترس سكانها يهاجرونها وهم في درجة ضمنية من الصحة ويري فرقاً كبيراً بين صحة اجسامهم واجسام سكان قرية بيلان البنية بميل مجاوره محل ينبعث منه خرير مياه تبهير منها اترين المتأمل وان نصارة منظر هذه القرية وما انصفت به من المناخ عروب صبرورتها مركز اقامة معتبريه اسكندرونة منذ اخر شرايا رحتى ان ثل كئون ان في نيلك الاوان انواع ومسر الاقامة فيها هذا وان اهلها الذين يتبعون من ان فرهم وتخصولات

مزروعاتهم على جانب عظيم من البساطة كما هو داب فلاجي هانك القرى
المجاورة لها

والى الشمال الشرقي من اسكدرونة ترى قرى وضيعا اهلها عديموا تمدن
والمعارف وارض شاسعة فيها مراعي وافرة متروكة لسلطة التركات اما
صنوبرها فليست سوى ماوى اولئك الاكراد الذين لم يتفكروا عن السلب والغزو
وقطع الطرق وهكذا اذا لازم الانسان المسير حتى عين تاب لا يشاهد الا تليابين من
الانراك والارمن المسيحيين وقلا ينظر سوقا او غيرة من الاحياء التي بها يتعزى
القلب البشري

ثم الى الجنوب الشرقي من عين تاب وعن بعد يومين منها على الشاطئ الغربي
من النرات توجد قرية دعاها من تاخر من المورخين (يارابولس) قيل انها
اشهرت اسبب انها مبنية بحل بعلبك القديمة غير ان (قولناي) الشاعر الفرنسي
الشهير ضاد ذلك بقوله ان خرابات بعلبك الموجودة تعد مسافة اربعة
وعشرين كيلومترا عن جنوبي يارابولس المذكورة

هذا والله ايس يوجد في القرية المذكورة قناة ماء من تلك الاقنية الشهيرة
بكمائة نفريبا في اغلب نواحي الولاية الحلبية

وهكذا قد قال موانب سورية ان اراضي الولاية الحلبية اتي منها اسكدرونة
هي اعظم برهان به يستدل المرء على معجزات الطبيعة وحينما يسبح احد في
تلك القرى والبلدان لا يرى فيها الا ما سبق شرحه في ملخص تاريخنا هذا

هذا وان اخلاط الامم في كل قسم من اقسام الولاية الحلبية يقدم للتأمل
منظرا هجيا به ينشرح القواد اما باياس فهي الى الشمال من خليج اسكدرونة
وعلى بعد مسافة ثلاث ساعات منها وهذه المدينة سميت قديما باياوا الى الجهة الشمالية
ايضا مدينة (باسي) المار ذكرها وقد قال فيها ابو الزدا (اياس) بلدة كبيرة على
ساحل البحر ومينائها جميلة المنظر بها اقام الافرنج برجا يحشمعون به كالقلعة فمن
اياس الى بقراس مرحلتان ومن اياس الى تل حمدون مرحلة واياس هذه تد

صارت مأوى ومجمعاً شهيراً للتجار براً وبحراً واشتهرت ميناها عندما افتتح المسلمون السواحل البحرية من الأفرنج وهو حد سورية من جهة الشمال اذ من ثم تبدى كيليكا التي هي من اقاليم اسيا الصغرى وقد دعت بهذا الاسم تمييزاً لها عن القارة المسماة اسيا الكبرى اما الكسنة السودا والمارونية المسماة بذلك نسبة الى هارون الرشيد فهما من الثغور في اواخر جبل اللكّام ومركزها الى الشمال الشرقي من بانياس وقد روى ياقوت الحموي في المشترك انه الى الجهة الشرقية من انطاكية على بعد مرحلة توجد قرية حارم وهذه القرية هي مرشح للتأمل المدهش وفيها من المنزهات ما ليس ييسر فانها ذات مياه وبساتين وهي على شعبة من الجبل الاعلى وروى بعضهم انها كانت ذات اهمية وشهرة في زمن اضطرام نيران الحروب بين الأفرنج والمسلمين ولم تبقى كرور الايام من ابنتها القديمة سوى القلعة اما قرية دانا التي لا تستحق ان تذكر في هذا الكتاب الا لكثرة ما ينظر المرء فيها من الاثار والمياكل القديمة وغيرها في شوارعها فهي الى الشرق من حارم والى الجهة الشمالية من دانا جبل سمعان الذي يوجد فيه عدد وافر من الخرابات القديمة وبعضها يسمى القلعة قال مولف المראה الوضعية انها كانت قديماً هيكلًا وربما صارت كنيسة هذا وان اهالي تلك البلاد لا يعتنون الا بالفلاحة ورعي المواشي التي تكثر بهاتيك النواحي اما اشتهر قرى سلسلة الجبال الممتدة من جنوب حارم الى شرقي العاصي فهي سلقين وفيها نحو اربعماية بيت من النصيرية وسفار وهي نحو ستين بيتاً والمحمزي وفيها نحو ثلاثين بيتاً والعلاني وهي نحو مائة بيت والدويلة وتل عمار وكل يبلغ ثلاثين بيتاً تقريباً ودبركوش وفيه نحو مائة بيت واغلب سكان تلك القرى نصيرية

اما مقاطعة الروج فهي الى شرقي هذا الجبل وقد بلغ عدد سكان ضيعها وقراها نحو اثنى ومائتي بيت واكثر اهاليها هم من الصيريين ايضاً والى شرقي الروج يوجد الجبل الاعلى وفيه وفي توابعه ما ينيف عن خمسين قرية واغلب اهاليها دروز ثم ان من هذه القرى كفتين وهي حسبما روى بعضهم في سهل

شاسع الى الناحية الغربية من موقع قنسرين وان سهل كفتين بهج المنظر مخصب
بكثر فيه شجر الزيتون ويمتد جنوباً حتى جوار حماه ويغلب في كفتين طائر الحمام
الذي يباع منه كثير في اسواق حلب اما معرة قنسرين التي يدعوها بعضهم معرة
قنسرين فهي الى جنوبي كفتين وعلى بعد ستة اميال منها وكان فيها قديماً سور
وقلعة غير ان نواب الدهر لم تبقى فيها سوى اثار طفيفة واهلها نحو ثلاثة الاف
نسمة وفيها سوق يقصد كل يوم جمعة من كل سبعة وكذلك يوجد خرائب متسعة
في الجبل الاعلى الى الشرق من هذه الاماكن المنوّه عنها وفي الطرف الجنوبي من
قرية بشندلايا وقد يكثر التمور والخنزير البري والذب في هذا الجبل وجواره
وعلى بعد ثمانية عشر ميلاً من جنوبي كفتين قرية اداب وهي قرية كبيرة
بالنسبة الى غيرها واهلها نحو ثمانية الاف نسمة منهم عدد وافر من الروم وفي هذه
القرية يصنع الصابون بكيفية وافرة وذهب بعضهم الى ان الزيتون الموجود هناك
هو حديث الوجود لان القديم قديس بسبب تجدد نهر العاصي المواد من اشتداد
البرد الذي حدث بهاتيك الاطراف منذ مائة سنة اما ربحا فهي الى الناحية
الجنوبية من ادلب التي ذكرناها وهي على نحو ثلاث ساعات منها وقد روى
بعضهم انها تهدت وقصر والقصر اشهر وصادق على ذلك باقوت في المشترك ومن
المعلوم ان ربحا هي من اشهر اماكن حلب وفيها من البساتين ما يندر وجوده في
سائر اقسام الاقليم المحلي ومنتزهاتها شهيرة ويحق للمناخين الاطباء بمديحتها
ومركزها حسبما قيل على سفح جبل اربعين الذي توجد فيه مياه عذبة صافية بها
ينتهج النظر واماكن حسنة للتنزه وفيه قبور كثيرة منقورة في الصخور وخرائب
متسعة شهيرة وسكان ربحا ثلاثة الاف نسمة وهم مسلمون وبالقرب منها مغارة كبيرة
هائلة دعيت مغارة الاربعين واما البارة التي لا تسحق ان تذكر الا لكثرة
خرابات جوارها فهي على مسافة نصف مرحلة من جنوبي ربحا اما معرة النعمان
فمركزها الى جنوب شرقي البارة وهي مدعوة بذلك نسبة الى النعمان بن بشير
الانصاري الذي اذ اجاز فيها مات في الداء فاقام عليه والنعمان توفي مقتولاً في سنة

٦٥ نهجرة وذلك من اهل حص الذين ادركوه بعدما فر منهم واشهر من قام في
المعرة ابو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري الشاعر الاعلى
المشهور

اما اهل معرة النعمان فيشربون من الابار والى الجنوب الغربي منها كفرطاب
وبالتقرب من كفرطاب معرة حرم وقد زعم بعضهم ان كفرطاب هي ارض طوب
المشار اليها في سفر القضا
وفي تلك النواحي وجد ايضا جملة اماكن سميت معرات كمعرة بيطر ومعرة
علبا ومعرة بحواين

حمام

ان حمام هي على جانبي العاصي وعلى بعد مائة وخمسة وثمانين كيلومترا من
شمال شرقي دمشق الشام وكانت تعد من اجمل واشهر مدن سورية الشرقية
ومركزها على سفحين بعدها ينظر وادى مزهر بانواع الازهار ومزدهر باجمل
الحمايل وبوسطها يمر العاصي الذي يشطر البلدة الى قسمين وعلى ساحليها توجد
عدة اقنية وبما ان مركز حمام اكثر ارتفاعا من العاصي فيوجد نواير منها تندفق
المياه الغزيرة التي تسري حالا الى الاقنية ومنها الى جهات البلدة

وهكذا يحدث من جرى دوران هذه النواير ضخمة يصعب احتمالها على كل
من لم يكن معتادا عليها وبالحقيقة ان منظر تلك المياه الجارية وتلاعب امواج
ذلك النهر الجميلة والتأمل بمجئها تلك الحدائق المزدهرة هو من اجمل عجائب
الطبيعة وفي حمام عدد وافر من الحمامات العمومية والقوافل واسواقها مشهورة
كجوامعها وعدد سكانها الان ثلاثون الف نسمة مع انه تجاوز المائة الف في الزمن
القديم هذا وسكانها موصوفون برقبة بجانب ودقة الافكار حتى ان اغلبهم كانوا
شعراء ولذلك دعاهم المورخون العصفير المتكلمة وعن بعد خمس ساعات من

حماء توجد اثار مدينة اراتوس حيث اتوفى القديس مركيانوس وهو شهيد اضطهادات الملك يوليانوس الذي كان حيثث في سورية وقد جرى في حماه من النادر ما يتيه به فكر المتأمل وما يحكى انه في زمن الدولة المصرية تولى حماه عبد نسي فرج وكان ظالماً كرهه الشعب لشدة ما شهريه من الصرامة فامتثل يوماً ما الشيخ امين الجندي بازام خديوي مصر ولما سئل عن حالة حماه وحكومتها اجاب كل الامور اذا ضاقت لها فرج الا حماة اناها الضيق من فرج

اشارة الى فرج الذي كان اذ ذاك متولياً حماه ومنهم من ذهب الى غير ذلك والله اعلم بالصواب وقد ظهر فيها كثير من الشعراء والعلماء قال ابو الفدا المحموي هي انز البلاد الشامية وهي كثير من مخصصة بكثرة النواحي دون غيرها من البلاد الشامية اما بناؤها فهو قديم جداً قال يوسف المورخ اليهودي ان بانيتها هو حمت بن كنعان بن حام بن نوح عليهم السلام وهي المسماة في التوراة حمت باسم بانيتها وكانت على الحد الشمالي من الارض التي وعد الله بها بني اسرائيل كما هو مدون في سفر العدد ولها سور عظيم قيل فيه سور حماه برزها محروس وهي جملة بدعيه التركيب تقرا طرداً وعكساً

اما مؤلف سورية فاذا وصل في الكلام عن حالة الاقليم الحالي قال ولتقدم قليلاً لجوار وادي يجري فيها ذلك العاصي على تلك المحصى البيضاء المشابهة الجواهر الدرية بصفائها الباهر وانشاهدن على ذاك السطح قليلاً اجمل واشهر المناظر وتلك الازهار النامية والنواحي الخصبه السارية عليها تلك الطروش العديدة نعم ان بدياك الجوار توجد المدينة التي فيها قم تلك الجوامع المرصصة وحجارة هاتيك المآذن الشهيرة وتلك البيوت المحاطة بالف نوع من الاشكال المبهرة المتقدمة كمروس امام امواج ذلك العاصي الشهير وتنظر تلك الاراضي المحاطة شمالاً ويميناً بالغل والزيت والياسمين النامي لدى الابواب وتلك النواحي التي لم يسبق التاريخ بذكر مثل لها هذا وكانت حماه مركز اقامة ائلاف تجار دمشق الشام الذين زينوها رويداً رويداً بما يلد ويزيد رونق غناهم وبما يطاين افكارهم

وانشغافهم الزائد في المناظر الطبيعية ولندخلن الى احدى محلات هذه البلدة
فنرى في كل حوضاً وبركةً منها تدفق المياه الصافية وبعض المحلات هي مبلطة
بالرخام الابيض ومغطاة بذياك الطوان ذي اللون القرمزي الذي يبهج النظر
هذا وان حماه كانت بالراحة في زمن افتتاح العرب الاقليم السوري وقد شاركها
بتلك الراحة اغلب المدن التي كانت على شاطئ العاصي خيوان التاريخ اخبرنا
ان العرب افتتحوا اخيراً سائر تلك البلدان عدا حماه فانه لم يات بذكرها
روى ابن العبري في تاريخ الدول سنة ٥٥٢ هجرية قال انه حدث بالشام
زلازل كثيرة قوية فاخربت كثيراً من البلدان المجاورة لها ومنها حماه التي كان فيها
معلم اذ فارق المكتب لغرض ضروري حدثت تلك الزلزلة فهدمت البلدة
واستطعت اساسات تلك المدرسة على تلامذتها ان يقولوا انه لم يات رجل يسأل عن
صبي له فكان ذلك شاهداً كافياً لكثرة القتلى الذين توفوا بتلك الزلزلة وروى
ذلك البطريق اسطفانوس الدوميني عن ابن شباط في تاريخ سنة ١١٥٦ مسيحية
هذا وانه ينسب الى حماه كثير من الادباء فمنهم ابو الفدا وياقوت والشيخ
نفي الدين بن حجة الشاعر وشيخ الشيوخ وغيرهم وعلى نصف المسافة الكائنة ما
بين حماه وخمص كانت توجد مدينة الرستان وهي الان خراب واما زفرون فهي
لشرقيها على مسافة سادة وخرائب مدينة سليمة التي اشتهرت في زمن اليونانيين
اشتهاراً ذابعاً الى شرقي حماه على مسافة اربع سادات واذا تركنا حماه وتقدمنا
بضعة اميال فلا نرى سوى سهول مخصبة محروثة باعداد تخدم حماه بلدة
المنتزهات ثم بيان لدى اعين المتأمل تلك المحلول مع بضع مزارع حقيرة بالقرب
من القصب الكائن على ساحل النهر ولا بد من انه صودف الانسان مراراً بانثار
بعض من تلك الانثار اليونانية التي كانت تحاكي بارتناحيها السحاب الا على ثم
بعد ذلك على مسافة مسير نصف نهار توجد مدينة حمص فما اجل من ذلك
سوى مخدع النضاه فان الذي يدخله يظن ذاته انه في عالم الافكار والاحلام
فهناك ما يجعل المرء يفكر بقدرة ذلك الخالق القدير فان ذلك المخدع هو ذو

خمس نافذات بها يتلاعب النسيم راقصاً على تلك الكراسي الرخامية المزينة بأية
 البخور وبروق الازهار ثم تشاهد عواميد منقوش عليها ثابعا باللون الازرق
 والاحمر وفوقها ذلك الطوان البياضي المرسوم عليه رسم تلك الاشجار الذهبية وبين
 كل من العواميد المذكورة مرسوم باحرف جميلة تعد من مفتخرات الشرق بضع
 آيات من الثران وبعض آيات من نثائس المنظومات فيشاهد من جهة اسلحة
 فلما كان ياتي اولو ذلك الفن يمثلها ومن اخرى مكان الحيوانات المغطى بالحريز
 وما يختم هذا المحل المحافل هو منظر سجادات بروسا ومخمل سوفا امام حوض
 منه تندفق المياه ويقوت الحموي يعد هذا المؤلف اشهر الادباء وله التأليف
 العديدة واشهرها كتاب معجم البلدان قد ذكر فيه من الاساليب المستحسنة
 واودع درر فصاحة تشهد له بطول الباع في فن الجغرافيا وهذا الكتاب لم
 انظره مطبوعاً وكنت كثيراً ما اصبولان اطلع عليه نظراً لما سمعت من
 الاطباء بمدحه الى ان وجدته في اليوم العاشر من شهر اذار في سنة الف
 وثمانمائة واربع وسبعين في مكتبة راغب باشا في دار الخلافة العلية فابتهجت به
 وطالعت بعض صفحات منها علمت انه خلد ذكر مولفه وهو خط اليد قبل انه
 طبع في فينا عاصمة بلاد النمسا والله اعلم بالصواب

وكثير من السياح الاوروية حينما زار البلاد السورية رغب ان يطلع على
 كتب ومولفات ابي الفدا نظراً لما يعهده الجمهوريه من الاستقامة والتدقيق
 وعدم التغرض في الكتابة الامر الواجب على كل مورخ فمن جملة من اطرب
 بهدج هذا العالم داود صاحب التاريخ الشهير الفرنسي الذي اطلال البحث به
 عن احوال الشرقيين . انتهى

هذا ما ورد من الادباء عن مدينة حماه قال بعضهم
 نواخير في وادي حماه اذا بكت تهيج مني بالبكا مدمعاً قاصي
 واني على نفسي لاجدر بالبكا اذا كانت الاخشاب تبكي على العاصي
 قال اخر

عاصي حمّاد هو النهر الذي تذبّت مياهه قد عصى في كسّم تقدير
شرابه لم تدبر ايدي السقاية الى الاعلى حسن اصوات النواعير
قال ابن خطيب الاندلسي

ناعورة تحسب من صوتها منيما يشكو الى زائر
كانما كيزانها عصبة رموا بصرف الزمن القاهر
قد منعوا ان يلتفوا فغدوا اولهم يبكي على الاخر

حمص

حمص مدينة بالشام مشهورة لا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لانه اسم
العجمي سميت برجل من العالقي يُسَمَّى حمصاً ويقال رجل من عاملة اول من
نزلها وان حمص هي المساة قديماً (امه ز) فهي على مسافة مائة وستة وثلاثين
كيلومتراً من شمال شرقي دمشق الشام وعلى مسافة ٢٥ ميلاً من جنوبي شرقي
حمّاه وكان فيها ولم يزل عدد وافر من الجوامع الشهيرة والكنائس المختصة غالباً
بطائفة الروم وفيها جملة اسواق وخان كبير وكان منجرها قديماً بالقطن والحبر
والان بالصابون ولها علاقات تجارية مع حمّاه والشام وحلب وانه في سنة ١٨٢٢
حدثت فيها الموقعة ما بين جنود الدولة العلية العثمانية وابراهيم باشا خديوي
مصر وقد دخلها سنة الف وثمانية واربعين الانكليز واستفتحها المسلمون سنة
ستماية وست وثلاثين للمسيح في زمن خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح
وكثيراً ما اظنب المورخون في مدح حمص ومناخها منهم ابو اسحق الاصطخري
اذ قال انها اصح بلاد الشام هواءً ونبهةً وفي اهلها جمال مفرط وليس فيها
حيات ولا عقارب . انتهى

اما القلعة التي كانت فيها فقد تداولتها بد الظروف وحوادث الايام حتى
ادخلتها حيز الخراب وكان فيها في ايام (ماكران) هيكل شهير للشمس فكانوا
يكرمونها تحت اسم (عاليوغيل) وحسب ما روى من تاخر من المورخين ان الكاهن

الذي كان في هذا الهيكل كان يدعى (باسيانوس) وجدته (ميزا) اخت الملكة (بوليادومنه) امرأة (سينيوس ساويروس) فهاتان زعمتا ان ترقية الى سدة الملك فاحضرتاه امام الجنود التي نادى باسمه عندما شاهدته وتاملت بحسبه وجماله وحذقه وعصيت اوامر ملكها (ماكران) المكروه واذا اتى ليخضعها انتشبت حرب قتل فيها فاسرع اذذاك باسيانوس مع جدته واهله الى رومية وبعد ما استخضر اليها الحجر الاسود شيد فيها هيكلًا للشمس فأكرمت تحت اسم (عشرة) وسمى نفسه (اعاليوغيل) وهو معروف بهذا الاسم في بعض التواريخ التي تدونت بها افعاله التي تجل عن ان تفعلها الرضع واجبر الرومانيين ان يتردوا بالزي الاسياوي وجعلته جدته ان يبنى ابن خاتمه المدعو اسكندر فاحبه اولاً وزعم اخيراً ان يقتله الامر الذي صار سبباً لا تشاب نيران المحروب التي فيها قتل (اعاليوغيل) وبيع اسكندر المذكور سنة ٢٢٢ وان اليونانيين اوجدوا واقاموا في صحف التاريخ شهرة فائقة لهذه المدينة فانه عدا ما كان فيها من السكان كانت تحوى يومياً عدداً وافراً من السياح اما العرب فبالعكس فانهم بعد ما هدموها تركوها ولما هيجت مركزها الجميل حماسه الجنود الصليبية استنقحها بعضهم ولكن لم تنظر قط فيما بعد سعادتها الاولى فانها كانت خير ثابتة كالصليبيين تارة بالنصر واخرى بالكسر حتى انه في اواخر الجبل الثالث عشر وقعت تحت سطوة الممالك واذذاك ابتدأت ان تعطف عن منزلة قدرها السامي وجار عليها دولاب المحوادث والايام حتى اوصلتها الظروف الى ما هي فيه في يومنا هذا فانها ليست باهم من ضيعة واسعة فليست تشاهد فيها الاقسما من اليونان والعرب والأتراك هذا وانه لما استولت الدولة العربية على بلدان الاقليم السوري فللاستيلاء على حصص وكبح جنودها اقامت خالد رئيس الجنود مع فرق منها يحمل منفرد ولما كانت الجنود العربية الاسلامية في ساحة الوغى ابانت ذاتها غير قادرة على الدفاع واللبوث امام قوات العساكر الرومانية وهكذا ابتدأت ان تتأخر رويداً رويداً حتى وصل بها الرومانيون الى المحل الذي كان خالد ذلك البطل كاماً فيه مع

حدد واغرم من الجنود في الحال التي الجيش العربي بتلك الجنود التي كانت لامة
بأثوابها الحريرية والذهبية وبيارقها المرفوعة بأيدي رؤساء جنودها وظفرها
وغبان رفرف نسر الانتصار على رؤوس الجنود العربية تحول فرح تلك الجنود
الرومانية الى حزن ولما طرق هذا الخبر مسامع سكان المدينة باثروا حالاً باجراء
شروط الصلح وهكذا نالوا شهائهم واشرفهم

وهكذا كانت حصص منتصف افتتاحات ابي عبيدة الشهير وقد عصبت في
زمن مروان الخليفة الذي احتفل عند دخوله دمشق الشام واعتبر تخليف فهذا
قد اخذ حصص بعض انهم عليها بجنودهم دفعات حجة وقاسى اتعاباً شاقة واكداراً
وافرة هذا وان مولف سورية قال ان ما يستحسنه المرء من الطبع الجميل في من استفتح
من العرب الاقليم السوري هو انه يوماً ما مر القديس (كيلله لو) بمدينة حصص
اذ كان سائماً ففاده الحرس امام امير المدينة وكان يظن البعض انه سيق ليقتل
اما الامير فعندما نظره سأل بضع مسائل وصرفه بسهولة قائلاً لمن قاده ان
سياحاً كهذا لا يضررون احداً اذا لم ياتوا بنتائج حسنة للبلاد التي يسمحون فيها
هذا وان اهل حصص يبلغون تقريباً عشرين الف نسمة واما قرية دلميا فهي
على شرقي العاصي والى الجنوب الغربي من حصص على مسافة ٢٥ ميلاً وهي في
سهل مخصب وللجنوب الغربي منها الهرمل وهو حسبما روى المؤرخون ذو مياه
كثيرة وحدائق وافرة وبالقرب منها تل دعاه القدماء قاموع الهرمل وهذا
الفصل بين ارض حماه والبقاع وهناك ينبوع عين اللبنة وهو يخرج العاصي والى
عين اللبنة يضاف مياه من عين قعارة الراهب وهي حذاء دير مارمارون ومن
نشا في حصص العالم الشهير المعلم بطرس كرامه صاحب المنظومات التي هي ارق
من النسيم فانه قد اشتهر بالعلوم العربية على وجه الاجمال اشتهاراً قلما يصل اليه
غيره من العلماء فمن جملة منظوماته الخالية الشهيرة ومطلعها

امن خدتها الوردى افتك الخال فصح من الاجفان مد معك الخال
واومض برق من محيا جمالها لعينيك ام من ثغرها اومض الخال

وهي قصيدة طويلة قافيتها لفظة الخال لا غير فهي في كل بيت ذات معنى
مختلف وله الموشع المشهور حينما امر الامير بشير الشهابي بجمع القاعة لبيت الدين
وكنيت ارجب ان اسرده مع منظومات اخر الا ان فكري بان اتبع هذا الكتاب
بجزء ثاني يحتوي فقط على ترجمة اعيان سورية ومشاهيرها ومن حكمها من الملوك
منذ الزمن الاول حتى الايام الحاضرة يصدني عن ذلك

هذا ما ورد عن مدينة حمص من بعض الادباء قال ابن خطيب داريا
جزيرة حمص كعبة الحسن اصبحت يطوف بها دان ويسعى لها قاص
لها حلة من نبتها سندسية نعلق في استارها نهرها العاصي
وقال اخر معارضا

جزيرة حمص لم تكن قط كعبة يطوف بها دان ويسعى لها قاص
واكبتها للهو والقصف حانة الم تنظروها كيف جاورها العاصي
قال ابو جعفر الاندلسي

حمص لمن اضحى بها جنة يدنو اليها الامل القاصي
حل بها العاصي الا فاعجبوا من جنة حل بها العاصي
تورية عن العاصي وعن النهر المعروف بهذا الاسم

افاميا

ان افاميا هي الى شمال شرقي حماه والى جنوب شرقي مدينة انطاكية وهذه
المدينة قد اشتهرت في شابر الزمان اشتهارا كذا مقداره حتى كانت تعد المدينة
الاولى في هاتيك النواحي ونص سترابون المورخ المشهور ان السلوقيين انشاوا
فيها مدرسة لفرسانهم ومركزها كان بارض مخصصة فسيحة المساحة وفي نواحيها
كان يجد المشاهد مرعى عظيما وضع فيه سلوقس ثلاثة وثلاثين الف فرس
وثلاثماية جاموس وخمماية فيل مع انه الان لا يوجد فيها مرعى لقطع من الغنم
وكانت قصبة سورية الثانية في عهد تسلط الرومانيين على الاقليم السوري وما

كان ساج يحول هذا الاقليم الا وير يشاهد عظمتها الكنية واهميتها الوافرة ولما زارها (فولنه) العالم الفرنسي تعرض لوضعها . فقال . انها اعتاضت عن عساكر الاسكندر المتمردة بشرذمة من الفلاحين يسكنونها على وجل من العربان ولم يزل فيها كثير من الاعمدة واثار الهياكل والبيوت والاسوار لكنها مهدومة الى الارض وفيها قلعة يقال لها قلعة المضيق وداخلها قرية على راية تنبجر من جوارها عيون كثيرة تجري مياهها ببحيرة افاميا ومنها الى العاصي

تدمر او بالميرا

اذا كان من يصبو لمطالعة توار يخ اقطار الام يتأثر ادى انخطاطها فاشد تأثير شعريه بلا شك لدس مطالعة تار يخ بالميرا او تدمر الشهيرة ومقابلة تلك المحالة التي كانت مزدهرة فيها في غابر الزمان مع حالتها المحاضرة فاعلم اذا ايها المطالع ان تدمر المدينة الشهيرة سابقا لا تعد الان الا من خرابات الاقليم السوري وهذه الخرابات هي في ٢٤ و ٢٥ عرض شمالي و ٢٦ و ٤٠ طول شرقي وعلى مسافة مائتين وخمسة واربعين كيلومترا من جنوب شرقي حلب ومائتين وثمان وستين كيلومترا من شمالي شرقي دمشق الشام فهذه الحدود التي حددها فيها مولف التار يخ العمومي اما بوجولا الساج الفرنسي الشهير فقال انها تبعد مسافة مائتي كيلومتر عن صور ومائة وعشرين كيلومترا عن دمشق الشام وثمانية كيلومتر عن الفرات واربع مائة كيلومتر عن بابلونيا واما بناؤها فالمرجح ان سليمان بعد بناء هيكله بعشرين عاما بناها لحماية مملكته من اغارة الاعداء اما بعض المؤلفين فقال انما حسمها سليمان عليه السلام وكانت في اول عصرها مركزا للملكة زنوبيا الشهيرة وما اجاده واخصره بوضعها بوجولا يعد من انفس ما تزين به صحف هذا التار يخ حيث قال ان بالميرا كانت اولاً مدينة تجارية ومقر بضائع اقطار مختلفة واذ لم يكن لها علاقات سياسية لم تشتهر اولاً لان مركزها القفري والقوافل التي ترد اليها من نواحي الدجلة والفرات لم تكن اهل الا لان ندعوها ذات اهمية في

نوارنج الام ولو انها دامت مدينة تجارية لما كانت السياج تتكد الان اموالاً
وانعاباً جزيلة للوصول الى منظر انارها الشهيرة لانه في سنة مائتين وسبعين مسيحية
اشتهر فيها اسم تلك الملكة التي قلما يجود الزمان بمثلها وهي (زنوبيا) الرافعة
بيارق الجند والجاه فوق قمة الفخر والانتصار تلك الذابغة الصيت التي لما وصفها
احد العلماء قال

ان مقلتها كانتا دوناً لامعتين كالذهب ذاتي سواد يحكي ملث الدياجي
وبياض اسنانها كالثلج والنفي كالدراري السابرات في كبد القبة الزرقاء وقامتها
كانت مشوقة كالشلال التدمري وكانت تلبس ثوباً أرجوانياً مرصعاً بالحجارة
الكرمية وبكل درية كانت تبكل حزامها النادر ولما كانت تظهر امام الجنود كانت
تبان بخوذة على راسها معراة الاذرع ويدها الحربة الشهيرة النارية وبذاك كانت
تبهز اعين جنودها الذين كانوا يسألون بعضهم بعضاً اذا كانت هذه هي
(بلاس) الهة الحرب وان مجلس رومية العالي كان منع (اودونات) بعل
هذه الملكة حكم اسيا فقط كامتياز شخصي ولما توفي فارمانة زنوبيا اشتهرت ذاتها ملكة
الشرق والحال (هه راكليوس) الجنرال الروماني سارخايضاً لجمع البحور مصحوباً
بجيوش كرامة وكان هو في مقدمتها وهجم على قوات الملكة زنوبيا التي كسرت
وارجعته القهري حتى اوصلته اوروبا فرجع خجلاً لكونه كان مغلوباً من امرأة
وبعد برهة حارب زنوبيا الامبراطور (اوره ايانوس) فغلبها وغزا تدمر وذبح
سكانها فنفيت الملكة الى (تيبور) نعم انه واثن يكن هذا المنفى معدوداً من افخر
منتزهات الشرق نظراً لنواحيه المزدهرة وخرير شلالات المياه التجارية تحت
المحور واشجار الزيتون فقد كان مظالمها لديها لعري ما توتر كذا ظروف مع ملكة
منفية كانت دوماً تقتربها اصلحة في مدبنتها وببساله الجيوش المكلفة عنها مراراً
بتيجان الانتصار وفي ساحل الفرات الذي اقامت عليه تذكارات لانتصاراتها
وهكذا حسبك ان تشكر بما يصيب ملكة كهذه خلقت للمجد والانتصار حينما ترى
ذاتها تحت نير الحكم الذي لا يستطيع الرضوخ اليه من ساد المناصب العالية

واذ تكلم هذا الامام عن خرابات المدينة قال قبل ان تصل لتدمر بقدر ساعة من الزمان تنظر شمالاً ويمناً سلسلتين من الجبال احدهما تدعى جبل الرواج والاخرى جبل البديا ولائها عربانان ولها منظر سوداوي يتقدمان نحو المشرق قليلاً ثم يكونان احمرين ذوي مائة متر طولاً ومثلثة عرضاً وعلى الناحية الشرقية من البحر المشروح ينصلان فالشمال يتقدم نحو الناحية الشمالية واليمين نحو الناحية الشرقية . و امامك تحت هذا المنظر تظهر فجأة تدمر فتشاهد حالاً حشر عواميد ورسوم دالة على الانتصار وبوابات وسرايات وهياكل وقبوراً لا بقية بان ترسم وتبان وسط ذاك السهل الرطب المبيض ومساحة خرابات تدمر هي ستة كيلومترات وفي وسط هذه الخرابات يوجد نبع ماء يتصرف لقناتين ويسقي حدائق مغروسة فيها اشجار النخل والزيتون هذا واذا اتينا لوصف خرابات هذه المدينة كما تسحق بكون ذلك ضرباً من الخيال فان عدم ترتيبها لا يسمح لنا بذلك غير اننا نتكلم عن اشهر ما ندركه نقول ما ينظره المرء اولاً هو حايط رخامي من مائتي متر مربع يبلغ ارتفاعه ستة مترات ذوركابز مشغولة بمائة لا تقاس يدخل اليه من باب حينما تنظر هناك اثار نقش مدهش نزع الان اذا ضاقت اليه بناء ضخماً وعند التقدم داخل السور نشاهد صفاً من العواميد يحيط بمدار السور ولم يزل باقياً من هذا الصف اثنان وسبعون عموداً وهذه العواميد هي مخططة يبلغ ارتفاع كل منها نحو عشرة امتار اما الهيكل فهو في محل مرتفع وسط السور طوله نحو عشرين متراً وما يزينه هو الرواق مع جذوع النخل ودوالي الازهار والاثار واكاليل زهور مرسومة باجل منوال تزين الرواق والى الناحية الغربية من داخل العمارة تجدد مجدداً ذا شغل مدهش فهناك كانت توضع صورة (البنال) اوره ليانوس اخذها الى رومية ليضعها في هيكل الشمس الذي كان اقامه على جبل (كيرنيال) واما رواق الهيكل التدمري فلم يبق منه سوى القسم الشرقي حيثما يوجد تسعة عواميد غير ان ما كانت مزينة به رؤوس هذه العواميد قد اخذته بلا شك الرومانيون المنتصرون

هذا ولا شك ان الانسان يتاثر تأثيراً كلياً اذا ابتداءً بالجولان في ازقة هذه المدينة وشراياها في ليلة يكون فيها القمر ناشراً اشعته البيرة على تلك العواميد العديدة والمهاكل والدرابات والدماليز والنصاوير الجميلة سالناً واما تائره فيكون لدى استماعه نواج وتمابل اغصان النخل المحركة باخف النسيم ونفحات الاطيار الجمجمة في اوراق الاشجار للبيت المزدوجة مع خرير مياه جارية قال بعضهم تدمر مدينة بالبرية على طريق الشام بنتها الجن لسليمان قال النابغة

وجيش الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفايح والعمد

كانت (الزبرج) الملكة تصيف بتدمر وتصرف فصل الربيع بالخارج قال وسحبت تدمر بنت حسان بن ذئبة وهي بنتها ودعتها باسمها وفيها قبرها وذكر الكلبي عن الذرقي عن محمد بن خالد بن عبد الله القشيري قالت كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا جرن من رخام طويل فاجتمع قوم ورفعوا عنه الطبق فظن مروان ان فيه كنزاً فاذا فيه امرأة على قفاها قد البست سبعين حلة جربانها واحد ولها غدائر سابغة قد ردت على جذرها وفي حضنها صفيحة ذهب مكتوب فيها انا تدمر ابنة حسان بن ذئبة الملك ضرب الله من خرب بيتي قال فما لبثنا قليلاً حتى جاء عبد الله علي بقتل مروان . انتهى

واذ كانت تدمر على ٩٠ ميلاً الى شرقي حمص ومائة وتسعين ميلاً الى جنوب شرقي حلب وتقریباً مائة وخمسين ميلاً الى شمال شرقي دمشق كانت مركزاً موافقاً للتجارة فكانت ممراً للقوافل ومركزاً لاستقبال بضائع الهند من خليج العجم التي كانت تُحمل من هناك الى فينيقية واسيا الصغرى بالفرات او بالقفر غير انه الان لا ينظر المرء سوى اثار هياكلها وابنيتهما واذا قدم اليها المشاهد ينظر ساحة عظيمة من الرسوم والبقايا والاثار ومن الجهات كافة اقواساً وقباباً وهياكل وابوانات وصف اعمة يظهر ان طوله كان اربعة الاف قدم معلقة بصورة نخاس عظيم ولم يزل بعض الاروقة والمباني التي بين الاعمدة والمخرابات باقية واما تلك العواميد التي من مجرد النظر اليها يستدل على قدميتها فلم تزل على لونها

الاصفر البهيج ولم تنزل بمركزها الحثيثي وقطعت بها الاصلية ثم انه يوجد هناك اطلال قلعة هائلة يتأسف كل من رأى وشاهد ردمها وجورها في حيز الخراب ثم بعض مدافن نحتي المدبح لعظميها وهناك اعمدة مختلفة تستدعي التفات واهتمام الزائرين هناك نشاهد ايضا هيكل الشمس المشهور وواجهة مركبة من اثني عشر عمودا بساحة مدورة عرضها تسعة وسبعون قدما وهي مزينة بصفين من الاعلى الجميل ثم يوجد رواق على واحد واربعين عمودا وله باب واسع وعلى هذا الباب تمثال نسر على رفعة مملوءة من الوجوه وهذا الباب بلا شك كان للهيكل الذي لا نشاهد الان سوى طلائع ورودمه المتراكمة وهناك اربعة عواميد مزخرفة لم تؤثر بها زلازل الارض وقبة النسر لم تنزل قائمة فعليك اذا الان ان تراجع تاريخ هذه المدينة جيدا وتامل فترى اعجب العجب من مقابلاتك حالتها الماضية بالمحاصرة وقد استولى السلطان سليم الاول على هذه المدينة وعلى السويديّة بأسرها في سنة ٥١٦ هـ ثم ضبطها ابراهيم باشا خديوي مصر ورجعت اخيرا لسطوة الدولة العلية العثمانية في زمن الساطان ابن السلطان عبد المجيد خان وهي غير مسكونة تقريبا ولا تعد الا من خرابات هذا الاقليم

دمشق الشام

قال مولف معجم البلدان الشام مهور الالف البلد المعروف قيل انه سمي لشامات هناك حمروسود ولم يدخلها سام بن نوح كما قال بعضهم انه اول من اخططها انتهى

فهي في طول شرقي ٢٦٢٠ وعرض شمالي ٢٢٢٠ وهي من اقدم مدن العالم (راجع سفر التكوين ١٢: ١٥) هذا وان مركزها في غوطه جسيمة بها تنبعح النواظر تنقي بمياه نهر بردى وهذه المياه تجري في دورها وجوامعها وساير شوارعها تقريبا ومع اننا لا نقدر ان نصمت عما زينها الله به من جمال المركز وكثرة المياه وغيره نقدر ان نقول اننا لا نرى فيها شيئا يدعونا ان نتذكر بسالف اهميتها

وشهرة من سكنوها وسادوا عليها من جبايرة العرب واليونان وغيرهم فان اسواقها
 مع انها ذات اتساع وطول وافر فهي مغلقة ومن اشهر جوامعها الجامع الاموي
 الذي بناه اليونانيون كيسة في سالف الزمان وهو شهير بمواسمك الرخامية واما
 خان حسن او اسعد باشا فهو حسبنا نص مولف سورية شبيه بعقد عبارة ماري
 بطرس في رومية. وهي بعد اسلامبول وازمير اشهر مدينة في المملكة العثمانية وفيها
 من الحمامات والسرايات والجوامع الهائلة البناء ما ليس ببسبر وان هذه المدينة
 محاطة بكل ما بقدر المورخ ان يعد من عجائب الطبيعة فان العين تشاهد حيثما
 تنظر مراعش مبهجة وغياصا واسعة ومياها جارية بتلك الحدائق الجميلة النامية
 في وسطها انواع الازهار الشرقية ونخيرات مع ينابيع عظيمة تندفق منها الامياه
 الفضية اللون محمية باشجار الغار والجميز تكسب المدينة رونقا جميلا ولربما بالغ
 من قال انها جوهرة درية تتلأل على جبهة العالم بأسره والله در من انشد
 عرج ركابك عن دمشق فانها بلد تذل لها الاسود وتخضع
 ما بين جايها وباب بريدها شمس تغيب والنم بدر يطلع
 وعلى ما يظن ان الملة قد اخذت هذه المدينة مسكنا لها فان اهلها على جانب
 عظيم من اللطف والادب لا يبالون بنوايب الزمن ولا يحملون الهموم الى مراكز
 الانشراح ولم محبة للغرباء وميل الى كل ما يرفع السرور اعلامه وبهم جمال
 مفرط ووطنهم احدى الجنان الاربع المفضلة على منزهات الارض . وقد قال
 (بوجولا) الساج الفرنسي الشهير في كتابه المسمى سياحة الشرق طوي لمن
 يعيش في هذه المدينة حيث يترغم النسيم في كل من اغصان رياضها الجميلة اما
 منظر هذه المدينة في عيد الاضحى المختص بالامة الاسلامية فمما يهيج مقلة كل ناظر
 حيثما تتلأل ليلا تلك الاسواق والمخلات من تلك الانوار الذهبية في كل
 من ماذن جوامعها الشهيرة ودوما ترى اسواقها غاصدة بجماهير النساء والرجال
 العديدة

ان ابا بكر وهو الخليفة الذي حكم في سنة ٦٣٢ وتوفي في سنة ٦٣٤ هو

الذي سوّد امته درجة عليا من الافتخار وهو الذي امر بالقاء الحصار على مدينة دمشق الشام ومنذ ابتداء شهر شباط سنة ٦٣٢ ابتداء كل ان يجهز ويستعد الى ما كان مزعما ان يحدث وهكذا اضيفت الجنود التي كانت تحت قيادة عمر الى جنود ابي عبيدة التي كان عددها ما يتف عن سبعة وثلاثين الف جندي وللحال تقدم ايضا خالد بالف وخمسة الف فارس كانوا اثنين من هدم القسم الاوطى من بلاد بين النهرين اما هراكليوس الامبراطور اليوناني فتبوا تحت المملكة السورية في ذاك الاوان واذ كان عديم البصر وقليل التدبير والادارة ارسل لمساعدة هذا الجيش خمسة الاف جندي تحت قيادة جنرال عديم السياسة وفقد الادارة نظيره انذبه يظهر لنا من مطالعة تواريخ افتتاحات الامة العربية الاسلامية انه كان يدعى خالوس اما المؤرخون اليونانيون فلم يذكروا قط اسمه فان هذا القايد اذ شاهد الامم في بعلبك واقعة تحت حمل الخوف والاهوال سكنت روعهم قائلاً اني ذاهب وعن قليل ارجع اليكم واريكم راس خالد (اي قايد الجيوش العربية) معلناً بطرف حربي هنـه واذ كانت الجنود العربية لم تصل بعد للشام قدر (خالوس) ان يدخل بجنوده وهناك عوضاً عن ان يستعد لما كان يتهدهه ابتداءً بالمشاجرة مع حاكم المدينة وللحال وفدت الجيوش العربية فخرج اليونانيون مشهدين اعلام القوة العظيمة وبينما كان القواد اليونانيون مشغولين بالتشاجر تقدم (دهراربيوس) ابن الازور لساحة الوغى وبشجاعة اباد ستة من المشاة واربعة من الجنود الخيالة ورجع لمعسكر اخوتي ثم تقدم عبد الرحمن بن ابي بكر الخليفة وطلب الابرار فتقدم خالوس قايد اليونانيين مستهزئاً به وطلب خالد فبارزه المذكور ولم يضر برهة حتى اتى خالد خالوس قتيلاً بـخبط في دماه فسار اسابيل لاخذ ثار خالوس فالحق به واذ رأى الجيش اليوناني قايديه قتيلاً في ساحة الوغى استولت عليه الجبانة ودخل المدينة وعلى وجهه لوائح الفشل والكدر وعلى الفور رفضت سكان المدينة تسليمها اما العرب المسلمون فاخذوا لهم مستشاراً احد معاوني ومتوظفي الامبراطور (هراكليوس) ومنه

استعملوا جميع الوسائل التي كانت تمكنهم من قهر أعدائهم وهكذا ابتدأوا ان يحاربوا المدينة وغلب برهة استولى الخوف على قلوب اليونانيين فاسلوا يطلبون المعونة والاسعاف من امبراطورهم الذي لم يجيبهم اما جهالاً واما عجزاً فطلب سكان المدينة حينئذ من خالد ان يرفع الحصار مؤقتاً عن المدينة ويدفعون له اذ ذاك الف اوقية ذهب وما يقبى ثوب حريري فلم يرض ثم ان الامبراطور هراكليوس رتب جنوداً واقام عليهم رئيساً اخاه (تيودوروس) وامره بالذهاب الى مساعدة رعايا سكان الشام وصد العرب المسلمين عن فتوح المدينة وهكذا تقدم تيودوروس ولكن نظراً لما كان موصوفاً به من الادعاء والعجرفة افتركه انه يتصرف بادنى مهاجمة على الجيوش العربية وهكذا كان نقيم في كل بلدة يمر فيها يوماً او يومين واذ قارب معسكر الادعاء ارسل العرب المسلمون جيشاً صغيراً تحت قيادة (دهراريوس) لمصادمته قبل ان يصل غير ان اليونانيين نظراً لكثرة جيشهم الذي كان بالغاً ما ينبغي عن ستين الفا احاطوا بجيش العرب الصغير واسروا قائده الامر الذي اتى العرب في المعسكر العربي فانهم كانوا قصدوا الفرار لولم يشجعهم رافع بن عمية بقوله ما ذا والى اين الفرار لم تعلموا ان من فرخوقاً يغيظ الله ونبيه فان كان قائدكم اسرام مات فان الهكم حي هو فتشجع المعسكر وهجم على اليونانيين واقام يحيى المهاجمة حتى وصول خالد القائد الكبير مع جيشه العظيم هذا واذ كان (تيودوروس) قد رأى اولاً انه على نوع ما غالب ذلك الجيش الضعيف اغراه الامل حتى انه تقدم لمصادمة ما تبقى من الجنود العربية دون ان يستريح بجنوده ودون ان يخنار معسكره مستقبلاً ولما التقى بالعساكر العربية صادمها ولم يمض برهة الا وفرفر النصر الانتصار على هامات الجنود العربية الذين شنتوا شبل اليونانيين اما المعركة فقد اخبرنا التاريخ انها جرت في محل يدعى (كابانا) هذا وان العرب اسلوا فرقة اقاموا قائداً لها رافعاً وارسلوها لتخليص (دهراريوس) من العدو فهذه الفرقة كدت بسرعة حتى ادركت القائد المذكور وخلصته من ايدي فرقة يونانية كانت اخذته معها الى انطاكية عاصمة المملكة

وحالاً رجع دهراريوس مع الجنود التي انقذته الى معسكر خالد الذي لم يتبع من فر من اليونان بل رجع وحاصره دمشق اما (تيودوروس) قائد الجنود اليونانية فقبل انه توفي قتيلاً لدى اضطرام نيران الوغى وقبل انه ذهب ذاك الحين الى القسطنطينية اما (هراكليوس) فلما علم ما جرى به لم يتقدم بنفسه لترتيب جيشه بل انه امر بجمع جيش ولعدم وجود قواد بهم الكفاة اللازمة التزم ان يسلم قيادة الجيش الى احد الفرس المسمى (فاهان) (وليشودور تريريوس) وهذان ذهبا اولاً الى حمص حيثما جمعاً من العرب المسيحيين ددداً وافراً من العساكر حتى بلغ عدد الجيش عشرة الاف نسمة وانهما لم يسيرا سوية الى الشام بل كل منهما صار على حدة وقبل الوصول الى المدينة حدثت موقعة هلك فيها عدد وافر من اليونانيين اما بطوميسير الفرقتين فسمح لخالد ان يجمع جنوده المشتتة وان يطلب مستنجداً باسماف حصل عليه حالاً وهكذا استعد للحرب انتهائية اما مقروملتي الجيوش العربية الاسلامية فكان (ادجنادن) محل مركزه على بعد بضعة اميال من جنوبي دمشق وللوصول الى المقر التزم خالد وابوعبيدة للمرور من امام اسوار المدينة العامرة وحدث بعض مواقع تستحق الذكر. هذا وان التاريخ اخبرنا ان شقيقين احدهما بطرس والاخر بولس قد عارضا الجيش العربي الاسلامي بمسيره غير ان خالداً قطع راسهما اخيراً وانه في اواخر شهر (جولاى) سنة ٦٢٢ تصادمت الجيوش العربية الاسلامية واليونانية في سهل واسع مرمل موقعة على جنوبي دمشق وبهذه المعركة كانت بعض النساء الاسلاميات مدرعة بالآلات الحرب وعلى وجوههن سمات البطش وقد انهزم اليونان بذاك الاوان حتى ان فاهان عرض على خالد وابي عبيدة شروط الصلح ولكنهما لم يقبلوا وفي غضون ذلك وفد جيش لمعونة اليونان تحت قيادة (نريتوريوس) واشتد الخصام والقتال بين الطرفين حتى رفر فر النصر على هامات الجنود العربية الاسلامية ولما رأى قائد الجيش الجديد انه اوشك ان يقع في ورطة الانغلاب طالب الهدنة فاستجيب طلبه وفي الغد تصادم الجيشان وغرب مرور خمس ساعات من ابتداء المعركة

ابتدات الجيوش اليونانية ان تنهزم من امام نيران العرب الاسلام الجبابرة حتى
انه اخيراً لما رأى المحاصرون انه لا أمل لهم بالخلاص وانهم سيضحون فريسة
السيف طلبوا الهدنة قليلاً ليفتكروا بامر التسليم فرفض خالد ذلك واما ابو عبيدة
رضي الله عنه فقبل به وغب برهة ففتح المحاصرون باب المدينة لابي عبيدة فدخلها
هذا ما كان من امره واما ما كان من خالد الذي سبق الكلام عنه انه لم يرتض
بساج الهدنة للمحاصرين فانه دخل المدينة سالماً سيفه وكان يبيد كل من
يصادفه الى ان سكن روعه وهكذا نملك المسلمون تلك المدينة وكان ذلك سنة

٦٢٢

هذا وان ما كان جمع في خزائن الشام من الاموال والغنائم تشتت في الملاهي
والحروب الاهلية ثم بعد قليل اصبحت سكان دمشق بمرض عمومي اباد عدداً
وافراً منها غير انها ازهرت واشتهرت بزم من الخلفاء بني امية ولكن منذ حكم
العباسيين في حكم ابو جعفر المنصور اول الخلفاء او ابي العباس السفاح ابتدأت
ان تنحط قليلاً وما ذلك الا لكون الخلفاء العباسيين نقلوا تحت الخلافة الى
مدينة بغداد ومع ذلك قام بالشام من الابنية والجوامع والسرايات ما بقى لها
ذكراً مهماً وقبل سنة مائتين وتسعين للهجرة ظهر القرامطة الذين خلفوا العباسيين
وحاصروا مكة واستفحوها ثم مالوا الى البلدان السورية وابتدأوا ان يفتحوا
بعض بلدانها واذ وصلوا الى دمشق الشام ارادوا ان يلقوا الحصار عليها
فسلمها سكانها فرغوا في ان يغزوها لو لم يفندوها ذلك الشعب بالقطع الفضية ومع
ذلك كله نهب منها قسم وافرا ما سمى فلما افتتح البلدان السورية ووصل الى
مدينة دمشق الشام واراد ان يلقى الحصار عليها قدم له اهلها هدايا وزخاير
وخيلاً وصكوكاً فيها يتعهدون انهم يكونون دائماً طائعين وراضخين لقوانينهم
وقدموا قطع فضية وغيرها فعفا اذ ذاك سمى عنهم وسلم حكومة المدينة الى
رجل عجمي يدعى ترك واراد ملك شاه بن الب ارسلان ان يقتني اثار والك
فارسل سنة ٤٦٧ هجرية ابن عمه سليمان الى سورية واصحبه بجيش عديد واما

هو فتقدم الى ما يلي الاكسوس وهكذا كان هذا الملك مهتمًا بإدارة جيشين
 يبعد مركز احدهما عن الاخر نحو ألف كيلومتر فسلیمان ابن صم هذا الملك قد
 بطش في الاقليم السوري وجاوز حدود امال الملك شاه فانه طرد الفاطميين
 حتى اواخر مصر واستولى على اعظم مواقع جبل لبنان وانطليبيان واقام حرسًا
 على سائر حدود بلدان الاقليم السوري واخيرًا افتتح مدينة دمشق الشام وفي سنة
 ١١٤٨ كَوْن الصليبيون جيشًا روساؤه لويس السابع وامراء (كونارد) الثالث
 وبعض اتباعه (وبدوين) الثالث وهذا الجيش سار مع رئيس لمحاصرة دمشق
 الشام الذي كان حاكمًا فيها وقتئذٍ معين الدين الذي كان على جانب عظيم من
 الشجاعة فهذا الامير كان عالمًا جيدًا ان تحصين المدينة الكابن من الناحية الشرقية
 والجنوبية بمنع العدو عن حصول اربه وهكذا صار لان الجيش الصليبي حاصرها
 زمانًا يسيرًا دون ان يحصل على ارب ولما رغبوا في تجديد قواتهم رشي معين الدين
 بدوين الثالث بما يني الف قطعة ذهبية وذلك لكي يرفع المحصار عن دمشق
 وهكذا كان. ثم ان احمد بن طولون الذي كان حاكمًا مصر وسورية من قبل
 الخلافة رفض ان يدفع الاموال المبرية وهكذا استقل بهاتين الولاياتين ثم انه
 توفي فقام ولده الاكبر وعين مركزًا لاقامته دمشق الشام وقاوم بخاج في بعض
 مقاومات اضداده وذلك سنة ٨٨٩ وانه منذ ١١٧٤ الى سنة ١١٨٢ استفتح
 الملك صلاح الدين الذي كان ممتلكًا مصر اغلب البلدان السورية فاستفتح بالمنة
 المذكورة حمص وحلب والشام وفي سنة ١٤٠٠ استفتحها تيبورلك قايد جيوش
 التتر الذي اقام فيها بروجًا مبنية من جشث القتلى وذلك بسبب اهانة صورة من
 تملك مصر وسورية بحق احد رسل هذا الفائد هذا وان بيوتها عديمة المظفر من
 الخارج واما من الداخل فهي مزينة بالرصايف والنقوش وقد اشتهرت بصنع
 اقمشة الحرير وصناعة الذهب وكانت سكانها قديمًا مشتهرين بصنع وعمل
 الاسلحة واما الان فقد فقدت هذه الشهرة وارضها جيدة التربة ومواها يعطل مرارًا
 نظرًا لكثرة المياه الجارية في كل من شوارعها وقد قيل ان في مياهها سريرة

لدفن مرض الجزام عن اهلها ووافدها ونشأ في دمشق الشام جماهير من العلماء
فن ذاع صيتهم ودون اسمهم في صناعج التاريخ منهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي
صاحب الالفية المشهورة بالنحو والشيخ محمد الحريري صاحب الحاشية على شرح
التفكي للقطر وعائشة الباعونية صاحبة البديعة المشهورة والشيخ حسن البوريني
شارح ديوان الفارض هذا والله حول هذه المدينة ضياع وقرى كثيرة فان على
مسافة ساعة ونصف منها توجد الهامة وعلى مسافة ساعة دمروهي الان محل اقامة
اكابر التجار في الصيف والى شمالها مقاطعة يقال لها جنة عسال نسبة الى مكان
يقال له عسال الورد لكثرة ورده ومن اشهر قرأها صيدنايا التي فيها الدبر
الخنص براهبات طائفة الروم الارثوذكسيين وهو مشهور ببنائه وعلوه يزوره جم
غير يوما في كل سنة واما مقاطعة معلولا فهي الى الشمال الشرقي وهذه المقاطعة
دعيت هكذا نسبة الى قرية حصينة موجودة فيها مبنية على قمة لا يتوصل اليها الا
من مضيق مستوعر وفيها دبر عظيم لطائفة الروم وحول معلولا عدة من القرى
كعين التينة ونجعة وغيرها والى الشمال الشرقي من معلولا مقاطعة يبرود نسبة الى
قرية فيها بعض اثار قديمة وفي جوارها راس العين ومعرة باش كردي وفليطا
وسجل والفسطل والى الشمال الشرقي من القسطل النبك وبين النبك والقوطه
يسمى الارض التحتية وفي هذه الارض يمر الطريق من دمشق الى بغداد وفي جوار
النبك قاره وها عدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بمجودة هوائها
ومائها والى شمال شرقي النبك دبر عطية واما الحميرة والحفر وصد دقفي
المساحة الكائنة بين دبر عطية وتدمرويين وتدمر والدير على الفرات الحيكمر
والطيبة والسحة وارك وادي الفرات هناك يسمى الزور وعلى غربي النهر مسكنا
والحمام ورصافة هشام والرحبة وغيرها

وفي وادي نهر بردى ومن شماليه وجنوبيه قرى وضياح كثيرة منها الفبيجة
التي يخرج منها النهر العظيم الذي يصب في دمشق وبلودان والزبداني وفيها نبع
ماء يخلط بماء الفبيجة وفي هذه القرى يكثر التفاح والبساتين متصلة من هناك

لدمشق وتلك الديار أكثر البلاد ما يوفى كيفة ومنزهات تقصدها الناس كالصالحية وقارة والنبك ويثرب والريوة والمنشار وبيت راس التي ماتت فيها حياة البحارية المشهورة

وقد دعيث الشام شاماً نسبة الى سام بن حام عليه السلام وهو اول من سكن فيها وكانت تقول العرب من خرج الى الشام نفص عمره وقتله نعيم الشام فانشد ثعلب

يقولون ان الشام يقتل اهله فمر بي ان لم آتو بخلود
تفرق اباي فهلا مراهم عن الموت ان لم تشهوا وحدودي
ولهذه المدينة باب يلقب بالشرقي وكذلك باب توما وهامشيران وهي على مسافة ١٢٥٠ كيلومتراً من جنوب شرقي الاسطانة وسكانها من الاسلام والنصارى واليهود. انتهى

بعلبك

ان بعلبك المسماة في الكتب (هه ليوبولي) اي مدينة الشمس هي بالقرب من انطليبنان على مسافة خمسة وسبعين كيلومترا من شمال غربي دمشق الشام في ٢٢٤ طول شرقي وعرض شمالي ٥٨٢٣ وخراباتها عديدة ولكن اقل اعتباراً من خرابات تدمر وعوضاً عن ان تكون محوراً متسعاً فهي مجتمعة بعضها ببعض مكونة حائطاً يبلغ طولها سبعة او ثمانية اقدام واذا تسلقنا هذا الحائط على الحجارة الهائلة التي يبلغ اتساع بعضها ثلاثين قدماً نصل اخيراً الى تراكم يسي العقول اذ نشاهد بلاطاً مسحوقاً واعمدة مقلوبة وافاريز متفرقة على الارض واقبية وقببا ليس باقى سوى طرفها وليس بنايات هذه المدينة قد انحطت عن قدرها ولكن نباتاتها التي نراها مدت بعلوها الخالد الصلب ونباتاتها الصغيرة ايضاً التي فصلت ما بين اقوى الاسوار وفرقت حشايشها على اعظم العمارات المرتفعة وسحقت الركائز تقريباً بهيش جبالها وخرقت الاسقف برؤوس اجذاع جميزها واختلاط البنا والنبات

هذا يقدم للنظر مرستًا جميلًا وإن يكن لدى التفكر محزنًا أخبرنا هنريون في تاريخه
 مجلد ١ كتاب ٧ سنة ٢٢٧ و ٢٤٨ عن هذه المدينة وما اجراء فيها الملك
 قسطنطين الكبير فانه اقام فيها كيسة متسعة وكانت هي الاولى لحد ذلك الاوان
 ورتب جمهورًا من الاكليروس لخدمتها والكفار اقاموا فيها نصبة على اسم الزهرة
 الهة العشق والنزه وعندما قبل الصبغة قسطنطين الكبير امر بهدمها وبناء اخرى
 باسم والدته الخلاص وارسل لها اسقفًا وشامسة وما زال في هذه المدينة كيسان
 احداها على اسم القديسة برباره وهي بيد الروم والاخرى باسم السيدة بيد الموارنة
 وعدد سكانها ليس هو الان سوى الف ومائتي نسمة وقد اخذها ابو عبيدة نائب
 عمر ثم استفتحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ وسنة ١٧٥٩ هدمتها الزلزلة القوية هذا
 وانه يوجد بعض اثار قديمة وهيكل قديم وهذه البقايا هي ستة عواميد ضخمة حجرها
 مصفر بصفار ذهبي واقل بهاء من البلاط وهذه العواميد يظن انها قم من هيكل
 كان اولًا ولكن هدم بزلزلة فشيء مقامه هيكل اخر ولكن اقل اعتبارًا منه اما
 الهيكل المحفوظة بالاكثر بقاياها هو الهيكل المبني في زمن انطونيوس وفي سنة
 ستاية واربع وثلاثين الموافقة للسنة الخامسة عشر هجرية حارب العرب المسلمون
 بعليك فاسلموها وما ذلك سوى من عدم ادارة حاكمها هربيس الذي ارتكب
 الغلط الذي يرتكبه اعني اديا اليونان فانه بدون تقدير عواقب تقدم لمحاربة العرب
 المسلمين وكسر قسماتهم ولو كان مفكرًا بمستقبله لكان قد ران يجبرهم لرفع الحصار
 غير انه لما تقدم بالمحاربة سد العرب المسلمون طريقة الدخول وهكذا أسرفي
 خرابات دير كان النجا اليه اخيرًا واذاك اجبره العرب المسلمون على امضاء
 تسليم المدينة فامضى بتسليمها وأكد لنا التاريخ ان هذا التسليم كان سهلاً خاليًا
 من ادنى ضرر للسكان فانه لم يدخل المدينة احد من المسلمين حتى ان قائد
 الجيوش العربية الاسلامية لم يدخلها بل بقي بالقرب منها بحمل مخصوص حتى
 استلم القطع الذهبية التي اتفق عليها لدى التسليم. وهكذا سار ابو عبيدة واقام
 رافعًا نائبًا عنه امام بعليك وكان هذا القائد شجاعًا مأمورًا بان لا يتعدى على حقوق

السكان في بعلبك كما ان لا يدع ولا جندياً يدخل المدينة وهكذا كان غير
انه غلب برهة قد جرت المواصلات بين الفريقين بالبيع والشرا واخيراً لامور دينوية
قتل اليونان قايدهم الشجاع هريس وفتحوا ابواب المدينة لرافع وجنوده الذين
فيما بعد استولوا على جيل واللاذقية وطرطوس وانه في سنة مائتين وتسعين
للهجرة لما استولى القرامطة على اغلب الاقليم السوري وبعد ان استفتحوا مدينة
دمشق الشام حاصروا بعلبك التي لم تسلم اولاً غير انها اخيراً دخلتها قواد القرامطة
وجيوشها ونهبوها ثم ان سمى القائد المشهور بعدما استولى على انطاكية وحاص
ذهب لفتح بعلبك فصاده شعبها وغلب ذلك حاصرهما واستفتحها بعد ما قتل
كثيراً من رجالها ونساءها وجنودها وقاسى اشد اتعاب المحاصر

وليس لها اعتبار الان في تاريخ الاقطار مع انها كانت احصن وامنع مدن
العالم وكانت فيها اسواق كثيرة وجوامع وحوانيب وسورها مشهورة لدى الخاص
والعام وكثيراً ما سطر وصفه السياح في كتبهم الشهيرة وقد دفعة السيل الهاطل
يوماً ما وطغ على المدينة فهدم منها قسماً وافراً واما قلعتها فعجيبة البناء نظراً لركائزها
الضخمة ولا عديمها الهائلة وحجارتها العظيمة وفيها كثير من الاعمدة مستوفة بالالواح
الحجرية وعليها نقوش كثيرة مختلفة الانواع والاجناس ويوجد اولب في وسط
بعض الاعمدة يصعد منه اليها وفيها اثار قصر يدعى قصر بنت الملك وكل هذه
الابنية التي ذكرناها يظنها المشاهد حبراً واحداً نظراً لاتصالها بالحكم بعضها ببعض
ولا بقدر المرد ان يصمت عما يشاهده فيها من العجايب الصناعية الهندسية ومع
انه لم يبق منها سوى ما ظفر على كرور الايام فلا تزال تعد من اشهر الابنية وعجايبها
زعم بعضهم ان بانيها سليمان بن داود عليه السلام وهو غير موكد وبالقرب منها شجر
الليطاني الذي يضاف اليه مياه نهر البرذوني الجاري بين زحلة والمعلقة ويضاف
اليه نهر يخنوفه ونهر عتجر من الجبل الشرقي وعتجر تدعى عين الجر وبقرها الجبل
المدعاة مجدل عتجر تميزاً بينها وبين المجادل الاخر واكثر اهالي بلاد بعلبك متاوله
وحكامها القدماء ال حروفش وبالقرب من عتجر وادي الحبر وهو يخرق الجبل

الكائن في شرقي عنجر ومسيلة يجري الى الغرب ثم وادي القرن وهو مضيق كان
مكتنًا للمصوص ووادي بكة الى جنوبه ومسيل كليهما للجانب الشرقي والى جنوب
وادي بكة ينقسم الجبل الشرقي الى قسمين غربيهما الجانب الشرقي من النهر
الليطاني وشرقيهما ينتهي الى جبل الشيخ والوادي الذي بينهما يقال له وادي النيم
الاعلى ومن قراه دير العشائر وينطه وكفرقوق وبكفيا وراشيا ويتصل به وادي
النيم الاسفل ومن قراه ميس والكفيرة وعين جرفا وشبعه وراشيا الفخار والفرديس
والجدبة وابل وكولبا والهباريه التي فيها حيطان هيكل قديم طوله ستون قدماً
وعرضه ثلاثون واما حاصبيا وهي مركز الحكومة فهي اشهر جميع هذه القرى ومركزها
في وادي تجري من تحته مياه النهر الحاصباني المحاط باشجار الزيتون وهذه المدينة
كانت سارية على قدم النجاح قبل حادثة سنة ١٨٦٠ حيثما بلغ عدد سكانها خمسة
الاف نسمة وكان الامراء الشهابيون اذ خرجوا من الشهب وافوا الى محلات وادي
النيم التي منها راشيا وحاصبيا كونها كانت محلات عاصية كما يستدل من اسماء
بعض المحلات المجاورة لحاصبيا كراس الحما وكعب الحما وعفنة الحبس

والامراء المذكورون بنوا فيها سراية عظيمة ثم ان الامير اسماعيل الشهابي
بنا في اعلى الطبقة الرابعة من هذه السراية قصراً يكاد ان يكون فاقد المثال
فيدخل اليه باربع درجات وفي صحته توجد فسقية اما عماره فهو جميل جداً فيه
من الحجر المرمر ما يبهج النواظر اما قنطرته فهي مركبة من ثلاث قناطر محبوكة
بعضها ببعض بحجر مخرم من الرخام وتوجد به ايضاً رسوم ابنية جميلة وما يزين هذا
المنظر الجميل رونقا سوى المياه المتلاعبة وسط الفستقية غير انه في حادثة سنة
١٨٦٠ هدمت السراية مع القسم الاعظم من القصر واسفل المدينة يوجد مزار
للنبي رويل بن يعقوب وجميع ذلك ما يدل على قدميتها وهي محاطة تقريباً
بالاشجار يشتد فيها البرد احياناً في زمن الشتاء وعلى بعد ساعة وربع منها يوجد
مكان فسيح المساحة يسمى الزناطع وهو في غاية الخصب وموقعه بالقرب من النهر
الحاصباني وبالقرب من النهر المذكور ابار معدن الحمر وهذه الابار هي في فسيحة

ارض ليست بطويلة وبقرب المدينة خلوات الدروز تعرف بالبياضة انتهت في ايام خديوي مصر وهذه الخلوات ربما الاشهر هي عند الدروز وبالقرب من جنوبها على نحو خمس ساعات موضع يقال له تل القاضي وهو موقع دان المسماة في الانجيل قيصرية فيلبس ومن هناك مخرج نهر يجري الى بحيرة الحولة والمغارة التي يخرج منها هذا النهر كانت حسبما اخبرنا المورخون لاله من الهة الرومانيين اسمه (بان) ومن ثم دعي ذلك المحل بانياس وهيرودس الملك بنى فيها هيكلًا باسم اغسطوس قيصر لم تزل اثاره وقلعة من ابنة المسلمين وكانت تدعى الصبية وبالقرب من بحيرة الحولة المكان المسمى حولة وهو ملجأ للعربان خصب جدًا للغاية ومن هذه البحيرة يخرج نوع واخر من السمك وقد تكثرت الامراض في تلك النواحي وهو معلوم اما جبل الشيخ وهو المسمى في الكتب الدينية جبل حرمون للجنوب الشرقي من اقليم البلان ومن قراه عرنه وبين جن وذنل وقلعة جندل وغيرها والى نحو الجنوب من دمشق وادي العجم ومن قراه الجديدة وقطنا وعرطوز وداريا ودير علي او العاداية وصخنايا والى جنوبي وادي العجم مقاطعة الجبدور ومن قراها بواريت ودير البخت ودير العدس والضمين وكفر شمس وغيرها واما ارض الجولان فهي الى شرقي الحولة وطبرية اما ارض حوران هي الى جنوبي دمشق قال امرء القيس ولما بدت حوران والال دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا تنقسم الى النفرة واللجاة وجبل حوران وهي بلاد يسكنها البدو والغارقون في بحور التوحش الشاسعة اما النفرة فهي سهل واسع ممتد من وادي العجم للبادية ومن غربيه الجبدور والجولان وجبل عجلون ومن شرقيه اللجاة وجبل حوران وهي مخصصة جدًا بالزروع وفيها قرى وضباع كثيرة منها اشمشكين وهي قاعدة حوران كلها ومنها عسان واما اللجاة فهي ارض مستوعرة صعبة المسلك جدًا لكثرة الحجارة والصخور وما حولها يدعى لحف اللجاة ومن قراها الشرقية وبراقي والصورة ومن الشمالية شعارة وكريم وخبب ومن الغربية جنين واذرع ومن الجنوبية بصر الحريري ونبهران ودير الاسروام العلق وقاعدة اللجاة داما ومن قراها جدل وسور

وحران وجديا وسلاخد والخرساء وصميد ودور بني اسرائيل واما جبل حوران
فاعلى رؤوسه يدعى جبل كليب ويظن انه كان بركانا ومن قرى هذه الجبال المجيئة
وعره وعزه وشهبا وغنبل وقنوت والى شرقي جبل حوران ارض البثينة قيل انها
كانت ملكا لايوب الصديق عليه السلام ومن قراها البثينة ودومه وعيون ومجدل
وصلخد وهي ذات تلعة مرتفعة وارس وراء عملها من جهة الجنوب والى الشرق
البرية واكثر اربنية هذه البلاد متينة وفي بصرى بيت ينسب الى سر كيس الراهب
مركب من خمسة حجارة اربعة منها حيطان والخامس سقف واكثر بيوتها تحت
ايات اخر عيفة في الارض واصعب اراضيها الوعرة التي تحصنت فيها الدروز
ضد ابراهيم باشا وهي في ارض مسنوعة لا يدخل اليها الا من مضيق حرج كثير
المكامن في الجانيين واهل البلاد عرب ودروز ونصارى متبدية ايضا في
الملابس والعوايد واكابر الدروز هناك بنو حمدان اصلهم من قرية كفر في
الغرب الاعلى من جبل لبنان . اما مقاطعة جبل عجلون فشتملة على الاراضي
الواقعة بين نهر اليرموك شمالا ونهر الزرقاء جنوبا تنقسم الى ثمانية اقسام الكفار
والسرو والجهامة ويقال لها ايضا البطين والواسطية وبنوعيب والكور وجبل
عجلون المعراض واما دارة وايبلا واريلا فهي في حيز الخراب ومحنة وراحب
وقلعة الربيض وتدعى الباعوشة هي الى غربي قرية عجلون وجرش التي اكتشف
خراباتها السائح (سترن) في جنوبي بصرى على بعد اثني عشر ميلا وكل من طالع
التاريخ يعلم ان هذه المدينة المعروفة باسم كراسه سابقا قد اشتهرت اشتهارا فائقا
وهي لا تبعد اكثر من ساعتين عن صوف ومركزها في بقعة مخصصة يستوسطها نهر
جميل وقبل ان يدخل اليها ينظر عدد وافر من القبور ومن هذه القبور قبر
مكتوب عليه باليونانية ومع ان سورها في حيز الدمار لم يزل يشاهد كل طوله
وكانت حجارته بلا شك عظيمة ومن ناحية النهر فسحة للبلد عظيمة وقد انبانا
هذا السائح انه نظر جملة من الحال العامة المثقنة الصنعة منها محلان كان كل منها
(امفي تياترو) من الرخام المتين بالاعمدة التي لم يوتر فيها كرو الزمن بل لم

تنزل قائمة و بعض سرايات وثلاثة هياكل احدها كان له اثنا عشر عموداً التي لم
يدمر منها سوى واحد وفي غيره يوجد عمود مطروح بعد من اجل صناعات
المصريين واحد ابواب المدينة المركب من ثلاث قناطر المزين بالنقوش لم يزل
م محفوظاً ويوجد في هذه المدينة طريقان طويلتان منعطفتان بين صفيين من اعمدة
الرخام احدهما محاطة بستين عموداً وحيثما تعطف الطريقان يجد في كل من
الاربعة الزوايا قواعد على طول الانسان وعلى ما يستدل انها كانت مختصة بتماثيل
ويوجد قسم كان مرصوقاً بالاحجار الصغيرة فحسبما اخبر السائح المذكور انه عد منها
مئتين عمود ولم ينظر سوى نصف المدينة لان الصف الثاني في الناحية البحرية
وجرش هذه هي كراسا القديمة من مدن زكابولس اي العشر مدن واطلق على هذه
المدينة اسم جلعاد وفيها كنيسة من عهد الصليبيين تسمى (جارس) وقرب
قرية عجلون الى جهة قلعة الرض وتسمى الباعوثة ايضاً والى جنوبي نهر الزرقا
الى النهر الموجب البلقا وشاليها جبل الصاط وليس فيها محل مسكون الا قرية
الساط ومن اماكنها القديمة جلعاد وعمون وهي الان عان وحشبون وهي الان
حسان والعال ونبا وماعين وعراعر وذيبيان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً
ارض بني عمون والجنوبي النهر الموجب وهو نهر ارنون ايضاً الى الاحسا ارض
الكرك وهي ارض مواب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي قير مواب
وربة وهي ربة مواب وزعرا ويقال انها صاغر

ثم البصرى وهي من اشهر بلاد حوران التي مركزها الى جنوب شرقي دمشق
قال ابو الفدا انها كانت من ديار بني مره وقد ذكرت في التاريخ تحت اسم بوسترا
ولا يعلم المحققون تماماً زمن بنائها وقدميتها وقد اخبر التاريخ ان الملك نرجانوس
الذي تولى سنة ٩٨ للمسيح اخذ هذه المدينة واقام عليها محافظين وذكر اسقفها في
عدة مجامع وخراباتها التي هي على هيئة كروية تمتد من الشرق للغرب وهي اشهر
البنابات وكل هذه الاثار منذ عهد القياصرة الرومانيين قيل انه يوجد فيها جامع
كبير منذ عهد اوائل الاسلام وقلعة حصينة جداً

فينيقية

يسمح لنا المطالع ان نتكلم قليلاً عن اقليم فينيقية وما حاز اهله قدماً من
الاشتهار قبل ان نبدي بالكلام عن تاريخ مدنها فنقول . . . انه قد اختلف
المورخون في تحديد تخومها فمنهم من قال انها تبدي لجهة الشمال من نهر (بالانيا)
اي نهر بانياس حيث قلعة المرقب فتتد طوياً لجهة الجنوب من وراء جبل
الكرمل الى قلعة الغرب المعروفة الان بالطنطورة (وهي دورا القديمة في بلاد
نابلس) وعرضاً تمتد من شرقي البحر المتوسط من وراء لبنان ودمشق حتى بادية
العرب وحسب جغرافية بطليموس هي البتعة الواقعة بين الطنطورة الى جنوبي راس
جبل الكرمل والنهر الكبير لشالي طرابلس واذا اتبعنا التاريخ الموسوي نرى ان
(صيدون) اي صيدا الان كانت اتصت تخم فينيقية الشمالي وغزه اقصى تخمها
الجنوبي غير انه يقول لما كان الفلسطينيون قد ابتداءً وامند ايام ابراهيم ان بزاحوا
الفينيقيين المستوطنين في الجهة الجنوبية حتى دفعوهم رويداً رويداً نحو الشمال الى
دورا اية الطنطورة وجب ان نجعل هذه المدينة الاخيرة حد تخم فينيقية الجنوبي
وتخوم الفينيقيين لجهة الشرق كانت غير معلومة وعلى ذلك تكون مملكة
الفينيقيين قد انحصرت في رقعة ضيقة من الارض ممتدة من شاطئ البحر الى
قاعدة الجبال من جهة الغرب وهي حسب الجمهور تقسم الى قسمين بحرية ولبنانية
فالبحرية تشتمل على مداين وهي صور عكا حيفا صيدا بيروت لاذقية جبيل
بترون طرابلس طرطوس ومدن اللبنانية دمشق بعليك عرقا عكار وبانياس واما
اسمها فاختلف فيه فذهب بعضهم الى انها دعييت اقليم فينيقي نسبة الى فينيكس
اخ قدموس وذهب اخرون الى ان هذا الاسم تفسيره بالفينيقية نخل فدعي به
هذا الاقليم لكثرة النخل به واما مدن فينيقية حسب التاريخ الموسوي فهي دور
وعكا واكريب وصور وصر فند وصيدون وبيروت وجبيل والبترون وعرقا وارواد
وجبله وزمره وطرابلس واللاذقية وربما مدن اخرى وذهب بعضهم الى ان جبيل

كانت اول مدن فينيقية وخالفه بعضهم مدعيان صيدون هي الاقدم وهو المرجح كما يستدل ذلك من كلام يعقوب ابي الاسباط وهو ميروس الشاعر المشهور هذا ولا يقرر التاريخ عن الاماكن التي اتى منها الفينيقيون اولاً ونرى المؤرخين في سكوت عن شيء اخر وهو هل هم اول من سكن فينيقية بعد الطوفان او وجدوها معمورة فان كانوا وجدوها معمورة هل طردوا سكانها ام تغلبوا عليهم وسكنوا بينهم فهذه مسائل مجهولة ويبين ان اسمهم القديم كنعانيون واسم بلادهم كنعان ولم يصل اليها ولا تاليف من قلمهم به بخلاف ذكرهم وقد اضمحلوا حتى انه لم يوجد منذ الف وخمسة مائة سنة احد ممن يوجد فيه نقطة من دم فينيقي والان نذكر الانهر التي في فينيقية فمنها الاردن والارنط المعروف بالعاصي وفيسوت الذي يصب قرب الكرمل واللبطاني وهو الفاصل بين بلاد بشاره وبلاد الشقيف ويدعى القاسمية عند مصيه بقرب مدينة صور ومخرجه من بلاد بعلبك ماراً في سهول البقاع وجنوب لبنان وشمالى صور ونهر الاولي شمالي صيدا والدامور وهو تاميروس باليوناني بين بيروت وصيدا كثيراً ما تجتمع به في اوان الشتاء المياه الغزيرة والماخوراس اي نهر بيروت الذي يصب بقرب مدينة بيروت شمالاً في المخلج المسى بمخلج ماري جرجس ونهر الكلب ويدعى (ليكوس وسبرى) وقد اقام الملوك الرومانيون وخاصة الملك انطونيوس الحليم الذي تولى المملكة الرومانية بعد المسيح بمائة واربعين سنة جسراً لهذا النهر فهدم فهدم سنة ١٢٩٢ سيف الدين بن الحاج ارقطاي المنصوري الناصري وامر بعمارة جسر اخر هائل حضر الافرنج في عمارته فاستقام زماناً ولما هدم اقام الامير بشير الشهابي بن الامير قاسم بن الامير عمر بن الامير حيدر جد الامراء الشهابيين الموجودين بلبنان جسراً اخر غيره فوق المكان الذي كان فيه سنة ١٨٠٩ وهو ثابت للان ثم نهر ادونيس اي نهر ابراهيم ونهر قاديشا وبالاينا ونهر عكار ونهر عرقا والبارد ونهر ابروش الذي يتفرع منه النهر السبتي عند اليهود والنهر الكبير وهو الفاصل بين جبال النصيرية وجبل لبنان الى جهة الشمال ونهر سين جنوبي جبلة ونهر ونهيرات اخر كثيرة لا حاجة

الى ذكرها هنا ونقول ان رجل الفينيقيين في افريقيا وما عمروا من المدن والاقاليم هو ما يكف عن وصفه كل بارع ليب فهن مصر الى اقصى المغرب الاقصى ازدهت منازلهم وكثير من المدن في (ليبيا) حيث طرابلس وفي (نوميديا) حيث اسلابول وبعض مملكة تونس وفي فاس والمغرب الاقصى حتى الصحراء ومن غرائب ما يحكى عن ارتحالهم انه وجد ما بين سكان اميركا القدماء انفسهم قوما من الفينيقيين

واهلها من ذرية حام بن نوح عليه السلام اختلفوا مع ذرية سام قبل ان كرموس ابن ملك فينيقة ارتحل الى المورة وهناك بنى مدينة (تيس) وعلم هل المورة غرس الكرم ثم ان الفينيقيين هم الذين استنبطوا فن سفر البحر وبذلك يشهد لهم المورخون باتفاق قال بوجولا السائح المشهور ترى من تجاسران يطرح نفسه في بحريه تتلاطم الامواج على دفقة من خشب سوى اهل فينيقة وهم الذين استنبطوا الحروف الهجائية وافادوا بذلك جميع الاقطار وقد استنبطوا عمل الزجاج واشتهروا في عمل الصباغ ولا سيما في لون الارجوان وبنوا في شالي افريقيا مدينة قرطاجنة التي اشتهرت بالثروة وبنوا في جنوبي اسبانيا مدينة قادس ومدنا اخرهم الذين توغلوا في سفر البحار اذ خاضت عمارتهم لبحر البحور فتاجروا في الهند وفرانسا واسبانيا وانكلمنا وما بينهم نظرا عظم الملاحين واشهرهم وسليمان عليه السلام حينما ابتداء ببناء هيكله في القدس الشريف جلب بنائين من صوره اسسوا بعلبك حيث توجد حجارة طولها نحو ثلاثين ذراعا وارتفاعها نحو سبعة اذرع والحاصل نرى ان هذا الشعب هو الاول بين شعوب الكرة الارضية تجارة وحذاقة وفطانة واما ديانتهم فكانوا يعبدون الاصنام كبعال اله الشمس وعشروت الهة الحسن وكان عندهم غلام جميل المنظر جدا يدعى تموز قتل في الصيد فتأسفوا عليه جدا ودعوا الشهر الذي قتل فيه شهر تموز وبقي هذا الاسم ايومنا هذا واما لغتهم فكانت كاللغة العبرانية ولم يوجد الان لها اثر وقليل المسج بنحو الف وخمسة سنة استفتح سوز وسترس ملك مصر اقليم فينيقة وكتب تاريخ

افتتاحها على بعض الصخور عند نهر الكلب وكان ذلك قبل خروج بني اسرائيل من مصر بسنين قليلة وكان دخولهم ارض الميعاد قبل المسيح بنحو الف واربعماية وخمسين سنة وبعد ذلك بنحو سبعمائة وخمسة وعشرين سنة اتى سنحاريب ملك الاشوريين وفتح فينيقية وحاصر صور نحو ثلاث عشرة سنة وخرب المدينة القديمة المبنية على البر وبقيت المدينة المبنية على الجزيرة فقط وقد بقيت فينيقية تحت سلطنة ملوك نينوى وبابل الى ظهور اسكندر الكبير المنقلب بذي القرنين الذي خضعت له البلاد دنا صور فحاصرها وردم البحر الفاصل بينها وبين البر باخشاب وحجارة من بقايا خرابات صور القديمة وجاز عليها فهدم المدينة واحرقها وتل خلتا كثيرا وبعد وفاة الاسكندر دامت فينيقية في ايدي خلفائه تحت ولاية مصر وغانا تحت سلطنة ملوك انطاكية ثم انتقلت الى الرومانيين وفي سنة ٦٥ قبل المسيح صار والي سورية وفينيقية وفلسطين من قبل الرومانيين وبقيت في ايدي الرومانيين سنين كثيرة وعمرى البلاد وفي سنة ستماية واثنين وثلاثين مسيحية ارسل الخليفة عبد الله جنودا لافتحاح سورية فافتتحوها بعد الحصار دمشق ثم بعلمك وحمص وحلب واورشليم وقيسارية وانطاكية فكانت دمشق اذ ذاك عاصمة سورية وانتقلوا الى بغداد. وفي سنة ٧٤٩ اتى الصليبيون واستخلصوا اورشليم من المسلمين وتلكوا جميع شاطي البحر وصارت فينيقية بيد الافرنج وقد قسم الافرنج هذه البلاد فيما بينهم واقاموا احدا منهم ملكا على اورشليم وجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة الى ان انتصر عليهم صلاح الدين يوسف الملك الايوبي سنة ١١٨٧ للمسيح ورجعت فينيقية تحت ولاية المسلمين وفي سنة ١٤٠٠ غزاها تيمورلنك قائد جيوش التتار وفي سنة ١٥١٦ حارب السلطان سليم العثماني متملكيا البلاد واستولى عليها وفي سنة ١٧٩٩ قدم بونايرت بجيوشه وحاصر عكا التي كانت مستواليا عليها احمد باشا الجزائر فلم يقدر على افتتاحها فتركها وانصرف الى بلاده وفي سنة ١٨٢١ اتى ابراهيم باشا بجيوش كرامة وحاصر عكا تسعة اشهر واستولى عليها في اليوم الحادي والعشرين من شهر ايار ورويدا

رويًا استولى على جميع سورية غير أنه في سنة ١٨٤٠ حضرت العساكر النجيرية فتسلمت المدن وبرزخه يسيرة اسلمت عكا فرجع ابرهيم باشا الى مصر وصارت سورية مع فينيقية تحت ولاية السلطان عبد الحميد الثاني الذي خلفه السلطان ابن السلطان السلطان عبد العزيز خان سلطاننا الحالي ادام الله تعالى ملكه
 فن يطالع هذه البقعة المختصرة بلا شك بتعجب من كثرة الملوك الذين شنوا الغارة على فينيقية، افتخروا وتشهدنا بذلك الاثار التي وجدت في بعض بلدان هذا الاقليم فانه في بعض قرى جبل الشوف وجد صنم اشوري وفلوس ضرب خلفا الاسكندر وفلوس قيصريّة ورومانية واخرى عربية اسلامية ثم تركية عربية ورؤوس سهام ورماح وبالاختصار قد وجد القوم اثار كل امة استولت على هذه البلدان ما عدا اثار الافرنج الصليبيين. ويوجد على صخور نهر الكلب صور تذكرنا غالبية المصريين القدماء وولاية بني اشور ويوجد صخران احدهما مورخ باليونانية يخبر عن اصلاح عساكر رومية الطارقي والاخر يخبر عن افعال السلطان سليم في هذه البلاد وما يشاهده المتأمل من الرسوم القديمة في كل من بلدان هذا الاقليم هو عجب كاساسات الحصون والرسوم والاعمدة الموجودة بمنايهروت وخارج المدينة فما على المرء الا التأمل بالماضي ومقابلة اياه بالحالي

اللاذقية

هي على ريف البحر المتوسط من الناحية الشمالية تبعد مسافة ١٢ ميلاً عن جبلة و٤٨ ميلاً عن انطاكية وهي في درجة ٣٥ ودقيقة ٢٥ من العرض الشمالي ودرجة ٣٢ ودقيقة ٤٢ من الطول الشرقي وهي على الشمال الغربي من راس داخل في البحر ويوجد ما بين الميناء والمدينة نحو نصف ساعة. روى ابو الفدا بانها ذات صهاريج ومركزها على ساحل البحر ولها ميناء جميلة واما دير الفاروض الموجود فيها فهو حسن البناء وحسبما يستدل انها قديمة جداً وتشهد

بذلك نزلها الشهيرة فكانت من المدن المعتبرة سابقاً وكانت مركزاً لامة
الدرجيين وفيها توفي الأمير محمد بن اسحق النخعي وذكر ذلك في جملة تواريخ
وقد رثاه أبو العلي القمي في هذه الابيات واولها

اي لا علم والميب خير ان الحيرة وان حرصت غرور
الى ان ينزل

والشمس في كبد السماء مريضة والارض واجفة تكاد تمور
وحفيف اجفحة الملائك حولك وعيون اهل اللاذقية صور

قبل ان (لاوديس) ام ساوقوس نيقاتوروس قد بنىها فسميت (لاودية) اي
لاذقية وقبل ان ساوقوس المذكور لما جدد بناءها دعاها باسم والدته وذهب
جان وانرا مير الى انه هو بانها ويوجد عدة مدن مسماة بهذا الاسم منها لاذقية
ليكم المسماة قبلاً (ديوسباس) ثم لاذقية روهاس وهي الان المدينة المدعوة اسكي
حصار في فريجييا ثم لاذقية كاسيوسينا واليوم لاديق في ايكاونيا ومركزها على بحيرة
في ارض فونكانية ولاذقية ييسيد يا ثم لاذقية لبنان وكانت بين حمص وعلبك
اما اللاذقية التي نحن بصددها قد عمت لاذقية العرب تمييزاً بينها وبين
غيرها وكان اسمها قديماً (رامانا) اي المرتفعة وذهب بعضهم الى انها دعيت
راماناس مركبة من راما واناس وتاويل ذلك الاله السامي مذ وقعت كباقي
المدن السورية تحت سلطة الرومانيين وقد سلم الديوان الروماني هذه المدينة الى
كاسيوس عند وقوع خلاف بين حزبي تيصر وبروتوس فقاوم اهله كاسيوس
الذي حاصرها وافتتحها وبعد وفاته عفا عنه السكان من الجزية وروى
(لاكوبان) ان يوليوس قيصر هو الذي جعلها حرة ودعاها يوليت باسمه
وساويروس او غسطينوس ستيهوس منحها الحق المنوح للمدن الرومانية وابطل
اميزات مدينة انطاكية العظيمة نظراً لانعطاف اهلهما نحو بيشيانوس بنجر احد
اعدائهم فارسل بنجر المذكور جنوده الى اللاذقية واخربها ثم انتصر عليه ساويروس
فدعا اللاذقية سينيما الساورية ودعى اهلهما سينيبيين نسبة اليه

وآمن سكانها بالمسيح في مبتدا الانذار به وارثيوس كان اول اسقف عليها
ومن اساقفتها اناتوليوس الذي اخبرنا عنه ماري ابرونيوس واوسابيوس
اذ قال انه اشتهر بالفضائل السامية والعلوم الفلسفية وخلفه جاورجيوس ولهذا
تخلف تاودوريوس ثم ابوليناريوس الذي قاوم بورفير يوس المنافق واشهر ما ينف
عن ثلاثين كتاباً محاماة عن الكيسة وعد لا كويان من اساقفتها ثمانية عشر اسقفاً
افتتح المسلمون هذه المدينة في سنة خمس عشرة للهجرة النبوية الموافقة لسنة
ستماية وسبع وثلاثين مسيحية وذلك رواه ابوالفدا ذكر البطريرك اسطفانيوس
ان الافرنج الصليبيين ادى افتتاحهم اياها سنة ١٠٩٩ استفكوا منها الاسرى
وروى بتاريخ سنة ١١٢٠ ان الملك بلدونيوس اعطى ابنته جبلة والملاذقية
وبالقرب من هذه المدينة حدثت المعركة التي كاد ان يقتل فيها الملك لويس
السابع ملك فرنسا المتوجه بالصليبية سنة ١١٤٧ وفي سنة ١١٨٨ اخذها من
الصليبيين الملك صلاح الدين الايوبي وذلك دونه المقرئ في كتاب المخطط
ثم استرجعها الافرنج وذكر في مختصر تاريخ العثمانيين ان الملك قلاوون في سنة
١٢٨٦ اخذها منهم وسنة ١١٥٧ وسنة ١٧٠ اهدمت الزلازل منها قسماً وافراً
قال ابن بطوطة في كتابه تحفة النظار انها بلدة قديمة على ساحل البحر
رغم بعضهم انها بلدة الملك الذي كان ياخذ كل سفينة رغماً وقال ان بخارجها
دير الفاروض وهو اشهر اديرة بر الشام وكان لمدينة الملاذقية قديماً تجارة بالخمر
اما الان فبالتن الذي يجلب اليها من الاماكن التي في جوارها ولها منبج
بالقطن والحبر والسبسم والحنطة والشعير والذره والزيت والعسل والسمن
والشع والصوف وبما انها ربما مجاورة لاراضي فولكانية كثيراً ما نسمع عن حدوث
زلازل فيها واما اهلها فهم من كرم الاخلاق ومحبة الغريب على جانب عظيم
فيبلغون نحو اربعة الاف نسمة واما راس ابن هاني مزار النصيرية فليس بعيد
عنها وبالقرب منه توجد منارة للمراكب الخايضة للبحر ثم راس البسيط وبين
هذين الراسين كانت مدينة هرقلية ومدينة يوسيد يون كانت في محل البسيط

وهاتان المدينتان كانتا قبل اللاذقية وأما مدينة نينوى فكانت شمالي الجبل الاقصر
او الاسود المدعو قديماً كاسيوس وعلى ما قيل ان ارتفاع هذا الجبل عن البحر
الف وتسعمائة متر مما يحكى عنه ان الوائف على قمتها يقدر ان يشاهد الليل
والنهار معاً بإشرافه على كل من طرفيها وذكر ذلك بلينيوس المورخ ورغب
الملك ادرينانوس اختبار ذلك فممنعته عواصف شديدة وعندما استفتح السلطان
سليم الاول سورية سنة ١٦١٥ دخلت اللاذقية تحت ولاية الدولة العلية العثمانية
ثم لما تسلط ابراهيم باشا على مدن الاقاليم السوري استولى عليها وفي سنة ١٨٤٠
رجعت للدولة العلية العثمانية قال مؤلف سورية وهو داود المورخ المدققي في
احوال البلاد الشرقية ان اليونانيين حينما وجدوا كانوا يتخذون بجودة خمر
اللاذقية التي في حسب رايه المدينة الثالثة التي بناها سلوقوس نيقاتوروس
ودعاها باسم والدته كما تقدم ومركز مينائها امين من هول العواصف

وكانت ترسو فيها في زمن اشهرها مراكب عديدة حتى بلغ عددها
احياناً المائة ويقول انا نرى الامم التي تولت هذه المدينة مخنقة الاجناس
ومع ذلك ما كملوها ولا اعادوا لها رونقها الاول بل سقطت عواميدها القرنيتين
واحدة فواحدة والان قد زاد تاخرها بسبب عدم الاهتمام بها فانا نرى كرائب
رمل البحر المتوسط تغمر يوماً بعد يوم تلك الميناء التي طالما كد بتحصينها فطاحل
فرسان سالف الزمان وبالحقيقة ان المرء يتاثر لدى مشاهدته هذه المدينة التي
كانت من اشهر المدن اليونانية واقفت جفلى مما فعلته بها يد النوايب تنرم
بصدى اسمها الشهير سكرى من خمره الثقلبات التي طرات عليها

جبلة

ان مدينة جبلة هي الى شمال مدينة بليناس وعلى مسافة اربعة وعشرين
ميلاً منها واثنى عشر ميلاً من اللاذقية وقد اشتهرت في سالف الزمان وخصوصاً
في زمن سطوة الرومانيين غير ان كرور الابام وشدة الثقلبات لم تبقها على حالها

فإنها قد نزلت عن قدرها السامي وأمسّت بلدة صغيرة ذكر أبو الفدا في الجغرافية
 أن جبله بلدة صغيرة ولها مزار وقد اشتهر أنه قبر إبراهيم بن الأدهم قال في
 المقرئ ومدينة جبلة أكبر من مدينة بليناس وما يظهر من موافات المتأخرين
 أنه لا يوجد فيها الآن ما يستحق أن يذكر سوى جامع قد بناه السلطان إبراهيم مع
 أنار ساحة يظهر أنها كانت محلاً للملاعب اليونانيين وهذا المكان هو على شكل
 قوس دائرة وقاعدة صفوف حول الساحة المتوسطة وكل صف مرتفع عن تحته
 ونصف قطار الدائرة نحو ١٥٠ قدماً ومحيطها الخارجي ٤٥٠ وتوجد المرايض
 التي كانوا يضعون فيها الوحوش المستحضرة لللاعب المرسومة تحت المقاعد
 ذكر في التاريخ أن أبا عبيدة افتتحها مع قسم وأمر من المدن السورية في سنة
 خمس عشرة هجرية الموافقة سنة ٦٢٧ للميلاد وما تكلم به تاج الدين طوس عنها
 أنها بلدة ذات منزهات بها تنفي هموم المشاهد في سنة ١٠٩٩ تمكها الصليبيون
 الذين امتدت بينهم الخصامات في ذلك الأوان المسببة عن الطمع في التنبض
 على زمام الرياسة وروى المقرئ في الخطاط وأبو الفرج بن العبري في تاريخ
 الدول أن الملك صلاح الدين الأيوبي أخذها منهم سنة ١١٨٥ ثم استرجعها
 الأفرنج وفي سنة ١٢٨٢ كان غوي المتولي عليها إذ ذاك يحاول ويهجم بافتتاح
 مدينة أطرابلس وروى ذلك مبشور في تاريخ الصليبيين وفي سنة ١٦٢٤
 صدرت الأوامر من الباب العالي بتنصيب الأمير فخر الدين معن المشهور والياً على
 ساير مدن عربستان من حلب حتى اورشليم فزار إذ ذاك الأمير المذكور مدينة
 جبلة حيثما قدم له أهلها ما يلزم من وفور الاحترام واهداء المتوجبات وأهل
 جبلة الآن نحو ثمانية آلاف نسمة هذا وإنه توجد سهول تخصبة بين جبلة وطرطوس
 وهي واسعة وقديمة تشهد بثروة السكان السالفين

قال مؤلف سورية المقدسة وهو داود الشرقي إذا توجهنا شمال مدينة
 بليناس ننظر أنار ماذن بيضاء تبشر القادم بوصول إلى مدينة جبلة المشهورة
 سابقاً وخصوصاً في زمن السطوة الرومانية وأنه في وسط المدينة توجد عين ماء

منها تدعى الجادة الجميلة وفوقها مسطربا حرف ذهبية آية من القرآن الشريف
وهي بسم الله الرحمن الرحيم الى ان يقول واذا اتبعنا هذه الطريق الضيقة نصل
الى الميناء فهناك تشاهد اماما وانعين تحت حمل الاشغال الثقلية مسرعين فلا
يشاهد المتأمل سوى راحات مرفوعة نحو الجبهة دلالة على السلام الى عابري
الطريق ثم تنظر حوالين ايضا حاملين اشياء مختلفة وبالاخص رزم قطن ثم
بستاحية متربعين وبنيهم الشبي او الغليون جالسين بالغرب من ساحة فيها
البطخ والخيار وشبانها تقريبا عراة بكبران اجبر وبخرام متبع منسولين
بالعشيقات او المتخبر ولا بد ان المرء يلاحظ قبح النظرة وشناعة الكلام الذي
يسمعها لونه فان كلامهم غير صحيح ابدا ومنه ما ليس تشبهه حاسبة السمع وهذه
المدينة الان هي بلدة صغيرة وليست ذات اعتبار كبلدن المجاورة

طرطوس

ان هذه المدينة المسماة قديمًا انطرواد اي تجاه ارواد هي بالتحقيقة الى الجهة
الشمالية من الجزيرة المذكورة ومع اننا اذا طالعنا النماذج نرى انها قد عادت في
سالف العصر في ساحة ميادين التندم اذ امتطت جواد النخاج نراها الان راكبة
اعرج الناخروا الهوان اذ انها ربما هي التي دعيت قديمًا ارتوسيا وخالف ذلك
آخرون وروى تيريوس ان اصلها كارواد ودون ذلك مواف سوربة
واما ابو الفدا فيدعوها انطروطوس وبناء على ذلك يكون اسمها الحالي منقطع منه
وقد هدمت مرارًا كثيرة وفقدت ما كان لها من الاهمية رغما عن جد وكد
اهلها الذين رغبت في ان يرجعوها الى حالتها السالفة ولم يندروا وذكرها كثيرون
من المؤرخين كاسترابون المؤرخ المشهور واتفق رأي الاكثرين على قدميتها
خلافا لما توهم بوجولا في كتابه مراسلات الشرق روى ان كتابه نضوس الاسكندري
ان بطرس لم يندرب في الايمان وقد قيل انني فيها معبدًا باسم والدة الخلاص

كان مشتهراً جداً حتى ان الناس كانت تتوارد اليه من كل صقع وناد واشهر عدد وافرم من اساقفتها واخصهم كرتاريوس واسكندر ونوفوس الذي امضى الرسالة المرسله للملك لاون وقيل انه كان لها ولارواد استقف واحد وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة الموافقة لسنة ٦٢٧ افتتح هذه المدينة القائد الشهير ابو عبيدة وكان اذ ذاك حضرة عمر بن الخطاب كما دون ذلك في اشهر كتب المؤرخين وفي سنة ١٠٩٩ لدى اجتياز الصليبيين الى مدينة اورشليم افتتحوها وتولاها اذ ذاك الكافير رايون وروى المقرئزي مؤلف تاريخ النطر المصري في كتاب المخطط بان الملك صلاح الدين الابوي اخذها من الافرنج سنة ١١٨٥ ولم تمض برهة من الزمان حتى استرجعوها منه الى ان اخذها منهم صلاح الدين خليل احد ملوك الدولة التركية في مصر سنة ١٢٩٠ واخذها بطرس لوسينيان في سنة ١٢٦٦ قال مواف سفر الاخبار انه لم يزل فيها اثار برج من ابنية الصليبيين والى الناحية الجنوبية يوجد كنيسة هي لاشك قديمة جداً اذ اخبرنا المؤرخون انها لم تنزل قايمة منذ الجيل الثاني عشر غير انها الان ماوى للمواشي ولا نعلم اذا كانت هي الكنيسة المنوّه عنها في سفر الاخبار انها من ابنية اهل الجيل السادس وهي الان قريبة من الخراب واهلها نحو ستماية نفس وهم يسكنون في بور داخل قلعة واسعة وهذه التلعة ربما كانت من ابنية اهل فينيقية قال مواف سورية انه اذا تركنا مدينتي المرقب وبلنياس وقطعنا بضع بحيرات نصل الى مدينة طرطوس او اوركوسياس القديمة وان هذه المدينة الصغيرة تقدم للناظر منظرًا معاكسًا منظر مدينة جبلة الحالي لاننا ننظر المراسم باختلاف كلي والسكان الذين يسكنون طرطوس والمخالات المجاورة هم روم ولا تينية وبعض من الارض الذين يتعاطون الصيرفة هذا وان ليس فيها حكومة متصرفية بل يوجد فيها نائب وطرطوس هي من جملة المدن التي قلبتها يد النوائب فانزلها عن سامي قدرها واما بناؤها فلم يات بتاريخه احد من المؤرخين سوى مواف القاموس العمومي اذ قال انها بنيت في الجيل الخامس انتهى

وعلى ما يظن أنه لم يعلم احد من بناها وهي على مسافة اثنين وستين كيلومترا من شالي مدينة طرابلس ثم توجد مدينة اخرى تدعى طرطوس وهي في اسبانيا على مسافة اربعة وعشرة كيلومترات من شمال شرقي مدريد عاصمة اسبانيا وفي تلك النواحي على بعد ساعة ونصف من طرطوس توجد اثار خرابات مدينة مرائوس من مدن فينيقية وهي تدعى عبريت او امريت وهذه المدينة هي غير مسكونة الان لكن يوجد اعمدة قديمة شاهدة على قدميتها وعلى مسافة ست ساعات من شمال شرقي مدينة طرطوس توجد قلعة المرقب قال ابو الفدا المرقب حصن او قلعة احدثها المسلمون سنة ٤٥٤ هجرية وهي قلعة حسنة البناء منها يشاهد البحر وبلنياس اسم لبلدتها والمسافة الكائنة بينهما هي فرسخ تقريبا اما هذه المدينة فهي نزهة المنظر فيها رياض واشجار وانواع الفواكة المختلفة اما الان فالمرقب هي اسم قرية في جوار القلعة المسماة بهذا الاسم ومدينة بلنياس على ساحل البحر الى الشمال منها وكروا الايام لم يبق سوى اثار طيفة لهذه المدينة. ذهب بعضهم الى ان المرقب هي المسماة ماراتوس وماراكيا وخالف ذلك بعضهم ويستدل من تواريخ ماراتوس انها كانت في زمن المورخ استرابون دمارا وقد اقتسم اراضيها بعد حرب حدثت بها اهالي ارواد وعد استرابون ما بين مدينة اللاذقية والنهر الكبير عدة مدن صغار منها ارتوسيا اعلمها طرطوس وبلنياس وسيميريا وغابالا وهي جبلية وقد اقام الصليبيون على قلعة المرقب حربا شديدة نيرانها فافتتحوها غلب اتعاب وروى البطريق اسطفانوس الدوميني انه في سنة ١٢٨٥ استرجعها منهم الملك تلالون وفي سنة ١٦٢٢ اُتت القبط في هذه القلعة على الامير حسين بن الامير فخر الدين المعني ومديره الشيخ ابي نوفل نادر الخازن الماروني

(جزيرة ارواد)

هي الى الجنوب الغربي من طرطوس واتفق راي المؤرخين انها تبعد مسافة

ثلاثة أميال عنها وفي جزيرة قد بلغ محيطها نحو اثني وخمسين خطوة وروى
 بلينيوس أن محيطها بلغ سبعة فراسخ وهذه الجزيرة مشهورة في تواريخ المدققين
 مع أنها كانت صغيرة وفيها كثير من بساتين البنية الفينيقية من تالاع واسوار متينة
 روى (بومبانيوس ميللا) أن مدينة ارواد كانت مبنية على سطح هذه الجزيرة
 كله وليس فيها ماء سوى ما يجتمع في الآبار من ماء المطر وفيها مرسى أمين
 للسفن حادث من حيطان ضيقة أخرجت إلى البحر من طرفيها وأهلها الآن
 قليل وسائر أعمالهم متوقفة على الأعمال البحرية روى مؤلف سورية أنها دُعيت
 بهذا الاسم من أراديبوس بن كنعان بن حاتم بن نوح قال داود المورخ المدقق
 في أحوال الشرقيين لدى انتهاء كلامه عن مدينة طرطوس هلم اتركوا للنظر
 هذا الصخر البحري الذي صار قدماً مشيخة ارواد الفينيقية والذي ليس هو الآن
 سوى صخر شاسع فهي جزيرة عريانة منفرة ليس فيها مدماك ولا زاوية ولا اثر
 سكن فان ما حل بها من الانحطاط لم يحل بسواها وحسبنا اخبر سترابون أن
 هذا الصخر المكون هذه الجزيرة كان قديماً ملبواً من البيوت التي فاق ارتفاعها
 أعظم بيوت رومية وأنت جوراً الصخر كانت مكونة مينا بها كانت تاتي وترسو
 المراكب الصيدونية والصورية وإن أهالي ارواد نظراً لما كانوا عليه من الخدافة
 قد اكتشفوا على ينبوع ماء حلو في عمق البحار المالحة ومن هذه النبعة كانوا
 يستقون بواسطة قساطل في زمن الحرب وكانوا قد اتفقوا فن البناء والملاحة
 حتى أنهم كانوا يصنعون مراكب متينة يبيعونها للسواحل الفينيقية ذكر اوسابيوس
 القيساري أن الصيداويين هم الذين بنوها وذكر في تاريخ العهد القديم على سنة
 ٢٢٢٠ ق م أن الاروايين أي نسل ارادواي كانوا يسكنون مدينة ارادوس
 القديمة التي موقعها تجاه الجزيرة والمدينة المسماة بهذا الاسم ثم أن مدينة ارادوس
 دُعيت انشادوس بعد تأسيس ارادوس في الجزيرة المجاورة التي ليست مأهولة
 سوى من سكان الاولى ذكرت في نبوة حزقيال اصحاب ٢٧ انه اشهر أهلها كما
 تقدم في الصولة والسطوة في البحر وقد خضعت أولاً للملوك صور ثم أقاموا عليها

ممكناً كن تحت سطوة منوك ، ادي روى بعضهم انه كانت لاهل ارواد ملك
 كبير في مدن فينيقية وقد سلمت هذه المدينة الى اسكندر ذي القرنين دون حرب
 فقبل اسكندر التكريم من مدن منكها وكانت من حزب سلاوقوس كايثيكوس
 في زمن السلوقيين خلفاء اسكندر وذلك عند خضام سالاوقوس المذكور مع
 اخذ طيوخوس واذ سمعهم ان يمشوا من بفر من الهكة ولا يجرون فيها بعد
 على تسليمهم فنجوا الفخاخ الكبر في توسيع املاكهم وقد اخضعها بومبايوس الولاية
 الرومانية وحينئذ نشدت عليهم من قبل الرومان الجزية فسال حبة ندر
 اهلها السلاح على كورنوس وسالسيوس الفاتحين وذلك هيج عليهم غضب
 الرومان الذين لم يلبثوا الى ان قتلوا عدداً وافراً من اكابرهم قبل انه كان
 فيها مذارة لمساقرين ورب هذه المنارة هي ذلك البرج المشار اليه في اشهر كتب
 المؤرخين واليهاء في والس الملك الاربوسي القديس برسا استغف الرها وذكر
 موكيوس استغف ارواد في الجميع التسططيني الاول وفي رسالة اساقفة المشرق
 الى الملك لاون مخاطبة المجمع الحلكدوني وعد (لا كويان) سبعة من اساقفتها
 روى موافق سورية في الوجه السادس والسابع والتسعين من كتابه الثاني
 ان معاوية بعد ان افتتح في سنة ٦٤٧ قبرس وجه عمارته البحرية نحو رادوس
 او ارواد بقصد افتتاحها هذا وان سكان رواد لكي يحفظوا ثروتهم كانوا لدى
 سطوة الفرس والمكدونيين والرومان يخافون على اهلهم وغيرهم لم يسروا لذا
 المسرى مع العرب فانهم اذ تكدوا قوة اسوار جزيرتهم لم يخافوا العمار العربية
 ولم يساءوا وهكذا هم معاوية على الحملات التي كان يزعم انها ضيقة لكن لم يندر
 على شيء واذ لم يرغب ان يبنى طارحاً نفسه تحت احوال الامطار الشديدة
 ارسل اليهم (توماركل) استغف حماه يندرم للطاعة والتسليم فسكوا الاستغف
 عندهم وهكذا رجع معاوية فخرلاً ورجع في السنة التالية فناصرها وسلم اهلها
 بشرط ان تكون لهم الحرية بالذهاب اينما شاءوا فدخلها الجنود واحرقوها ومنذ
 ذاك الحين انحطت عن قدرها ولم ترجع تطاً كما كانت عليه وتملكها الصابيون

ثم بارحوها في اخر زمن مبارحتهم الاقليم السوري في سنة ١٢٠٢ وفي سنة ١٧٢٠
نفي اليها الاسقف ابراهيم اسقف الارمن الكاثوليك في حاب وفي المذكور منفياً
نحو سنتين ثم اتى وسكن كسروان وصار بطريركاً لطائفة الارمن الكاثوليكين
اما اهل ارواد فيعيشون من صيد السمك وجمع الاسفنج والتجارة في
زل الماشي فانهم يوسقون في السفن الى المحلات المجاورة لها حيثما يستخدمونه
لادمال البساتين

جبال النصيرية

هذا ما جاء عن هذه القبائل واطلالها في المارة الوضية هي الى شرقي ما قد
سبق الشرح عنه من المدن كاللاذقية وجبلة وغيرها وهذه الجبال تنقسم الى اقسام
ومقاطعات حمة واول هذه المقاطعات هي مقاطعة الخواي موقعها الى جنوب
شرقي قلعة المرقب فيها عدد وافر من القرى واكثر اهلها من النصيرية وفيها
اسماعيلية ومسلمون وروم وحكامها مسلمون من بني عذرا يلقبون اغاوات وقلعة
الخواي هي مركز اقامتهم ثم مقاطعة المرقب ومركز حكومتها قرية زمري وقلعة المرقب
واهلها نصيرية ومسلمون ونصاري وهذه المقاطعة تحتوي على تسعين قرية تقريباً
ثم مقاطعة الندموس وحكامها اسماعيلية يفسحون الى طائفتين الخجاوية
والسويدانية ولم اقب امراء ومن كان منهم متولياً يسكن قلعة الندموس وحسبما
اخبره ولف المارة الوضية ان في هذه المقاطعة ١٧٧ قرية اهلها اسماعيلية ونصيرية
ومركزها الى شرقي المرقب

والى الشمال منها مقاطعة سميت قبلي وهي ثلث حال بنو باشو وبنو عثمان
الساكين في قرية الحضار وبنو ابي عاص يسكنون في عين قيطو وحلة الحمام
لبنى حجاج وهم يسكنون في قرية الحمام وحلة السرامطة لطائفة البشادة وهم
يسكنون قرية بعبداد ودوبر بعيدة وبني غريب وهم يسكنون قرية الدالية وسائر

هذه القبائل نصيرية ومقاطعة بني علي حكامها بنو الي شلمه يسكنون في عين الشناق وبلتوت مقدمين وفي هذه المقاطعة نحو ٢٦ قرية واهلها غالباً نصيرية ومقاطعة الفرداحة وحكامها بنو احمد يسكنون في قرية بتنبول وبنو جر كس في مرج معيربات وبنو علي في الفرداحة وبنو الصلي وشهاب الدين فيها ايضاً وبنو حصون في بسلام والبراج وبنو علوش في كلاً وضو وجميعهم نصيرية وبلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة نحو ٨ قرية ومقاطعة جبل المبالبة وحكامه بنو غصن يسكنون قرية اللدين وبنو خهربك يسكنون قلعة المرسالية وجميعهم نصيرية وبلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة ٤٧ قرية واهلها نصيرية ومقاطعة الزبرعة حكامها بنو احمد وبنو محمد وبنو علي وهم نصيرية ايضاً بلقبون مقدمين ايضاً وفي ثلاثة اقسام الزبرعة والعمارة وساحل الزبرعة وفي هذه الاقسام نحو مائة وعشرة من الضياع والمزارع . ومقاطعة صهيون وحكامها بنو جندي مصطفى يسكنون في قرية الحفة وطائفة الارشوكية وهم يسكنون قرية شير الفاق وبنو جندي ابراهيم يسكنون في مستبيل وطائفة الزانقة يسكنون في قرية الزانقة وجميعهم مسلمون بلقبون اجناداً وبنو المقاطعة نحو ٤٧ قرية ومدينة صهيون التي قال ابو الفدا انها ذات قلعة حصينة لا ترام من مشاهير معاقل الشام وقلعتها مياه كثيرة تجتمع من الامطار وهي على صخر اصم بالقرب منها وادي من الحصنات لا يوجد مثله في تلك البلاد ونظير من عند اللاذقية وبينهما نحو مرحلة وهي في الشرق بميلة عن الجنوب الى اللاذقية (انتهى)

اما ساحل اللاذقية فيحتوي على ستين قرية من قرى النصيرية والى الشمال الشرقي من اللاذقية توجد مقاطعة البهلولى وحكامها من طوائف شتى كبنو علي وبنو شمسين وبنو منصور وغيرهم وكلهم نصيرية وفي هذه المقاطعة نحو ٤٧ قرية واهلها نصيرية ايضاً والى جهة الشمال الشرقي منها مقاطعة جبل الاكراد وحكامها عدة عشائر من المسلمين وانيها ضياع واهلها نصيرية واكراد وارمن وفي الجبل الاقارع والى شرقي كثير من الضياع والمزارع والقرى سكانها تركا واکرا

بار من نصيرية هذا وإنه لا يخفى ما هم متورطون به هؤلاء الأنام من الخيانة
 وإيهال الدماء لا يخفى أن على كل ذي بصيرة ثم إلى الشرق من طرطوس بجهة
 الجنوب نحو ست ساعات صفيطة سكنها نحو ٥٠٠ دندس روم و ٢٠٠٠ سلام
 وفي سائر المناطق يوجد نحو خمسة وثلاثين ألف نسمة وهناك برج على تل من
 أيام الرومان يدعى إلى الجنوب الشرقي منها دير الحبر المنسوب إلى ماري
 جاورجيوس وبالقرب منه عين دورية تجري منها المياه قد تم تفطاح أخرى وهذه
 العين هي النهر السبتي المنه عنه في تاريخ يوسفوس إلى الجنوب الشرقي من
 هذا الدير على مسافة يسيرة توجد قلعة الحصن وهو المعروف قداماً بخصن الأكراد
 وكان مقام ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس قال ياقوت أن الملك صلاح الدين
 يوسف ابن أبي أيوب حاصره زمناً ثم امتنع عنه ثم افتتحه ونحت القلعة والدير
 المذكورين وادي يجري فيه النهر الكبير هناك منتهى جبال النصيرية ومبداً جبل
 لبنان

ذكر صاحب الدر المنظوم في وجه ٢٤١ من كتاب الطائفة النصيرية
 القاطنة في القرى والحصون المجاورة لطرطوس أعفاها الماريكوس ملك القدس
 من تادية الألفي درهم التي كانت مفروضة عليهم في كل عام لفرسان الهيكل
 وذلك حيث أن هذه الطائفة تسلمت في سنة ١١٧٣ وما رالت إلى الآن تحتفظ
 ببعض عوائد وأعياد بصرانية وإن كان على أساليب تخالف ومن رام معرفة أصل
 ونسل هذه الطائفة فعليه مراجعة الجزء الأول من كتابنا

بلاد عكار

هي متصلة بجنوبي مقاطعة الحصن التي تدمر الكلام عليها ولها الطرف
 الشمالي من جبل لبنان الذي سوف يأتي الكلام عليه وهي تمتد من هناك حتى
 البحر وكل من زار تلك البلاد يؤكد أن فيها من الفيض الواسعة ما
 ليس بوصف وخصوصاً سهل عكار الذي هو إلى شمال اللاذقية وهو شهير

بجودته ووفرة تربته وتجري في كل من نواحيه عدة من الأنهر وانهرات المندففة بغزارة امياها الصافية واخصها النهر الكبير الذي دعاه القدماء (افوناروس) وهو حسبما نص بعض المؤرخين حد الاقليم الفينيقي من جهة الشمال واما الشجرة التي طالما كلمنا عنها اجدادنا هي في الجبل وهي سهول قفراء واسعة وحسبنا تأكيد وظهور انها ممكنة للتصوص وفي هذه المقاطعة يوجد نحو ١٤٠ قرية وجماعة مزارع واكثر اهلها من الروم الذين بلغ عددهم ما يتيف عن ثمانية آلاف نسمة وفيها نصيرية نحو ٢٥٠٠ ومناولة نحو سبعة آلاف وموارنة نحو اربعة الاف وخمسة نيس ومن انهر قرى هذه المقاطعة عكار التي حسبما نص مؤلف الدر المنظوم انها كانت مقر الامراء بني سيفا الذين انقضوا من ايام طرابلس سنة ١٦٢٧ وذلك بسبب انارتهم فتنة على الدواية العلية العثمانية التي حاربهم واحرقت عكار وقضت سلاطنتهم بالكيفية فلم يبق لهم اثر ومن ذاك الحين خربت عكار ولم تعد الى ما كانت عليه

عرقا

موقعها في سفح لبنان لجهة الشمال اشتهرت في سالف الزمان اشتهاراً عظيماً ودعيت حسبما اخبر مؤلف الدر المنظوم قيسارية لبنان وقد اتى اليها الملك تيطس الروماني بعد ان حارب واقتنح مدينة اورشليم وهناك حسب العوايد قدم في هيكل الزهرة ذبايح شكر للالهة على انتصاره على شعب اليهود ولما مر الصليبيون على طرابلس في سنة ١٠٩٩ قاومهم والي الحكومة الذي كان في عرقا حينئذ فانتصروا عليه واقتنحوا عرقا مع مدن اخرى فاقتدما الوالي المذكور بجزية وهدايا فاخرة وروى ابن العبري انه في سنة ٥٥٣ هجرية المرافقة سنة ١١٥٧ م شيعية خربت عرقا في الزلازل التي حدثت ولم تلبث حتى احوالت عدداً وافراً من البلدان ايضاً الى حالة الدمار وكان اول اسقف عليها اوشمانوس وفي سنة ٢٨١ عند المجمع النسطنطيني فتمتدده اسكندر اسقف عرقا

هذا ولم ينزل كثير من اثار ابنة الفينيقيين قائماً كشاهد لاندسية هذه المدينة واما
هيكل الزهرة المذكور فيها فقد بناه الاسكندر بن فيلبس المكدوني وولد فيه
التيصر الروماني اسكندر سيفيروس وهي مولد اسكندر ساويرس ابن خالة
الملك عاليوغيل الذي شيد في رومية هيكلًا للشمس وادخل عبادتها عند
الرومانيين وبسبب فتنة حدثت ببيع اسكندر المذكور في سنة ٢٢٢ وفتل عاليوغيل
واما بلاد النسيبة فهي الى جهة الجنوب من عكار وهي فسيحة المساحة واهلها من
مسلمين وروم وموارنة لم تشتهر في سالف الزمان لذا نرى المؤرخين ضاربين
عنها صفحاً وفيها نوع من العنب اسود صلب ولذيذ الطعم وقد روى بعضهم
انه نظراً لصلابته يحمل في الجبال ولا يتأثر

طرابلس

هي في طول شرقي ٢٠° ٤٤' و عرض شمالي ٢٦° ٢٤' و روى مولف
سفر الاخبار ان موقعها في درجة ٢٤ ودقيقة ٢٦ من العرض الشمالي وفي درجة
٢٢ ودقيقة ٢١ من الطول الشرقي وقد دعيت مدينة اخرى بهذا الاسم
وموقعها في شمال الزينة في المغرب فاختلف المؤرخون في كيفية الفرق بينها
فذهب ياقوت في المشترك الى ان الشامية مسبوقة بهزة فتكتب هكذا اطرابلس
والاخرى طرابلس وعكس الامر بعضهم قال المتنبي

اكارم حسد الارض السامية بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس

غير انهم يفرقون بينها الان بقولهم لهذه طرابلس الشام وملك طرابلس
الغرب وهو المعول عليه ذكر ابوانثا الذي ولد في دمشق وتولى حماه وتوفي
سنة ١٢٣١ انها مدينة رومية على طرف داخل في البحر فتحتها المسلمون سنة ٦٨٨
وقال بعضهم سنة ٦٧٨ قال مولف تقويم البلدان اطرابلس وهي على ساحل البحر
قد افتتحها المسلمون سنة ٦٨٨ هجرية وخربوها وعن بعد ميل منها بنيت مدينة
اخرى باسمها وهي كثيرة الاشجار والبساتين وقصب السكر بينها وبين بعليك

٤٥ ميلاً وقد ذكر طرابلس (ديودوروس سيكولوس) والمورخ استرابون
الشهور وغيرها وانتهى المورخون على انها دُعيت هكذا لتماثلها من ثلاث محلات
كبدل على ذلك اسمها فان معانها اليونانية ثلاث مدن غير انه اختلف في موقع
هذه المحلات ولاشهران احدهما كانت في محل المينا الحالية وتشهد بذلك
الاحدية والاثار القديمة التي تجاورها وموقع الثانية في الرفقة في شرقي المدينة
الحاضرة ودليل ذلك بعض اثار واخصها اثار قلعة ماء يوتي بهامن جهة
الجنوب وذي الانار ظهرة باجلى بيان بطواحين السكر في ارض مجدلها والخلعة
الثالثة قيل انها كانت في جهة البحصاص ومن يطالع التواريخ يظهر له ان
الخلعة الثانية والثالثة خربتاً قديماً وأنه في الاجيال المتوسطة كانت المدينة في
محل المينا وما يحيط بها على انه في كل حال لا نقدر نقول ان محل المدينة الحاضر
كان برية دون بناء وان سكان المحلات الثلاث كانوا من صور وصيدا وارواد
وردي ديودوروس انه كان المقيمين في طرابلس ديوان يتفاوضون به في
مهام الامور وتديرها ولا احد يندر ان يذكر ان هذه المدينة هي من اقدم مدن
العالم وذكرت في سفر المكابيين الثاني ص ٤ عدد احيث قيل ان ديمتريوس
بن سلاوتوس اتى اطرابلس مد فر من رومية بعد موت ايدي وجاء ليحكم سورية
اذ كان يحق له الملك فيها وكان ذلك نحو سنة ١٦٠ ق م وعندما انتشر الايمان
المسيحي امن به بعض سكان المدينة وقد ذكر مؤلف التاريخ العمومي انها في
درجة (٣٢) ٣١ طول شرقي ٢٦ ٢٤ عرض شمالي وهي تبعد مسافة مائة وخمسة
وخمسين كيلومتراً عن شمال غربي دمشق الشام وهي مدينة جميلة وفيها جامع
شهر كان سابقاً كنيسة واسواقها كثيرة ومبانيها غريبة ونواحيها مبهجة المنظر انتهى
وسكانها يبلغون نحو ثلاثة عشر الف نسمة ثلثه ارباع اسلام والباقي نصارى
وجميعهم مشهورين بعزة النفس والباس ولهم ميل الى اجتماع المعارف وهي
مقسومة الان الى قسمين المدينة وهي على جانبي نهر ابي علي والمياه دائرة في
شارعها ودوتها والاما التي سكانها نحو ٤٠٠ نفس وتوجد في هذه البلدة جملة

منتزهات وبساتين فيها تكثر انواع الاثمار والنواكه التي من جعلتها السفرجل التي قد بلغ وزن بعضها وزن بطيخة متوسطة ونسب بعضهم بناء قلعتها الى ريمون من نواوس عند مجيء الافرنج الى جبل لبنان في الجيل الثاني عشر من التاريخ المسيحي وقد احترقت في افتتاح المدينة اذ ذاك المكتبة الشهيرة التي اخبر بعضهم انها كانت مشتملة تقريباً على ثلاثمائة الف مجلد في اللغة العربية والفارسية واليونانية التي اعنى بجمعها القاضي ابوطالب حسن وقد افتتح هذه المدينة المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب وذلك بواسطة حيان يوكينا الذي اعتنق الديانة الحمديّة وساعد المسلمين في جميع حروبهم ولم تنوط فيها ولاية الخلفاء روى ابن الفرّج بن العبري ان معاوية غلب استفتاح قبرس وارواد وفي الى اطراباس بمراكبه فاستغزت الفيرقاخوين اطلقنا الاسرى النصراني غلب قتلها بعض حراس السجون وكونا فرقتين احدها قتلت الوالي والاخرى احترقت عارة معاوية في المينا وفرّ الاخوان الى القسطنطينية وسبها وفود قسطنطين الثاني بعارتو الفاصدة افتتاح سورية فالتفت بعارة معاوية تجاه كيليكيا بين رودوس وخليج بفيليا وحدثت حرب اذ ذاك لم يات تاريخ الامم بذكر مثل لما وقد دارت الدائرة على عارة قسطنطين وانتصر المسلمون واستمرت اطراباس تحت حكم الخلفاء حتى افتتح سورية نيكافوروس فوقاً سنة ٩٦٣ ولم تلبث سوى زمن يسير تحت حكمهم حتى استرجعها المسلمون ولبثت تحت حكمهم حتى افتتحها الصليبيون سنة ١١٠٩ وذلك بعد ان قاسوا امران عاب حصار دام خمس سنوات واقاموا واليا عليها الكونت رايون باني القاعة التي لا تزال حتى الان وكانت اهلها يرسلون الى البلاد الاوروبية قصب السكر الذي استخرجوا منه السكر الابيض وحتى كالم يزل مجهولاً عندهم وروى ميشود المورخ انه كان فيها نحو اربعة الاف معلم ينسجون الاقمشة الحريرية وكان مركزها في عرفا و ذكر البرتوس ان الافرنج عند اجتيازهم في ارض اطراباس وجدوا قصب السكر فاند لهم طعمه فنقلوا منه الى ايطاليا ثم الى غيرها من الممالك وفي سنة ١١٨٨

حاصر اطرابلس على الافرنج صلاح الدين الايوبي فحدثت هدمته بينه وبين
 (بيومند) واليهما واذ ذلك ثبوت العساكر الاوروبية وطردها عساكره روى ذلك
 ابن العبري وفي سنة ١٢٦٤ حاصرها بيبرس البندقاري وانهمز عنها وفي سنة
 ١٢٨٧ وافاها السلطان المصور سيف الدين قلاوون احد ملوك الدولة
 التركية في الديار المصرية فسمعه حسام الدين لاجين وشدد عليها الحصار
 فاخذها في ٢٦ نيسان وقتل كثير من جاءوا لاسعافها ومن رجالها وقد توفي
 بيومند صاحب اطرابلس سنة ١١٨٧ وهو الذي بنادبر بلند فوقها وجعلها سراي
 للنتزه فيها وحرق المدينة التي تركها الجنود قاعاً صنفماً وفي سنة ٥٥٢ خربت
 اطرابلس بزلزلة شديدة هدمت كثيراً من البلدان المجاورة وفي سنة ١١٧٠
 هدمت بزلزلة اخرى وقد درس في ذي المدينة ابن العبري المشهور الفصاحة
 والطالب على رجل نسطوري اسمه يعقوب وقد زارها في واسط الجبل الرابع عشر
 بن بطرطه من تفجر وكتب عنها في كتابه المعنون تحفة المظار في غرائب
 الامصار وعجائب الاسفار ما نصه ثم وصلت الى مدينة اطرابلس وهي قاعدة
 الشام وبلدانها انضمام نخزرها الانهار ونحفيها البساتين والاشجار ويكتنفها البحر
 برافقوا العميمه والبر مخزراته المقيمة ولها الاسواق العجيبة والمسارح الخصبية
 والبحر على ميلين منها وفي حديثة البناء واما اطرابلس القديمة فكانت على ساحل
 البحر وتمكنها الروم زماناً طويلاً استرجعها الملك الظاهر خربت واتخذت هذه الحديثة
 وكان فيها نخواريين من امراء الاتراك وامبرها طيلان الحاجب المعروف
 بملك الامراء وكان يسكن في الجامع المنسوب اليه وهو غربي المدينة الى قوله
 وفي هذه المدينة حمامات حسنة منها حمام القاضي القرني وحمام سندمور
 المنسوب الى احد امراءها (انتهى) وفي سنة ١٢٦٢ اهتم بطرس اللوسيناني ملك
 قبرس بتجديد الهامية فلم ينجح ومع ذلك غزا بمعونته قوم من البندقية وفرسان
 رودوس وبعض فرسان من اوروبا الاسكدرية فملكها ثم احرقوها ووافوا الى
 سوريه فملكوا اطرابلس ولم تثبت ولا ينهم بل استمرت اطرابلس في حكم سطوة

الدولة التركية ثم الدولة العثمانية في مصر الى ان ظهر ذلك البطل لحرم السلطان سليم الاول العثماني الذي سلمت له اطرابلس بعد محاربتها حاب سنة ١٥١٦ وفي سنة ١٦٠٥ اعطى جان بولاد متولي حاب السلطان احمد الاول واراد ان يستولي على سورية بأسرها ولذلك لم يلبث حتى حارب والي اطرابلس فاخذها منه وفي سنة ١٦٠٧ استرجع السلطان احمد اطرابلس وبقيت مدن سورية بتقدير الصدر الاعظم محمد باشا وفي سنة ١٨٢٢ ارسل اليها ابراهيم باشا بن محمد علي باشا الامير خايل شهاب مبعوثاً بالف مقاتل للمحافظة عليهم امن عما كركر الباب العالي وتبعه ابراهيم باشا اربعة الاف جندي واذ بلغ ذلك عثمان باشا وزير السلطنة العلية العثمانية قدم اليه بجنود فخرج الامير خايل اليه بعد كره وكسره ثم رجع اليه ثانية وابتنى متارس حول المدينة وجدد الحرب فخرج اليه حاكمها مصطفى بربر باربعائة مقاتل من عسكر النظام فانكسر بربر واستنجد بالامير خايل فنجده وتجدد القتال وتاخر عسكر عثمان باشا الى البداوي وفر من هناك بجنوده الى حماه وفي سنة ١٨٤٠ خرج منها العسكر المصري الى نواحي قرية مجدليا لمحاربة النابريين من اللبنانيين ضد الحكومة المصرية وانكسر اذ ذاك اللبنانيون ثم خرج العسكر المذكور الى قرب ايمال واحرق بعض بيوت في قرية كفر زينا فانكسر العسكر المصري وقتل منه نحو خمسين رجلاً وفي غضون ذلك وافت مراكب الدول الاوروبية المتعددة لاجل ارجاع سورية من ابراهيم باشا الى الدولة العلية واطلقت عليها بعض المدافع فسلمت مع باقي مدن سوريا واقامت فيها الدولة ولاية الواحد بعد الاخر حتى الان وهي منصرفية من اللوا الراجع الى ولاية سورية وتحتوي على جملة قضاوات منها قضا اللاذقية وجبله والمرقب وعكار وغيرها اما تجارتها فمقتصرة على الحبوب والحرير والاستنخ والصابون والعنص والتبغ وبعض الاقمشة الافرنجية وعدد سكانها الان نحو سبعة عشر الف نسمة منهم اثنا عشر الف ومائة من المسلمين والباقي من النصارى واكثرهم من الروم الارثوذكسيين وفيها قليل من اليهود وفي المينا نحو اربعة الاف ما بين

اسلام وروم موارثة ونرى على شاطئ البحر من الجانب الشمالي من اللسان ستة
ابراج بنيت للمحافظة بجزراً ومن رأس اللسان نرى سلسلة جزائر صفار تمتد الى
جهة الشمال الغربي نحو عشرة ايامال هذا وما من احد يتكر منزهات هذه
المدينة وحدائقها الواسعة الجميلة ومياهها العذبة وعم تقدم اليه من درجات
النجاح ولو كان تقدماً بطيئاً

وقد ذكر موافق تاريخ سوريا في وجه (٢) من مجلده ما نصه ان طرابلس
هي في وسط جبل يبعد نصف ميل عن البحر وسهولها وحدائقها مستوية بمياه غزيرة
وهي تقدم لسانها الى قاعدة المدن باسمها اذ قد حوت ضمنها انما مختلfi الاجناس
ولقد نرى اثار الامم المختلفة في وسطها هذا ويلزم ان نلاحظ بانها رغمها عما تزينت
به هذه المدينة من الحدائق والاثار الشهيرة قد يعسر الإقامة بها في زمن الصيف
وذلك لسبب تكرار الحميات والأمراض المسببة من جرى مياهها المتدفقة. وقد
نشا في اطرابلس جملة من العلماء الافاضل الذين انتشر صيتهم واشتهر كشتهار
النار على علم فقههم بهذا العصر الشيخ عبد النبي الرافعي العلامة الشهير بالعلوم
الادبية والشرعية والشعرية وله منظومات فائقة واتوال رائقة وقد حضر
سنة ١٢٩٠ هجرية الى دار السعادة العامة فجاز بين علمائها اعلى درجة من الافتخار
والاعتبار وبعد ان قدم فصلاً مدقناً في مجلس مشيخة الاسلام الجامعة ذهب
بامرها نائباً للشرع الشريف في مدينة تعز من نواحي ولاية اليمن وكذلك مكرتلق
الشيخ ابراهيم الاحدب العالم الفاضل والعلامة الكامل الذي سارت تشييده به
الركبان وصار يشار اليه بالبنان الحائز درجة من الفخر يتصر عن وصفها اللسان
البارع بالعلوم العربية والشرعية والشعرية والادبية وله المنظومات الفائقة
والسرعة بالنظم التي شوهدت عياناً وهو قاطن مدينة بيروت ومتولج فيها كالة
نيابة المحكمة المكرمة وحائز على اعتبار الاهل واولياء الامور ومنها السيد الناصح
الشيخ الميناني الذي له اليد الطولى بالعلوم العربية وملكاتها وفنونها وغيرهم
من لا يسع المقام لعداد اوصافهم الحميدة

بترون

تدعى عند اليونانيين بتريس وحسبما يستدل من مطالعة تواريخ النسطوريةين انها من اقدم المدن وحسب الجمهور ان بانيتها الكاهن ايتوبيل الذي كان معاصراً لابيلا النبي وذكر (لاكويان) ان الكاهن المذكور هو ملك صور وروى يوسفوس المورخ اليهودي ان ايتوبيل هذا بناها في سنة ٩٢٠ ق م ولا شك انه قد حل بها ما قد حل في كل من جليل واطرابلس وغيرها من النغيبات العمومية وعلى مسير نصف ساعة منها قلعة المسيلحة وهي على راس صخرة هائلة على جانب الطريق المودي الى اطرابلس اشتهرت سالفاً غير انها الان ممكن للصوص وذكر بعض المورخين انها قد هدمتها زلزلة حدثت واخرت معها عدداً وافراً من البلدان السورية اما الزمن الذي حدث به ذلك فمجهول عند المورخين وقد ذكر بطريرك اليعاقبة انقطاع جزء كبير من راس وجه الحجر ووقوعه في البحر ولم يذكرها مع المدن التي هدمتها زلازل اواسط الجيل السادس ولا (تاوفان) ولا البطريرك اسطفانوس الدويهي وروى ابن العبري ان الزلازل الحادثة سنة ١١٥٧ اخرجت مدناً ولم يات بذكرها . ذكر ميشود في مجلد الاول من تاريخ الصليبيين انه غلب عبورهم اطرابلس حين سفرهم الى اورشليم اجتازوا ارض جليل والبترون هذا واذا طالعنا الوفا من تواريخ الصليبيين قلما يوجد ذكر هذه المدينة روى (دي لاروك) في الكتاب المنبي عن حوادث سياحته في سوريا ولبنان في اواخر القرن السابع عشر انه لدى وصوله اليها شاهدها خرابات مهذومة باسرها ولم ير الا مسيحياً واحداً دعاه للمبيت معه تحت اواء الاشجار

واما المينا التي هي بالقرب منها فهكوتة حسب قول اشهر المورخين من قطع الجزء العظيم من راس وجه الحجر بالزلزلة اذ وقع هناك الجزء هذا البترون وكون المينا التي لم تكن موجودة قبلاً ووجه الحجر هو راس بالقرب من البترون

هكذا دعاهُ القديس ولم يزل مسي بهذا الاسم حتى الان واسترابون دعاهُ وجه الله وامام مؤلف سورية فبعد ما انتهى كلامه عن اطرابلس قال وما اجل منظر سوى لدى قدومك الى البترون التي ارتفع موقعها يقدم لكم منظر بلدان سورية عموماً وذاك من ساحل الملاذقية حتى خليج عكا فتشاهد امامك من المناظر الطبيعية ما يستدعي التعجب الوافر ووراءك سلسلة جبال هائلة تشبه عن بعد بحراً تترجم عن فسح منظره عمارات شاهقة مع جملة نهيرات منبجزة على الرمول حتى تصل البحر ومن اجل هذه النهيرات الطبيعية واحدها نهر ابراهيم الذي دعاهُ المؤرخون ادونيس الذي بالقرب من مصبه توجد بيبلاوس القديمة اي جيبيل الان واما اهل البترون فهم نحو ثلثة الاف نسمة واغلبهم موارنة وما بقي روم وعلى الجانب الشمالي من الراس المذكور فيما تقدم يوجد دير النورية الذي هو في علو شاهق لصعوبة مسلكه وقد يعسر الوصول اليه ومنها يجلب الحرير والزيت والاسفنج

جيبيل

قال مؤلف سورية في وجه ٢٤ من المجلد الثاني انه عند مصب نهر ابراهيم توجد بيبلاوس القديمة وهي جيبيل الان وقد دعاها العبرانيون جيبال انتهى . وروى مؤلف سفر الاخبار ان اسمها كان اولاً افابا وهذه المدينة كانت مركز احد ملوك فينيقية الصغار وبها اقام سراية لم تبقى لها الايام اثراً وقد اقام بها الرومان مرشحاً لم تزل حتى الان بعض اثاره وروى بعض المؤرخين ان ساتورنوس بناها وعلى ما هو شائع في كتب تاريخية غير مدققة بها ان اسمها بيبلاوس هو نسبة الى بيبلا ابنة ميلانوس

اقام بها الصليبيون على صخرة بناية عظي ذات علو شاهق حتى قال بعضهم ان الفارس يقدرون السير ساعة في ظلالها واقام بها في زمن الاسلام السلطان ابراهيم جسراً او جامعاً مع محل واسع للمرضى وقد ورد ذكرها مرارا

في الكتب الدينية وكان بعض الجبيليين يخدمون كنوتية في مراكب اهل صور ومن جملة رموز ومطالعات تاريخية تبين ان جبيل كانت اسقفية وحضر احد اساقفتها المجمع المثلثي وكان مستقلة عن صور وصيدا وكانت مركزاً للنبيلة الجبيلية واشتهر اهلها بعبادة ادونيس قال استرابون كنت مدينة ملوكية لشينيراس ومكرسة لادونيس وكان يدعى ادونيس قوز وهو معشوق الزهرة خرج ذات يوم الى الصيد فافترسه وحش ضار وقتله فبكته الزهرة وحسب اعتقاد الوثنيين انها اقامته من الاموات وبظن ان الصور المنقوشة على صخر في قرية الغينة في معاملة الفتح تنبي عن ذلك وفي المشقة التي هي احدى المحلات التابعة اعمال جبيل حكاية اعادة الزهرة ادونيس الى الحياة

غير ان جسر الجبيل الذي هو على نهرها وعواميدها الرخامية المذهبة الباقية رسومها من مرسمها القديم والزهور الجميلة التي تنمو بفنائها مع جملة اشيا قديمة تجلب انكارنا الى ساحة النامل بلديذ نعيمها الماضي وقد هدمها ودك قلعتها في سنة ١٢٩٠ الاشراف صلاح الدين خليل ابن الملك قلاوون

روى مؤلف سورية انه كان فيها هيكل شهيدروانه ادى انذار الرسل بالايان قد آمن سكان هذه المدينة التي لم تلبث حتى خربت في اواسط الجبيل السادس مع عدد وافر من مدن فينيقية بالزلزال التي اكد حدوثها عدد عظيم من المؤرخين . روى مؤلف كتاب الاحتجاج انها كانت في الجبيل السابع موطناً لامراء الموارنة وملخص ما ذكره هو انه في مبتدأ دولة العرب الاسلام كان يوسف ملكاً على جبيل وكسرى ملكاً على الداخلية المدعوة كسروان وخلف المذكورين الامير ايوب ثم الامير ايلياس ونخلف هذا يوسف ثم (يوحنا) الذي كسر العرب في سنة ١١٨٥ ولشدة ما كان منطويماً عليه من شراسة الاخلاق غزا البقاع والبلاد التي كانت بيد معاوية وخلف يوسف ابراهيم وهو ابن اخت يوحنا مارون وكانت وطن فيلون مترجم كتاب سانسكونياتون احد الفلاسفة البيرونيين

الى اللغة اليونانية وقد قال بعضهم ان دودفل برهن انه هو المؤلف هذا
التاريخ وليس مترجمة ذكر لوستيان انها غيب ان خلعت نير ولاية ملوك صور
ابتدأت ان تودي جزية الى ملوك الفرس ولما دخل اسكندر ذو القرنين ابلاد
السورية سلمت له دون حرب فدخلها غير انه اخبر بعضهم ان اهلها قد اشتركوا
مع اهالي صور في محاربة اسكندر المذكور وغيب ان سقطت ولاية السلوقيين
الولاية الذين خلفوا اسكندر تولى شينارا على سورية البحرية وكان ظالماً غير ان
بومبايوس قتله واحيلت جبيل الى الولاية الرومانية هذا وقد روى اكثر
المؤرخين ان اهالي جبيل اشتهروا بصنع السفن وقطع الاخشاب وقد طلب
سليمان الملك عليه السلام من حيرام ان يقطعوا له الاخشاب من ارض لبنان
وبنوا لها الى يافا بحراً واكد بعضهم انه لم يزل حتى يومنا هذا اثر الارز في جبيل
وفي خلافة عمر بن الخطاب وقعت جبيل تحت ولاية الاسلام وفي سنة ٩٦٢
اخذها سمى الذي كان وزيراً مشهوراً لدى نيكوفورس فوقاً وكتب سمى
للملك ارمينيا هكذا . وسافروا لنفتح قلعة جبيل التي هي اقدم واحصن فاخذناها
بعد الحرب بعض ساعات واسرنا سكانها وقرنا بغنيمة غنية . وغيب ثلاث عشرة
سنة استرجعها الاسلام مع باقي مدن سورية وبقيت تحت ولايتهم الى سنة ١١٠٩
اذ غلبها الصليبيون . روى (لاكوبان) في مجلده الثالث انها سلمت سياستها
الى الكونت (برتراموس) وفي اواخر الجبل الثاني عشر اخذها من الجنود
الملك صلاح الدين الايوبي . ذكر ذلك ابن العبري في تاريخ اندول والمقرنزي
في كتاب الخطوط ولم يفسر زمان يسير حتى استرجعها منه الصليبيون وبقيت
تحت حكمهم الى سنة ١٢٩٠ اذ اخذها الاشرف صلاح الدين خليل الذي
غيب هدم صيدا وبيروت قد دك قلعة جبيل وهزم الافرنج منها في سنة ١٢٠٢
وانهم المصاري سكان الجبل انهم امدوا بالاسعاف من تعدي عليهم في ذاك
الوان من الافرنج فجمع جمال الدين اقوى العساكر الشامية لمقاتلة المصاري
سكان الجبل واهل كسروان وانتشبت بينهم وبين مندمي جنود الممارنة حرب

عند جبيل فصنع مقدمو الموارنة كهنتين احدهما في وادي المدفون والاخرى
 وادي القيدار فغلب المتقدمون وقتلوا عدداً وافراً من العساكر فمن فرّ بفع في
 يد المكنين فنهب وغزي . روى ذلك ابن الحريري ولما اخذ مصر والمدن
 السورية في سنة ١٥١٧ البطل الهام السلطان سليم الاول خضعت جبيل
 لولايت دون حرب وفي سنة ١٦١٨ تسلم بالامان فلعنتها الامير فخر الدين
 المعني ثم كتب لوالده الامير علي ان يهدمها فكان كذلك وفي السنة نفسها زار
 الامير فخر الدين جبيل والبترون معاً في سنة ١٧٢٨ احاصر الامير سيد احمد الشهابي
 مدينة جبيل ضد اخيه الامير يوسف حتى رد الجزار قائد هذا الجيش عن جبيل
 واقام الامير يوسف حاكماً مطلقاً امر ادارة الولاية وعزل اخويه وفي سنة ١٨٠٧
 قتل فيها الشيخ عبد الاحد باز . سنة ١٨٤٠ وصل اليها مركب من مراكب
 الدول المتحدة على ارجاع البلاد السورية للباب العالي وكان مشحوناً سلاحاً
 واخرج رجالاً من بعد اطلاق المدافع على القلعة فالتزمت الى التسليم اخيراً
 ذكر مولف القاموس الجغرافي انها على مسافة ثلاثة وخمسين كيلومتراً من
 جنوبي اطرابلس وعلى كل ان يتأمل في ما طراً عليها من التقلبات ويشاهد
 خراباتها التي منها رسوم بعض ابراج واقبية قلعتها ثم كنيسة التي ذهب بعضهم
 الى انها منذ اجيال الكنيسة الاولى والصحيح انها منذ زمن الصليبيين واهلها
 يبالغون التي نسبة فعلى كل ذي بصيرة ان يتعمن بحالة ماضيها مقابل اباها مع
 حاضرها فيرى العجب

بيروت

هي على جانب الشمال الغربي من لسان طويل داخل في البحر ورأس اللسان
 في طول شرقي ٢٨ ٢٥ وعرض شمالي ٥٠ ٢٢ وهي مدينة شهيرة ومن اقدم
 المدن السورية وقد اختلف اشهر المؤرخين في صحة بانيتها فمن هولاء من
 ذهب الى ان بانيتها هو جرجسا بوس او الجرجسي الخامس من ابناء كنعان اذ انه

وضع أولاً أساساتها وروى اسطفانيوس البيزنطي ان ساتورنوس بناها وصادق على ذلك بياجوس احد المؤرخين المشهورين والارجح لدى الجمهور ان بانها مجنون واما اسم بيروت فحسب قوم ان اصله باريث احد معبودات الكنعانيين الممنوع عنه في سفر النضاة وآخرون ذهبوا الى ان اسم بيروت مأخوذ من يرويا بنت الزهرة وادونيس ومنهم من قال ان الزهرة نفسها كانت تدعى بيروت وانه كان الزهرة معبد فيها وبعضهم قال ان ذلك مشتق من باروث التي تاولها بشر اذ لم ينزل فيها حتى الان ابار قديمة ودعاها اغسطوس قيصر جوليا فياكس باسم ابنته وتعد نزهة الاقليم السوري مرساها غير امين للسفن وكانت في سالف الزمان في ولاية ملوك مادي تساس بشرايع اهلية ذكر استرابون ان تريفون قد هدمها فجدد بناءها الرومانيون حينما عظم اشتهارها في زمن سطوتهم واقامت فيها نخل رومانية ومن ازدياد ما قد تسامت واكتسبت من رفيع الشأن شرفها اغسطوس قيصر باحسانات عديدة واولى سكانها حقوق الرومانيين نفسها وسمح ان يدرس بها علم الشريعة وبنيت فيها هياكل ومشاهد لاجتماع العموم وتخازن للتجارة وجعل فيها مشهد حرب اذا اتبعنا رواية يوسيفوس نرى انه كان يقتل فيه الف واربعائة رجل من المحكوم عليهم بالقتل وقد شيد فيها اغريبا مشهداً اخر عجيباً ونقل اليها صورة من اشتهر من القدماء والتايل الاكثر شهرة

وفيهما حلف سيلانوس امام والي سورية وفيثيقية انه قادر ان يرد في برهة ٣٠ يوماً رجالاً من كورة انطرخون (اي بلاد الشقيف) كما وانما تولى تعديلات في نواحي الاقليم السوري وبوجب راي اغسطوس قيصر جمع هيرودس في بيروت جملة من الرومان وحكموا بقتل والديه وان يكن ظلماً وكان وقع يوسيفوس اسيراً في ايدي الرومان فحل في بيروت من سلاسل قيوده وولد في بيروت ثاودورس احد فلاسفة المدرسة الافلاطونية واشتهرت من تكاثر عدد النازحين اليها والغريباء وكانت غنية بالتجارة ووصلت اليها عبادة المشتري واشتهر اهلها بنقل الافمشة والتجارة وكانت تدعى في زمن يوسنتيانوس الاول سلم فيثيقية وسكانها

امنوا بالمسيح على يد الرسل واول استنف عليها كان كوارثوس وقد قال احد
المؤرخين المدققين انه منذ الجيل الثالث اشتهرت بتعليم الشريعة مدرسة بيروت
العظمى وما افنت بذلك جمهور المؤرخين ونص مؤلف سفر الاخبار ان الملك
يوسفيانوس لما اصم على تاليف كتب الشريعة دعا اليه من جملة العلماء
دوروثاوس العظيم وهناك ما تكلم هذا الملك عنه في احد مراسيمه اذ قال
دوروثاوس العظيم والمترجم المتمام في مدينة الشرايع اي بيروت البهية التي اردنا
ان نحضر ادينا وبشرك بهذا العمل وقد حملنا على ذلك مزيد اعتباره هذا وما
كان بوذن لاحد ان يتعلم الشريعة سوى في المدن الملوكية وبيروت مرضعة
الشرايع حيث يدل منه الكتب الثلاثة التي الفتاها تسلم اليهم في المدن الملوكية
وفي مدينة بيروت الكلية اليها التي نريد ان تدعى مرضعة الفتنة والشرايع لا في
اماكن اخرى لم تستحق هذا الانعام من اسلافنا ومن نجاس ان يعلم نلامذته
تعليمًا يخالف هذا وخارجًا عن المدن الملوكية وبيروت بغرم بوزنات من
الذهب وهذا الامر سبب تفاطر الشبان من كل صنعة وناد الى بيروت البهية
(انتهى) . وقد درس بها ترفيلاوس وامفيانوس الشهيد وذكر سقراط ان
غريغوريوس العجائبي درس اصول الناموس المدني في بيروت

القابها

نظرًا لما نالته بيروت من الاشهرار في سالف الزمان تلتفت بالقاب
جميلة فلقبها نونوس موطن الناموس ومدينة الفقه ومرضعة الحيرة وغريغوريوس
العجائبي مدرسة الشرايع الرومانية ويوحنا اناطولاوس كرسي النعم وارثايبوس
ام السواميس وساماها يوسفيانوس مرضعة الشرايع ومن طالع هذا سنفخ له جليًا
ما حازته هذه المدينة النديعة الصيت من الشهرة والافتخار في سالف الزمان
غير انه اذا رتبعنا بجهنم المعارف مقلبين بيد المطالعة صحف التاريخ نرى انه في
اواسط الجيل السادس قد حطت بيروت عن سامي قدرها الزلازل المتتابعة

التي اخرجتها مع قسم وافر من الاقليم الفينيقي . روى اغاثوس في تاريخ الملك
يوسينيانوس انه قتل بها اذ ذك جم غفير من السكان فنقلت المدارس حينئذ
الى صيدا حتى رمت خرابات المدينة التي لاشك ان الاهالي تكبدوا اعباء جريفة
لارجاعها الى ما كانت عليه من العظمة وقد استمرت بيروت بقبضة زمار
الخلفاء حتى استفتحها منهم سنة ٩٦٢ احد خلفاء اسكندر المقدوني نيكافوروس فوفا
بواسطة وزيره المشهور المعروف بسمتي واستمر حاكماً بها ثلاث عشرة سنة وغلب
ذلك اخبرنا نيكائيس اسكندر ان المسلمين استرجعوها منه مع سائر ما كان اخذه
من مدن اخرى وفي سنة ١١٨٧ استفتح هذه المدينة الملك صلاح الدين الايوبي
واسترجعها من الافرنج فبقيت مدة عشر سنوات عاصمة سورية لحكومة الاسلام
الى حين حرب الفاسمية بين الجنود الصليبية وعساكر الملك العادل الايوبي
وفي تلك الموقعة انتصر الافرنج وانكسر الاسلام ففرقوا الى بيروت فابوا اليها
فوجدوها خالية من الاعداء ولكنها تخزونة من المون فاغنمها باسرها الافرنج
ونفيت بيروت تحت سطوة الافرنج حتى سنة ١٢٦١ واذ ذاك اخذها منهم الملك
الاشرف صلاح الدين خليل وهو الثامن من ملوك الترك في الديار المصرية
وهدم اسوارها ودك قلعتها ونفيت بيروت تحت ولاية الدولة التركية التي
انقضت في مصر سنة ١٢٨١ والدولة العجركسية التي انقضت سنة ١٤١٧ اذ
استفح السلطان سليم الاول البطل الدثاني الهام المدن السورية وصارت منذ
ذ ك الحين في سطوة الدولة العلية العثمانية وسنة ١٧٧٢ ولي الامير يوسف
شهاب علي بيروت احمد الجزار الذي شرع حالاً بالنهاب للحرب فعرف الامير
ذ لك وجمع عسكرياً غير ان الجزار ابدى الطاعة وطالب مهنة اربعين يوماً
لتسليم المدينة ولم يسلمها اخيراً فارسل اليه الامير عسكرياً واستنجد بظاهر الامر
الذي لاجل مساعدته وافت المراكب المسكوبية لبيروت اذ كان متخذاً مع كثرية
ملكه الروس على بخارية الدولة فارسل الظاهر المراكب المسكوبية الى بيروت
حينئذ التي على المدينة تحصار عظيم فالتزم ان يخرج الجزار منها ويذهب الى عكا

وهكذا رجعت بيروت الى سطوة الامراء الشهابيين . وسنة ١٧٢٦ اخذ احمد باشا
الجزار من الامير يوسف هذا المدينة فاخرج منها حسن باشا وزير البحر وسنة ١٧٩١
اخرج الجزار الافرنج منها ونشئ السور بجارة ابنة الشهابيين التي دكها . وسنة
١٨٢٥ اطلق عليها عينا الاروام العصافير ضد مدافع وسنة ١٨٢١ اخذها ابراهيم
باشا خديوي مصر ورصف بعض ازقتها بالبلاط وفي سنة ١٨٤٠ انت مراكب
الدول المتحدة وهدمت بالمدافع جانباً وافراً من احسن ابنتها وارجعته الى
الدولة العلية واذ ذاك كانت مركزاً ومقرّاً لوزير اية صيدا

اما المكان المعروف بخان الصاغة الكائن على ساحل البحر بالقرب من
ميناء الحسن كان (امفيتاترو) مختصاً بالاعب الحيوانات كما يستدل من شكله
وهيئة ورسومه لدى المتأمل وفي سنة ٢٢٢ مسيحية شيدت فيها مدرسة الشرائع
الرومانية التي اشتهرت وكان ذلك بابام اسكندر سافيروس قيصر المولود سنة
٢٠٥ في عرقا من لبنان ذكر موافق جواهر ياقوت في تاريخ بيروت انه ضرب
(لير ون) فيها بعض نقود ولكلا مديوس ايضا ثم باسم يوليوس قيصر المالك
سنة ٤٩ ق م وطيباريوس سنة ١٤ بعد المسيح وتريانوس سنة ٩٦ وهوريانوس
سنة ١١٧ وايطونيوس مديوس سنة ٢٨ او باسم اوراليوس سنة ١٦١ وشيخوس
ثافاريوس سنة ١٩٢ وكاراكلا سنة ٢١١ ومكريينوس سنة ٢١٧ والاكا بولس
سنة ٢١٨ وكرديانوس سنة ٢٣٨ وباسم هوستيليانوس سنة ٢٥١ وكاليانوس
سنة ٢٦٠ وفاليريانوس سنة ٢٧٦ وغيرهم

ومن اشتهر في هذه المدينة ساكونياتون المؤرخ الشهير الذي ألف الكتب
الشهيرة بديانة الفينيقيين والمصريين وله رسائل جمّة بالاطبيعيات وغيرها ترجم
بعضها الى اليونانية في الجيل الثاني قبل المسيح ولم يبق منها سوى بعض حواش
وقطع طبعت سنة ١٨٢٦ وهو مولود فيها حسب قول بعضهم قبل المسيح بالفي
سنة وهو موافق بالميثولوجيا (اي علم الهة الاقدمين) والفلسفة في عصر
سيزوسترابل بن فرعون في الجيل السابع عشر وصورة لم تزل على صخور عند

جسرهم الكعب واما الاثار التي لم تنزل في نواحي مينا الحسن فهي اثار احد الابراج
المتنابة التي بنتها الملكة ميلانة والدة الملك قسطنطين الكبير من انقذس الى
اسلامبول وفي سنة ١٤٠٠ ق م هدم هذه المدينة تريفون قائد جيش انطيوخوس
ابني انوس و بنيت خراباً خمساً وسبعين سنة حتى ابام بيبوس الروماني الذي
جلس على كرسي رومية سنة ٦٥ ق م وسنة ٢٤ اخذها العرب الاسلام في خلافة عمر
بن الخطاب وسنة ٧٧٢ الموافقة سنة ١٧٥ مات فيها الامام الازاعي الفقيه
المولود ببعلبك سنة ٧٠٤ مسيحية و ٨٨ هجرية وكان امام اهل الشام قد اجاب
في سبعين الف مسألة رثاه بعضهم بقوله

جاد الحيا بالشام كل عشية قبراً تضمن لحدّه الازاعي
قبراً تضمن فيه طور شريعة سقيلاً من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فاعرض مقلماً عنها بزهد ايما افلاع

وقبره الان مشهور خارج المدينة جنوب غربيها على الساحل البري قيل انه
توفي في الحمام الصغير وقد بنى سبيلاً للزاويتين الكائنة احدها جنوبي سوق
الطويلة اذ لم تنزل حتى الان معروفة باسمه لانه كان يدرس بها دروماً والثانية
هي زاوية الشيخ محمد خضر العراقي وتاريخ السبيل ثمان شهر ذي
القعدة الحرام سنة ٩٢٥ وفي سنة ٧٨٧ توفي الامير ارسلان بن مالك بن
بركات في سن الفيل فحمل لبيروت ودفن فيها وله مواقع شهيرة مع مرادة لبنان
وسنة ٨٠١ قدمت مراكب الروم واستنارت من امام الازاعي الامير عمر ابن
الامير ارسلان الذي فداه سنة ٨٠٤ م القاسم بن هرون الرشيد وسنة ٨٧٠
تولاهم مع صيدا الامير النعمان بن عامر الارسلاني وحصن سورها وبنى داراً
شهيرة واشتهر فيها قاضيها العباس بن الوايد المذري وسنة ٩١٥ قدمت سفن
اوربية الى بيروت فصادمها الامير النعمان الذي توفي سنة ٩٢٦ ودفن فيها
فتولى بعده الامير منذر واقب سيف الدولة واشتهر حيفاً ابو الرميحان محمد
بن احمد البيروني بعثوم الاوائل وسنة ٩٦٢ وقعت بيد نيكافوس فوقاً ملك

النسطاطينية سنة ١١٨١ وافي اساحتها السلطان صلاح الدين الايوبي وغزا
برها وقتل كرومها واذ صد منهم ابن بلوزي رجع للموصل غير انه لما رجع انبها
سنة ١١٨٦ احاصرها ثمانية ايام واخذها في ٢٩ جمادي الاولى وقبيل افعالا
شهيرة سنة ١١٩٥ اتجمع افرنج السواحل وحاصروها واخذوها دون قتال
فاعطاهم الكونت هنري شامباين حاكم سورية الى جون ديبلون بالمبادلة عن
كونت نلي القدس وضرب فيها جون نفودا وبقيت في يدهم حتى زمن الملك
الاشرف سنة ١٢٩٠ ارسل الملك الاشرف سنقرجياي بفرقة من العسكر
فتفتحها غب محاصرتها اياما وهدم سورها ودك قلعتها وجعل كنيسة ماري بوحنا
جامعاً واهو والجامع الكبير سنة ١٢٢٢ حضرت مراكب افرنجية دخل من بها المدينة
واخذت الاعلام السلطانية والمركب كينلان الذي اتى لاجاء فكان ذلك سبب
لكبر خاطر امير الامراء على تركان كسروان وامراء التنوخيين وغيرهم سنة ١٢٤٥
ارسل الامير بابغا الانابكي بيدمرا الخوارزمي لعمار شون وحمالات ومراكب
عظيمة ولاتقان تحصينها وان امراء الغرب يسكنون فيها للحفاظ سنة ١٢٤٢
نكبت بالامراء سنة ١٢٥٠ توفي فيها الامير ناصر الدين الحسيني بن خضر
التنوخيني ملك عمار شهيرة في بيروت وعييه والغرب وغير ذلك سنة ١٢٨٨
استظهر اهل كسروان على امراء الغرب التنوخيين وكانت هي محل الممعة
وسنة ١٤٤٢ توفي فيها الامير عز الدين صدقة التنوخيني وكان ذا سطوة شهيرة
وكان شديد الهاد مع الامراء اولاد البحراء سنة ١٤٥٤ توفي فيها الامير
زين الدين عمر بن عيسى التنوخيني الباني فيها قصراً مشهوراً سنة ١٥١٧
قرض السلطان سليم الاول دولته لبحراكسة في مصر وسورية اذ دامت بها (٢٦٥)
سنة فصارت بيروت كبناتي البلاد تحت سطوة الباب العالي سنة ١٥٧٢
امتدت ولاية الامير منصور العساف من نهر الكلب الى حماه وبني جامع دار
الولاية المعروف باسمه سنة ١٥٩٨ انولاه الامير فخر الدين المعني وجد فيها
بناء برج الكشف الذي صار مكان حضانة ثم هدم سنة ١٨٧٤ وبني مكاناً وبني سوقاً

وسنة ١٦٢٢ توفي الامير منذر بن سليمان التلخوي الباني جامع النوفرة وسنة ١٦٦٠
تولاها محمد باشا الارناؤوطي بامر الصدر محمد باشا الكبير لي وفيها عزل وناب عنه
قيلان باشا في صيدا واذ ذك اطلقت عليها الوزارة وسنة ١٦٦١ طلب علي
باشا مالا من ناظر كنيسة مار جرجس فتعذر فضبطها وجعلها جامعا وهي
معروفة الان بالخضر وسنة ١٦٦٢ تولاها محمد باشا والي صيدا وسنة ١٦٧٥
نقررت الايالة على اسمعيل باشا وسنة ١٦٧٧ نقررت على محمد باشا وسنة ١٦٧٩
نقررت على خليل باشا بن كيوان وسنة ١٦٨٠ نقررت على محمد باشا وسنة
١٦٩٢ نقررت على مصطفى باشا وسنة ١٦٩٧ نقررت الايالة على حسن باشا وسنة
١٦٩٨ نقررت على قيلان باشا المطرجي وارسلان باشا ثم تولاها الامراء الشهابيون
واولهم الامير بشير الشهابي وناب عنه ارسلان باشا وسنة ١٧٠٦ عزل ارسلان باشا
وتولى اخوه بشير باشا وسنة ١٧١٥ عزل عثمان باشا وسنة ١٧١٧ توفي الامير عبد الله
زوج اخنت الامير فادعت زوجته بمرأته هامة واخذت جزيرة بن معني وبستان ابي
كعكه وسنة ١٧٢٩ سلم الامير الولاية لولده الامير ملحم واذ ذاك بنى الامير
سليمان الله في بيروت قيسارية البارود وسنة ١٧٣٦ تولى صيدا سعد الدين
باشا العظم وسنة ١٧٤٨ عزل وقام مقامه عثمان باشا المحصل وسنة ١٧٤٩ عزل
وخلفه مصطفى باشا القواص وسنة ١٧٦١ مرض الامير وتوفي وكان بنى فيها
خان الملاحة وتخلفها اخوه الامير احمد والامير منصور وبنت اذ ذاك زوجة
الامير احمد القيسارية العتيقة والبرج المستدير بجانب الصور الذي هدم وبني
مكانه مستشفى العساكر السلطانية وفيها ورد فرمان بتولية الامير قاسم فدخل
بيروت بالعسكر بغنة واخذها وفر عثمان غير انها ارجعا بعد عزل الامير
قاسم وسنة ١٧٦٢ تناقر الامير منصور والامير احمد فاصبحت الولاية للامير
منصور فبنى في بيروت طاقة النصر جنوب شرقي الكوجبة والديوان وميزان
الحريير والقيسارية المعروفة باسمه حتى الان واخوه بنى قيسارية الصاغة
وداراً بقرب البرج الجديد وسنة ١٧٦٤ تولاها محمد باشا عثمان ثم محمد باشا

ثم نولها درويش باشا سنة ١٧٧٠ تنازل الأمير منصور لابن أخيه الأمير يوسف عن الولاية سنة ١٧٧١ حضرت السفن المسكوبية من عكا الى بيروت قبل انما اطلقت عليها ٦٠٠٠ مدفع طنناً واحداً سنة ١٧٧٦ الموافقة سنة ١١٩٠ تولى صيدا احمد باشا الجزار وعزل عنها محمد باشا وفي السنة نفسها نهض الجزار من صيدا الى بيروت ورفع ساطة الامراء الشهابيين الذين ضجعت ارزاقهم وهدمت دورهم سوى دار الأمير مراد وجعل كنائسهم اصدا بيلات سنة ١٧٩٨ وتولى عوضاً عن الأمير يوسف الأمير بشير عمر سنة ١٨٠٤ توفي الجزار فخافة اسمعيل باشا الذي مذ قتل ناب عنه سليمان باشا وفي سنة ١٨١٩ توفي سليمان باشا فخلفه عبد الله باشا الخزندار وفي سنة ١٨٢٦ اتت مراكب الاروام الى امام برج ابي هدير ونصبوا السلام شرقي المدينة على السور ودخل بعضهم المدينة واخيراً لما راوا ماراً من بساطة الأمير بشير الشهابي اقاموا اخيراً الى بلادهم سنة ١٨٢٢ وتعت تحت ساطة الامراء آل شهاب وذلك اذ اخذ هذه البلاد البطل الهام ابراهيم باشا بن محمد علي باشا فارسل الأمير بشير متسلماً عليها الأمير ملتم حيدر وفي ذاك الاوان زرع حرش المصنوبر الذي لم ينزل فيها ثم بموجب امر صادر من ابراهيم باشا تولى المدينة محمود بك الذي صار اخيراً باشا وفي سنة ١٨٤٠ اتفق ملوك اوربا مع السلطان عبد المجيد على اخراج ابراهيم باشا من الاقليم السوري واستخلاصها من يد والده محمد علي باشا فحضرت المراكب التي بلغ عددها اربعين مركباً واذ لم يسلم المدينة محمود بك اطلقت المدافع عليها فاستسلمها الكوميدور الانكليزي سنة ١٨٤٠ نقلت الوزارة من صيدا الى بيروت وعزل ذكريا باشا ونصب عوضاً عنه سليم باشا ثم خلف هذا عزت باشا سنة ١٨٤٢ تنصب عوضاً عن عزت باشا اسعد باشا الذي جدد سرايا الحكومة سنة ١٢٥٩ سنة ١٨٤٥ تنصب وجهي باشا بدلاً من اسعد باشا ثم كامل باشا سنة ١٨٤٧ تولى عوضاً عن كامل باشا مصطفى باشا الارناؤوطي سنة ١٨٤٨ مصطفى وامق باشا فخلفه وامق باشا سنة

١٨٥٥ قبل اليها جسد العلامة مارون نقاش من طرسوس مبدع المسرح العربي وهو من فحول الشعراء برع غنون المعارف والآداب حتى صار يضرب بوالهول وله تأليف جمع يوم ما الله من الروايات التي اشتهرت بما احتوته من النماذج والحكم وله جملة مراسلات مع الشعراء تظهر راعته وبلاغته فهو المشهور وامام الخطب الشعراء وفي سنة ١٨٥٧ تولى عوضاً عن وائلي باشا خورشيد باشا وفيها توفي العلامة عالي سميت الامركاني مترجم الكتاب المقدس على نوع واصطلاح يليق بها المدح وسنة ١٨٦٠ تولى عوضاً عن خورشيد باشا احمد باشا وبسبب الحادثة المشهورة باسم تلك السنة دخل بيروت قسم واقر من اهلالي الشري والشام وغيرها وبها ارسل الباب العالي مع الدول المتحدة مراكب ونواكيا لرفع الانشقاق واتت عساكر فرنسا تحت قيادة الجنرال بيانور وفيها توفي الهلالي الشهير ان سيد بك بن الشيخ بشير جنبلاط الذي دفن في مقام الامام الاوراي وفريد دهره ووحيد عمره خاتم البهائم والادباء محمد افندي الحرت الذي دفن في منبرة الباشرة وسنة ١٨٦٢ عزل احمد باشا وخلفه قبولي باشا وفي ٢٧ ذي الحجة من السنة المذكورة توفي العلامة الشيخ عبد الله افندي خالد الذي كان امالي في جامع الابرار من ذر القنوجي وسنة ١٨٦٣ عزل قبولي باشا وتولى عوضاً عنه خورشيد باشا وعزل سنة ١٨٦٤ اذ صارت سورية ولاية ومركزها دمشق الشام فتولى سورية رشدي باشا وصارت بيروت متصرفية امور مهماتها منوطة بامر والي الولاية وسنة ١٨٦٥ عزل رشدي باشا وتولى عوضاً عنه اسعد مختار باشا الذي خلفه في سنة ١٨٦٦ محمد راشد باشا الذي بايأه غرد دزارا النجاش على نئون ابيك معارف البلدان السورية وبقي حتى سنة ١٨٧٢ اذ خلفه صبي باشا الذي لم يستقم سوى سنة واحدة فانه في السنة الثالثة والسبعين ترك سورية طالت باشا وسنة ١٨٧٤ تولى هذه الولاية مع مشيخة الاردوي الهادي في الخامس الوزير الاعظم والشير الاقيم من خضع له السيف والفلم صاحب الدولة والابية اسعد باشا الصدر الاسبق وكان تشريفه الى بيروت في السابع والعشرين من

شهر البلول وبعد ان صرف بضعة ايام فيها صار الى الشام مركز الولاية المجبلة .
وفي ليلة الاربعاء ثامن شباط مسيحية سنة ١٨٧١ توفي في هذه المدينة
الامام الفاضل والعالم الكامل اللغوي النحوي والبارع اللادعي من اشهر بفنون
علوم العربية كاشتهار النار في افق العلم وصار في ميدان السباق من الشهرة ما
يكف عن وصفه الفلم النائر الاديب والشاعر اللبيب الشيخ ناصيف اليازجي وهو قد
حاز اعلى درجات الفخر وله الكتب الشهيرة التي منها فصل الخطاب وارجوزة
الصرف وجوف الفرا وفي ارجوزة في النحو قد وعنت اشهر واعم الاساليب المستعينة
وعقد الجمان وهو يشتمل على المعاني والبيان والبدع والعروض وله المقامات
المعروفة بجميع البحرين فهي اشهر من ان تذكر وقد قرظها اشهر شعراء الامة
العربية وابرعهم . وله ايضا كتب شتى تشهد له بالفضل وتلامذته تلاتات
بانوار المعارف والعلوم وكان رحمه الله بالغاً جداً في نظم الشعر فله قصائد يحق
ان تسطر بماء الذهب وقد تواردت اليه من كل قطر رسائل الشعراء مثنية على
حسن اوصافه فاجاب بما يفتن الالباب وقد جمعت مراسلاته بكتاب دعي
فاكهة الندما من الاطلاع عليه يعلم شان وقدر كذا شخص قلما يوجد الزمان بمثله
وكان لها هيكل عظيم لم يبق الزمان سوى اثاره ويدي دبر الفلعة واما
الماء فكانت نائيتها فوق قناطر شهيرة لم تزل حتى الان وهي المعروفة بقناطر
زبيدة التي اثارها قائمة في وادي مجرى نهر بيروت واختلف في حقيقة باني
هذه القناطر فقال بعضهم زنبوبيا ملكة تدمر وذهب اخرون الى ان الباني هو
بطليموس ابيفانوس الذي حكم سنة ٢٠٤ والماء الذي كان ياتي بيروت عليها
منبعه ينبوع نهر بيروت حسب قوم وحسب اخرين من ينبوع العرعار واما
الانار والتجارة الشهيرة وما اشبه التي وجدت في هذه المدينة فهي اشهر من ان
تذكر وعلى باب الدركة عتبة منقوش عليها طروس باليونانية تفسر بها ايها
الداخل في هذا الباب افتكر بالرحمة وفي المقام المعروف بالرجال الاربعين لم
يزل يشاهد المتأمل عواميد قائمة ومطروحة قد ظن بعضهم انها مكان المجلس

العالي الذي كان يقام في بيروت

وما يبرهن عظم هذه المدينة السالفة هو انه اخبرنا التاريخ انه وجد وضرب فيها نفود باسم انطيوخوس الرابع وهو بها متوجاً وملثنت للشرق من الجهة الواحدة ومن الاخرى صورة (نبتون) اله البحر ثم باسم ديمتريوس الرابع المملك سورية سنة ١٢٦٦ ق م فهو من جهة صورة راسه متوج ملثنت للشرق ومن الاخرى صورة (نبتون) واقفاً ويده صورة وحسب بعضهم سوط واهل بيروت ابي سكانها قد اشتهروا قديماً وهي الآن آخذة بالانحراح والتقدم يوماً بعد يوم فقد كثرت فيها اولاً المدارس التي ربما ترجعها يوماً ما لسانف ما كانت عليه من الاشهار فانه يوجد فيها عدة مدارس الاولى المدرسة المعروفة بالكلية المختصة بالرسولين الامركانيين وهي مقسومة الى قسمين الاول المدرسة الطبية وهي التي فيها يدرس الشبان الكاملو السن الدروس الطبية على يد اشهر الاطباء والثانية العلمية وفيها يدرس العلوم الرياضية والفلسفة والكيمياء والنبات والهندسة والطبيعات والمساحة وسلك الابحر والمثلثات والهيئة وغيرها من اللغات كالعربية والفرنساوية والتركية والانكليزية بسعي كلي وهي نظير استعداد لتعليم الطب وقد ظهر من هذه المدرسة بغيرة من تولى زمامها عدد وافر من الشبان الذين اتموا دروسهم الطبية وانما بنا بواسطة معالجاتهم الشهيرة ثم ما تدجنوه كما وقد ظهر من تلامذة القسم الثاني عدد وافر من درس العلوم واللغات متكلمين بشهادة بكالوريوس الدالة على اتمائهم دروسه العلمية ومكرها في منتهى راس بيروت وهي تبعد نحو ربع ساعة عن المكتبة البروسيانية وهي من اشهر مدارس القسم الاول وثانياً المدرسة الوطنية الموسسة بسعي صاحب الغيرة الوطنية عزتاي بطرس افندي البستاني وهذه المدرسة هي اقدم مدارس القسم الاول ومن اشهرها قد اشتهرت بدرس العلوم واللغات العربية والفرنساوية والتركية والانكليزية واليونانية وعلم التصوير والبيان وغيرها وهي الآن ساعية سعيًا وتقدمًا عظيمًا والثالثة البطريركية المشيدة بمساعي كلي الغبطة غريغوريوس يوسف بطريرك

الروم الكاثوليك ومركزها في حي المسيطبة من اجل احيا المدينة وفيها تلامذة من سائر الاقطار ويدرس فيها العلوم واللغات العربية والفرنساوية والتركية والانكليزية عدا عن علوم اخر رياضية ومعلومها من المشهورين بالاعراف والادب ثم مدرسة الروم الارثوذكسية والمدرسة اليسوعية وهي تحتوي على جملة مكاتب للذكور والاناث واما اشهر مدارس النسم الشني فمدرسة الراهبات الهازرية بالقرب من باب المدركة ما زال يبذل الجهد وسائىء بتزديب البنات السوريات وهم بغاية الشفقة على الفرائع المساكين ثم دير الراهبات البروسيانة وهو مشهور ايضا ثم المدرسة الكلية السورية الانجيلية المؤسسة من مادام بون طمسن مع نوابها وهي في ذات حي المسيطبة بقرب المدرسة البطاركية ومادام بون طمسن المذكورة اسست جملة مدارس غيرها في بيروت وسائر الاقليم السوري ولها الفضل الجزيل رحما الله وفيها يوجد معلم لتعليم الهي ذكورا واناثا القراءة بواسطة حروف نافرة وهذا جدول المكاتب والطلبة الموجودة في

مدينة بيروت سنة ١٨٧٢

عدد طلبة . عدد مكاتب . مكاتب ابتدائية

مكاتب صبيان ابتدائية لعلوم القراءة والكتابة العربية وفي بعضها الفرنسية

مكاتب اهل الاسلام	١٦	١٠٤١
مكاتب الروم الارثوذكسيين	١٤	٨٤٧
مكاتب الموارنة	٧	٧٠٢
مكاتب الروم الكاثوليك	٢	٩٠
مكاتب الارمن	١	٢٠
مكاتب النسوس اليسوعية	٢	٢٦٠
مكاتب اليمرد	٤	١٠٥
مكاتب فتوريني	١	٥٠

٤٨ ٢١١٦

عدد طلبة	عدد مكاتب	تايك مكاتب ذكر ابتدائية
٢١١٦	٤٨	
١٢٨	١	مكتب الجمعية الاسكوتية
١٥	١	مكتب العميان
		مكاتب اناث ابتدائية للخطاطة والقراءة العربية
٢٤٠	١	مكتب الروم
٤٥	١	مكتب سكوتلاند
٧٥٠	١	دائرة الراهبات العازرية (ومن اصلها مدرسة داخلية)
٢٢٨	١	دائرة الراهبات العازرية الينامي (داخلية)
١٢٠	١	مكتب الراهبات البروسيانة
١٢٠	١	مكتب الراهبات الناصرية الفرنسية
٦٦٧	٨	مكاتب جمعية انكوسريان ومنها مكتب للمعميان
		مكاتب كبرى (بانسبونار)
		مكاتب صبيان للمعلوم والمغات المتنوعة
٢٠٥	١	المدرسة البطريركية للاروم الكاثوليك
٢٠٠	١	المدرسة الوطنية لعزتو بطرس افندي بستاني
٠٦٦	١	المدرسة الامركانية الكلية السورية للمعلوم والطب
٥٩٢٠	٦٧	مجموع عدد الطلبة تقريباً ٥٩٢٠ خمسة الاف وتسعمائة وثلاثون وعدد المكاتب ٦٧
		وانهم ايضا نحو احدى عشرة مطبعة وكلها مختصة بالنصاري والان مبادر

المسلمون لتأسيس مطبعة خاصة لهم وفيها ينشر جملة جرائد تبلغ نحو عشرة فمئها
 حديفة الاخبار والحنة والجنان والمجينة والبشير والنشرة الاسبوعية والتجاح
 والتقدم والطبيب وكماها باللغة العربية النفيسة سوى الحديفة فانها عربية فرنساوية
 وكادت تضاهي الجرائد الاوربية المشهورة بما تغرسه من جذوع المعارف
 وطر يا ض المدينة واشهر حماماتها الحمام المعروف بالحمام الجديد بجانب باب الدركة
 وبوجد فيها ايضا عدة مستشفيات فمن البروسيانية ثم العازارية ثم مستشفى العسكرية
 وفيها عدد يسير من الصيدليات المتقنة واطباء مشهورون وبسبب عدم الرخصة
 بتعاطي فن الصيدلية دون شهادة حضر هذا المؤلف الفتيرو وبعد تقديم الفحص في
 دار السعادة نلت الشهادة وما ذلك سوى صيانة على حقوق الصيدلية المختصة بنا وهي
 جانب الدركة واذا اخذنا بالتعمق نراها من اجل وافضل بلد ان الاقليم السوري
 تربة وهو اعفشتا و هار بيع وصيفها بالنسبة الى غيرها مقبول وقد يشتد فيها الحر
 في بعض السنين انما بعض التجار وغيرهم بصرفون اشهر الحر في الجبال وهي
 في المملكة العثمانية واهلها يباغون نحو ثمانين الف نسمة ما بين اسلام وروم وموارنة
 وكاثوليك وبروستانت ويهود واوروبابيت وغيرهم واغلبهم منصوبون على
 اكتشاف المعارف والعلوم وما يشهد لنا بنجاح هذه المدينة الابنية والعمارات
 الجميلة المقامة فيها والتي تتجدد في كل يوم وفيها نحو ثلاث وعشرين كنيسة
 وخمسة عشر جامعاً التي اقدمها جامع السراية وقد توفي فيها جملة معلمين من
 اشهرها بالاداب والعلوم . انتهى

صيدا

هي صيدون القديمة وقد تسمت هكذا نسبة الى صيدون بكر كنعان بن
 حام بن نوح عليه السلام وهي حسب ما يتضح من كلام اشهر المؤرخين انها اقدم
 من صور وهي الى الناحية الجنوبية بينهما مسافة يوم على ساحل البحر وقد اشهر
 سكانها بالتجارة وسفر البحر والارجوان الذي به سطر فضلهم في صحائف التاريخ

وفي سنة ١٨٤٠ هدمت المدافع الانكليزية جانباً من سورها وقلاعها المتينة وقد فتح ابوابها الجنود اسكندر المكدوني وكان اخذها نحو ٧٢٠ سنة ق م شاملها ناصر ملك اثور ثم انها خضعت لسلطة الملوك المصريين والسوريين ثم للرومانيين واخبر مولف القاموس العمومي انه في سنة ٢٥١ خضعت لسيريس وبعدها خضعت للافرنج نهلمت الى الملك صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ ثم استرجعها الافرنج وبقيت في يدهم حتى سنة ١٢٩١ قال مولف سورية في وجه ٢٤ من المجلد الثاني من كتابه الشهير ولتنزل الساحل البحري الرمل على مسافة ١٧ او ١٨ فراسخ من مدينة بيروت بعدما تكون قطعنا امواج ذلك النهر المسمى بالدامور الى تلك البقعة التي بها مدينة صيدا الشهيرة سابقاً واندع التاريخ يخبرنا ويعلمنا عما حازته هذه المدينة من الافتخار والسلطة العظيمة التي لم يبق لها اثر فاذا معنا النظر نرى ان هذه المدينة متأخرة كثيراً بالنسبة الى عصرها السالف والعمرى ان تلك البقعة التي كانت مزهرة قدما قد اعتاضت بالعمارات الجميلة التي كانت تحيط باواب بحرية بها كانت ترسو المراكب العديدة ببنانات الطبيعة التي تعجب المتأمل فان اثار تلك السراي المذخرفة بالبناء السامي المزدهر قد ابادها كروور الزمن وقابل حادثات جرت بها وتلك القلعة التي كانت ابراجها متصلة بها بواسطة جسر متين قد هدمته منذ يسير المدافع الانكليزية ولم يبق من تلك المبتدعات التي اوجدتها تلك الامم الفينيقية المشهورة والرومانية واليونانية سوى اثار ازقة وسترة وتخللات مشحونة بالحجارة المتراكمة ورمال هائلة ومنذ ابتدا حكم الباشاوات كان عدد سكانها عشرين الف نسمة غير انه منذ خمسين سنة اخذ بالتناقص حتى انه بالكاد يتاخر ربع العدد المذكور واذ ذاك ابتدا الاورباويون ان يهاجروها رويداً رويداً حتى لم يبق منهم ما بالك يذكر وقال اخيراً على الساحل الغربي في السلسلة اللبنانية على السواحل البحرية توجد مدن شهيرة قدما وهي طرطوس طرابلس بيروت وصور وصيدا التي لم تنزل سكرى من خمرة صينها واشتهارها السالفين

وأما تجارتها فكانت شهيرة جداً غير أنها قد تحولت الآن الى مدينة بيروت
 مع ان نسبة الأيالة لم تنزل الى صيدا وذلك باعتبار الوضع وكانت دار الوزارة حتى
 زمن احمد باشا الجزار الذي قد اختار عرضاً عنها مدينة عكا نظراً لما كانت
 ولم تنزل مشهورة من الحصانة القوية وهذه المدينة منذ تسليم الافرنج اياها ثانية
 حتى أوائل الجيل السابع عشر بقيت في حالة الدمار والخراب وابتدا الأمير
 فخر الدين المسمى المشهور ببناء ابنة فيها وفي ذلك الاوان كان للفرنساويين
 بها تجارة واسعة مشهورة اذ ان صيدا كانت على نوع ما عاصمة بر الشام غير انه
 في سنة ١٧٩١ طردهم منها احمد باشا الجزار وأما قرية صرند في الى جنوبي
 صيدا على طريق مدينة صور واذا نظرنا حالها الى هذه البلدة نراها حاوية
 من السكان ستة الاف نسمة وبها الرياض والحدائق الجميلة المزدانة بكل ما
 لذ وطاب من انواع الفاكهة والاشجار كيف لا وجنائنها الواسعة المتندمة امام
 المشاهد نوضع ذلك بالامتحان ومنظرها عن بعد كهارة خائضة او ثابتة بين
 امواج البحر العجاج وقد انتقلت اليها في سالف الزمن مدرسة الشرائع الرومانية
 التي كانت في بيروت وأما مياهها فمن ماء النهر الذي يعد من افضل المياه
 عند مخرجها من الباروك غير ان ذلك الماء يتكدر كثيراً الذي وصوله الى
 المدينة وذلك سبب خوض المواشي به وجريه مسافة طويلة تحت الشمس
 ومناطاة بعض اوساخ ويدخل الى المدينة في اقنية مبنية تحت الارض فيصل
 سنناً غير اننا قبل ان ننهي كلامنا عن هذه المدينة نقول ان فطانة اهلهما وحذقهم
 الشهير يوديانهم يوماً الى اصال بلادهم الى مقام تلك الدرجة السامية الذين
 طالما بسعيهم وغيرتهم سبقوا الشعوب حتى اخيراً برفور سعيهم الكامل قدرتهم
 برغد العيش . . . قال بوجولا احد السياح المشهورين ان صيدون
 المشهورة في الزمن القديم ليست الآن سوى قرية صغيرة وأما عمق المياه التي
 كانت ترسي بها اشهر مراكب العالم فلا ينيف عن متر واحد واذا امتنا النظر
 في هذه المدينة نرى انها كانت مهد المعارف والعلوم وقد دعاها القدماء ام كل

المدن الفينيقية ومصباح العالم وأهلها قد استنبطوا فن سفر البحر والحروف التجارية وبذلك قد أقاموا لهم ذكراً سوف يتخذ مدى الدوران وأنه منذ ورود الصليبين اختصت بملك لاينية وقبل وصول لويس التاسع حاصرها الإنراك وهدموا أسوارها وفي سنة ١٢٥٦ بنى هذه الأسوار ملك فرنسا وكان يشتمل بها ما ينيف عن مائة ألف فاعل ولم يضر زمن الأرواجم التركان الساكنون في رويس الجبال المجاورة أهالي هذه المدينة وذبحوا منهم ألفي شاب مسيحي فالنديس والملك لويس كان وقتئذ في صور فبدي استماعه ما حل في سكان صيدا جمع قسماً من جيوشه وهاجم التركان وكسرهم فانهزم هؤلاء مدبرين وكان ذلك بقرب بانياس على مسافة يوم من صيدا إلى أن انتهى أخيراً وقال أن صيدانيين عن بعد كعارة عاتمة على وجه ذياك البحر العجاج الملاطمة أمواجه وهي الآن بلدة بها عدد واف من الرياض النامية بها انواع الذواك المذيذة ولا شك انها سوف تتقدم يوماً فيوماً حتى تدرك ما قد حصائته في غابر الزمان

قبل أن بانيها هو صيدون بن كيمان بن حام بن نوح نحو سنة ١٩٠٠ الخليفة في أوائل الجيل السانع قد أقام بها الأمير فخر الدين المعني ابنية جميلة وكانت لها تجارة واسعة وهي الآن ملذوية الاسواق ضيقتها وكان من الممكن أن يشاهد اثر مينائها الجميلة التي لم تنزل كائنها صخور طبيعية وفي هذه الميناء نقدر أن نوكد أن صيدا بقيت في محلها الاصل والى ناحية الجنوب على بعد نحو نصف ساعة نشاهد برجاً يدعى المنطرة بغان انه كان احد هياكل عشتروت ووجد به صنم ويظن ان حملة تحلات كانت مركزاً لعبادة الاصنام كمنطقة المستعمرة ومقام مارالاس وغورها ووجد في هذه المدينة من الآثار ما يشهد بقدميتها منهم ما ظهر في سنة ١٨٤٦ وهو ماوس من الرخام وعلية تصاور نافرة جميعها اشخاص كائنها كانت في معصنة حرب بعضها على الخيول وبعضها على الاقدام وكانوا قد اخرجوا غطاء هذا الماوس قبل بعامين وكان عليه صورة حرمة ورجل

وفي شهر كانون اول سنة ١٨٥٢ وجدوا ببستان الدويدر حيثما كانوا يحفرون
الارض ثلاث قلال رصاص فيها مسكوكات ذهبية اخفتها النعلة الى ان ظهر
اخيراً هذا الامر لدى الحكومة وصار تخصيصه منهم وكانت النسكة سكة فيلبس
وسكة واده اسكندر وكان وزن الواحد مثقالين السته قراريط وسكة
فيلبس كانت من الناحية الواحدة صورته ومن الاخرى مركبة براسين من
الخيل ومكتوب عليها اسم الملك باليونانية وسكة اسكندر كان مكتوب عليه من
الجهة الواحدة صورته وعلى راسه الخوذة ومن الجهة الثانية صورة الهة مختلفة
وفي ١٩ كانون ثاني سنة ١٨٥٤ وجد ناووس عظيم كان محفور عليه اثنان
وعشرون سطرًا باللغة الفينيقية وترجمتها هكذا . في شهر يول في السنة ١٤ اتوفي
الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين بن الملك تينيت ملك الصيدونيين
قال الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين انا قد حملت قد ابتليت في مدفني
انتهت المشقات في رواتي وانا راقد في حظيري وقبري في موضع قد بينته
ودعائي مع دعا كل الممالك هو ان لا يفتح احد موضع راحتي ولا يدخل داخل موضع
رقادي كيف حالة البشر في محل نومي ولا يتزعج من راحتي ولا يرفع
ما داخل موضع راحتي ان دخلت موضع راحتي وان كنت انسانا المحاكم الاعلى
بل فلنسمع دينونة من كل الممالك والذي يفتح مكان مراخي والذي يرفع ما داخل
مراخي فلا يكون له راحته من الجبابرة ولا بدفن في قبر ولا يكن له عقب وايكن له شر
في الموضع السفلي ومن عصا فليدن من الالهة المقدسين ومن المملكة بواسطة السلطة
المظهي لابن ملك الصيدونيين على الممالك من فتح مدخل موضع راحتي من
رفع حائطي فليختبر في نفسه صحة هذا القول اي من فعل لا يعدل داخل راحة ليدنة
بين معالي النور بين العائدين تحت الشمس مثل راحتي قد حملت قد ابتليت
في مدفني انتهت المشقات في رواتي انا اشمونعيد ملك الصيدونيين ابن ابن
الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين بن الملك تينيت ملك الصيدونيين وامي
معشروت كاهنة معشروت سيدتنا وملكتنا ابنة الملك اشمونعيد ملك الصيدونيين

ها قد بنينا بيت الالفه بيت حكم البر والبحر وشيدنا بيت عششروت فايتمعال اسم
النور نحن الذين بنينا بيت امنا رجباً غنيا النور على الاكمة وبنينا مقامي لبنمعال
النور وبنينا الهياكل لالهة الصيدونيين في صيدا البر والبحر هيكل بعل صيدون
وهيكل عششروت بتمعالى اسم بعل حتى يعطينا رب الملوك فخر اللذة والحسن
بلاد سورجنة الساحل قد امتلأنا الحاسن التي وضعت لاجل سرائوس
وزدناها فلاح اطراف البلاد لحماية الصيدونيين الى الابد . انتهى . وفي سنة
١٨٥٥ وجدنا وسان بهيئة واحدة لم تكن عليها كتابة قط وعلى القطا صورة راس
لقرب الاكفاف وظن انها صورة عششروت وفي شهر شباط سنة ١٨٥٩ وجدت قلة
صغيرة على مسكوكات نحاسية وعليها صور مختلفة بعضها صورة الاثني عشر رجلاً
وبعضها صورة هياكل وبعضها صورة الهة الوثنيين وجميعها سكة فضا صيدا
وعلى النكليس تصاوير طاووس وعصافير واشجار ملونة جميعها وربما ان هذه
المغارة هي احدى المدافن في هانك الاعصر التي قد مرت

صور

هي الى الناحية الشمالية من عسقلان على مسافة يوم ونصف من عكا من
اشهر مدن انعام ومن مطالعة تواريخ المتأخرين ينضح لنا جلياً انها قد امتطت
قدمها جواد التقدم والتجّاح وهي على راس لسان داخل في البحر تبعد مسافة يوم
عن جنوبي صيدا وقيل ان يمتنع صرهد مهاسنة ٥٧٢ وبعد برهة جدد بناها
وخرابات صور تدعى صور القديمة وكان لها بابان وكانت اسوارها منيعة
جداً وهذه المدينة كانت ملكة البحر وقد كونت مملكة من اشهر ممالك
الفينيكية وكانت مواد اشهر فلاحى الكورة باسرها وتجارها امتدت حتى
الافقيانوس الانلاتيكى وحكمها كان جمهورياً في الفترة منذ سنة ٥٧٢
الى سنة ٥٥٤ ق م واشهر لنا التاريخ اسم احد ملوكها بيكماليون اخ ديدون
واما معبوداتها فكانت ملكات الملقب بهركوال واسترته اوفه نيس وتوز

وادونيس وفي سنة ٢٢٢ استفتح هذه المدينة البطل اهام المشهور بالجماعة اسكندر
 بن قيايس المكشور في القصب بذي القرنين وذلك لان صور بنيت وحدها غير
 خاضعة لملك دخلت سورية وبنيفيقية في ادارتها واذ دنا منها اجتمع
 الصوريون معاً وانتقموا على انهم برسلون اليه هدايا واشيا فاخرة تكون لايقة
 بشانه بيدان الاسكندر اراد ان يدخل الى صور كي يقدم بها ذبيحة لهرقل فلم
 ياذن له الصوريون بالدخول واذ ذاك التي عليهم الحصار لينضمهم لايمرو
 فاستعد الصوريون المدافعة عن انفسهم فكان لصور سور عالية مائة وخمسون
 قدماً محاطة بالبحر فحصبوا الاسوار واخرجوا في مداتهم اوفرايمون وقلدوا
 شبانهم السلاح ولم يفتروا في ذلك الوقت عن ان يشتغلوا ليلاً ونهاراً في عمل
 الاسلحة واما الاسكندر فاذا رأى ما هم عليه من البسالة والاستعداد المدافعة وقوة
 اسوار المدينة خاف من اطالة الحرب فارسل حبيباً اخبره بالتاريخ رسالة
 يثابروهم بالصالح ولكن لم يجمع ينصدهم اذ ان الصوريين استقبلهم بعد
 السيف واهانوا تدبرهم الامر الذي سبب غيظ الاسكندر وحينئذ غار على جواد
 الانكار الى ان انت فاكرته برأي سديد وهو ان يعزم على بناء سد في الماء وكان
 ذلك سهلاً عليه نظراً لما كن في صور القديمة التي كانت بازائها من الخبارة
 والاختساب الوفيرة اللازمة لتكامل منصفه وقد استقبل من لبنان الذي لم يكن
 بعيداً عنه ما احتاجه بعد ذلك وكان هو بنفسه منافراً على الجنود المتسكة بهذا
 العمل ونظراً لبعدهم عن السور وعدم استطاعة المحاصرين على الخروج اليهم
 كانوا يشتغلون دون ممانع غير انهم كانوا كلما اقتربوا من المدينة كانوا
 يصادفون مشقات أكثر من جرى على البحر وسهام الصوريين وكان اهل صور
 يقولون ادى مشاهدتهم جنود الاسكندر حاملة ما يانم لسد الماء انظر واما اجل
 من ان نرى قاهري العالم حاملياً على ظهرهم كالحديد ساخرين بهم ولما صار
 السد كافياً للاستحكام على المدينة خرج الصوريون مقلدين باوائل الحرب وفتكوا
 بالجماعة حتى ابادوا قسماً وافراً منهم ولم ينفكوا عن فعلهم حتى هدموا كما كانت

الجنود المكدونية تعبت ببناء وإنزال مركباتهم من الكبريت والنفطان مع
 مواد أخرى قابلة للاشتعال ووضعوا في سواريه زيتا وفي مؤخرة حجارة ورملا
 غريرا لاجل احراقه واذ سمعت لهم الفرصة خرجوا الى السد واضرموا النار في
 المركب ونجوا هم بانفسهم فهبط السد وصارت تلك المنفعة النارية الموهلة ورام
 المكدونيون اطفالهم قسم من تلك اليران المشبوبة غير ان سهام الصوريين التي
 كانت تنحدر عليهم كانت من اعلى السور منعتهم عن ذلك فحينئذ هلك كثير
 من النحلة فالتى البعض انفسهم في البحر والاخرون كابدوا اشد العذابا واما
 ذلك فلم يضعف قوة ونشاط الاسكندر بل ضاعفها حتى صار السد قريبا
 للصوريين بيد ان ريحا عاصفة هبت فراجت امواج البحر ومن عظم غاوها هدم
 ذلك السد فكاد الاسكندر يقع في ورطة اليأس وقال ان هذه المدينة هي
 ملكة البحر حقا فاشد مع ملك قبرص وهما سفنا حربية وافرة وابدا ان يهاجم
 صور وارسل برفقة مارك قبرص والسواحل الفينيقية مراكب القتال ورام
 الصوريون خرابها ولكن انكفوا عن العمل اذ علموا ان تلك المراكب منتظرة
 اخرى فلبثوا في المينا سادين الطريق عن السور واذ ذاك فندم الاسكندر
 نحو الجزيرة ولم يتوقف عن القتال سوى لدى مشاهدته ضيق المينا فانتظر
 النجدة وكان اذ ذاك السد قد تحسن وكمل فاني طبق مرغوب الاسكندر وما
 ذاك سوى بعد مشقات وافرة فوضوا عليه كل نوع من الآلات لهدم الاسوار
 بضرب الخبيث والسهم النارية ووضعت السفن القبرصية في مقابله فتهيا
 الصوريون للمناعة من جهة السد وكانوا ياتون بالنوارب وينفذوا حبال
 السفن تيل انهم كانوا ياولل هائلة يجهزون الرمل لاعلى درجة ممكنة ويشارسون
 من فوق الاسوار على الجنود المكدونية فكانت تدخل دقايق يربث اثنائهم
 وتحرق اجسامهم واما الاسكندر فلما كثر الصوريين عن قطع حبال السفن
 ربطها بسلاسل حديدية واذ ذاك ارسل الصوريون نساءهم واولادهم الى قرطبة
 قيل انه كان ثمان ابولون في تلك المدينة وكان يسجد له كل الصوريين في

احدى ليالي المحصار راى احد السكان ان ابولون سيتركهم ويذهب الى الاسكندر
فقام مرتعبا واخبر بذلك الاهلين فهرعوا جميعا الى ابولون وقيدوه بسلاسل
ذهب ورباطه على منبج هرقل ليمدوه من الفرار وتزل الصور بون اخيرا
الى المراكب النبرصينو وغزو ما كان بها واولا مبادرة الاسكندر الى ردهم لتجعت
البحسرة وهذا حمل الملك المكدوني ابي الاسكندر الى جمع جيوش وافرة ومهاجمة
اخيرة قال المورخ فحدثت اذ ذاك موقعة فلما ياتي تاريخ العالم يذكر شيه لها
لانه انتشب القتال الشديد فكان الفريقان يتصارعان كالاسود وقد نسلق
الاسكندر بنفسه على برج من الصور وكان بالهيئة الملوكة وملابس الذهبية
فكان هدفا لمطامع الاعدا فظهر كل بطش وشجاعة ويده اباد حيوة قسم ليس
يسير من محامي الاسوار وبذاك شجع جنوده فتملكوا برجين وخرقوا الصور
بضرب المنجنيق فهدمت بعض جوانبهم امتلكوا القلع واخذوا المدينة من الجهة البحرية
وقد زاد نشاط المكدونيين الذين لم يفتروا عن الاخذ بشارهم من الصور بين
الذين وقعوا في ورطة الحيرة اما الاسكندر فاصدر اوامره باباد اهل صور
وامارهم ما عدا الذين هم ضمن الهياكل اذا كانوا بنات واطفالا وامر باضرام
النار في كل مكان وقد نجا بواسطة مراكب صيدا قسم من الشيوخ اما عدد
الماصورين من الاهالي والغربا فبلغ ثلاثين الفا بيعوا جميعا وقد اخبرنا
المورخون ان الاسكندر اخذ الفين من الاسرى وربطهم بعضا ببعض وصفهم على
ساحل البحر وهناك صلبهم ثم قدم ذبيحة الى هرقل بالاحتفال الوافر وفك
قيد (ابولون) ودعاه (في الاسكندر) ابي صاحب الاسكندر فخرت صور
تماما ولم يمض زمن طويل حتى رجع اليها بعض من الذين خلصتهم المراكب
الصيدوية وتماطوا التجارة وبنوا باعنا مخرابات مدينتهم وعادت اليهم البنات
التي ارسلت لقرطجنة وحينئذ كانت عمور انصلت بالبر بواسطة السد الذي
كان سبق الكلام قد امر الاسكندر ببنائه بواسطة البحر الذي كان يقذف عليه
رماله فاستولى ذلك الرحيق وصار ارضا ففسدت ملك البحر بعد ١٨ سنة

حاصرها انطونيوس قيصر فرماها هذا الحصار بالاستعباد والاهال ثم تبيت
ورجعت الى مسراها وكادت تحصل تلك الدرجة العليا وقد انصب اهلبا على
ارتكاب الفواحش فظهرت اخيرا بدخول الانجيل اليها وقد ازدهرت في
زمن الصليبيين ازدهارا مدهشا الى ان خرجوا منها سنة ١٢٩١ وخربت
خرابا كاملا لم يزل يتزايد حتى يومنا هذا وفي سنة ١٢٥٠ ق م نال الصوريون
الاذن ان يساسوا بشرايعهم الذاتية ثم وقعت تحت سطوة الرومان ثم تساط
عليها الاتراك . وفي سنة ١١٢٤ اخذها الصليبيون والفرنساويون سنة ١٧٩٧
وكانت من اشهر مدن العالم واليه ينسب استنباط لون الارجوان الجميل
فحسبا قيل انه في شهري حزيران وتموز من سنة متأخرة جدا نذف البحر اصدافا
الى ساحله الرمال فصدف وجود بعض اولاد بذلك الساحل فيلب مقداراً
وافرا من هذه الاصداف التي اذ رفعت من الماء ولدت لونا مزرقا اخضر
مائلا الى البنفسجي فتسحق على خرق بيضاء واضافوا اذ ذاك قليلا من
الصوديوم وهو معدن موجود في الطبيعة مع عصرليمونة صغيرة فنظروها اذ
ذاك مصبوغة باللون الارجواني الجميل غير ان ذلك لم يوكد في كتب
المورخين مع اننا نرى جيونيس مدير الكورثينا في صور ارسل هذه التجربة الى
ديوان جمعية نابلي العلمية كي تثبته وقد قال مواف سوربة ادى تمعه في احوال
هذه المدينة الحالية عجبا من ان نرى صور قد اعتاضت بالمواشي عن تلك الجنود
الابطال التي كادت تنهر الاسكدر ملك العالم بأسره ومن ان نراها خالية
من مدرسة مع انها في المحل الاول الذي منه بزغ نور العالم اذ ان اهلبا هم
الذين استنبطوا الحروف الهجائية حسب قول بعضهم وافادوا بها العالم بأسره
واعجب من ذلك نرى ان ملكة البحر خالصة من مركب في مينائها هذا وقد يشاهد
بناثر اثار قناة كانت تجري منه المياه الى مدينة صور ومنه مياه راس العين الغزيرة
الفائرة من تنور تحصورة فيه ومن هذه المياه تستقي البساتين المجاورة ورأس العين
يدعي ايضا ابار سليمان اذ ان هناك شجوع ثلاث ابار تذكرنا باهمية وقدمية

المدينة السورية المشهورة

وأهل صور يبلغون الآن نحو ٢٠٠٠ نسمة ومعظم تجارتهم القطن والقم وادخان فمن ذا الذي لا يدهش لدى سماعه بحالة هذه المدينة التي خضعت لسطرتها أشهر ملوك العالم وشاهدته أياها الآن مردومة وبالكاد يبق أن تذكر غير أن الطمع في الاستيلاء على زمام التجارة يجعلنا أن نؤخر أحزاننا على حالة هذه المدينة راكبين تحت الأمل بالأمل وعسى أن تستفيق من رقادها المستطيل

عكا

هي على مسافة يوم ونصف من جنوبي صور ودعيت قديماً عكا ثم بطولومايس على اسم أحد بطالمةوسية، مصري في (٢٢° ٤٦' طول شرقي و٢٢° ٥٥' عرض شالي) ومركزها على البحر على مسافة ١٢٢ كيلومتراً عن جنوبي اورشليم ومن مطالعة التواريخ يتضح ذلك جلياً غير أنها لا تعد الآن سوى من خرابات الأقاليم السوري واشتهرت بحروب كثيرة بين المسلمين والأفرنج الصليبيين حتى أيام الملك الأشرف ابن الملك الظاهر برقوق فاستلمها واستمرت تحت سطوة المسلمين إلى سنة ١٧٩٩ وكان أخذها الجركس من الصليبيين سنة ٢١١١ أو من الجيل الخامس عشر إلى الجيل الثامن عشر استولى عليها الاتراك واستقل فيها على نوع ما الظاهر ثم الحجاز وسنة ١٧٩٩ حضر إليها البطل المام نابليون الأول المشهور بالشجاعة فحاصرها وكان بها أحمد الحجاز واليا فقاومة مقاومة شديدة وضبط عليه البحر القبطان سيد الانكليزي فالتمز نابليون أن ذلك أن ينصرف عنها نظراً لما حصل له من المقاومة وكاد يستولي عليها بعد أن حاصرها ستين يوماً غير أنه انصرف يحنوده كما ذكرنا ورجع إلى مصر وفي أول يوم من سنة ١٢٤٨ استفتحها إبراهيم باشا خديوي مصر وقبض على عبد الله باشا واليها وذلك غب محاصرتها أياها ثمانية أشهر ومنذ ذاك الحين شرع إبراهيم باشا المشار إليه بتحصينها

وما كن يترقط عن ان يذخر بها من الاوائل الحربية ما يكف عن القيام
بحق سرد القم وسنة ٨٤٤ حضرت اليها مراكب الافرنج وضربتها وفي برهة من
الزمن اخذتها. اما بوجولا احد السباح المشهورين قال ان المواقع التي حدثت
تحت عكا اشهر من ان تذكر واشهرها تسع مواقع التي باحداها قارم احد الجنود
الصليبية جهرا وافرا من الجنود الاسلامية اذ كانت شبيها حسبها اخبر المورخ
بشيطان جهنمي ومدرعا بدرع متين وقد اباد عددا وافرا من تلك الجنود
ولم تقدر الاسهم ولا الاسلحة ان تضربه واخبرنا وقع ميتا بالامطار النارية
التي اوقعها عليه اعداؤه. قال مواف سوربة ان هذه المدينة قد اشتهرت منذ
سنين اشتهارا فائضا فلما تحتلها اشهر مدن العالم فان اليهود كانوا يدعونها
عكا واليونانيون (كون) اما بطليموس فعال الى هذه المدينة ميلا شديدا
حتى انه دعاها بتوليمه باسمه وبهدما استولى عليها الرومان والمصريون اصبحت
اقليسا رومانيا تحت سطوة الامبراطور كلوديوس وفي سنة ٦٣٨ افتتحها
المسلمون وفي اوائل القرن الثاني عشر افتتحها الصليبيون واذ ذاك كانت رافدة
ببارق الجهاد والفخر وكانها درة تتلأعلى جبين العالم باسمه غير انه غب مرور سنين
هدمها وحرقها المصريون الذين قلما فعلوا ما ياول لتجارتها في مدة تملكهم اباحا
ولذلك قد استوجبوا مذمة المورخين فعسى ذلك يكون نموذجاً لكل من
يتولج مهام الامور وادارة احكام الرعايا. ودامت في حيز الاهال حتى سنة ١٧٥٠
لانها امست اذ ذاك مركزا لاحد باشا الجزائر الذي لم يتاخر عن بناء جامعها
اشهور وصلاح اسواتها. اما سهل عكا فمخصص للغاية غير انه قلما زرع جيدا فلم
يات بالاغلال الواجبة. وقد لام اشهر المورخين احمد باشا الجزائر لوما شديدا
وذلك نظرا لما اجراه في مدة حكمه اذ انه لم يسع قط ببيع النطن الى احد
سواه ولا ان يشترى لاحد غيره. واما صلاح الدين فاذا حاصرها خاف اهلبا
وغب محاصرتها يومين استلمها وما ذلك الا لعدم وجود ابطال فيها لان
اهلبا كانوا تجارا اما محاصرة الصليبيين هذه المدينة فهو من اشهر واعجب ما

اخبرتنا به تواريخ المناخرين لانه فضلا عن طول المدة التي طواها قد تعالت
 قوة الجيوشين في حصارها وان صلاح الدين كان احضر (قره كوده) احد
 المهندسين الشهيرين حتى يقوي بدارته اسوار هذه المدينة ويجمعها اشهر قلعة
 وكان لا يفتقر عن كلما ياول الى تحصينها لانه كثيرا ما هلكت جيوش مختلفة
 الاجناس قبل ان تصل الى تلك اسوارها وقد قال نابوليون الاول ادى
 انصدامه عنها بعد محاصرتهم اباها لو امتلكت عكا لامتلكت الكرة الارضية بأسرها
 ولترجعن الى ما كنا في صدره فنقول انه لما علم صلاح الدين الايوبي ان الصليبيين
 احاطوا بالمدينة سار راحلا اليهم بجيوش الكراة كي يرى ما الحيلة في انقاذ هذه
 القلعة الشهيرة وتخليصها من يدهم غير ان قوات الصليبيين صادتهم بشدة كلية
 فذهبوا حالاً نحو الناحية الشمالية التي كانت بها الجيوش الصليبية قليلة العدد
 وبثقة فائقة الحد فتبعوا طريقاً لم يروا داخلين الى المدينة غير انهم اذ دخلوها
 اخذوا في الاهمال وعدم اقتنا اثر اعدائهم وابتدوا ان ينتزهوا وارسالوا خيولهم
 نحو ينابيع المياه بينما كان الصليبيون يستعدون للكفاح والقتال مدبرين ومجهزين
 جميع ما يلزم للقيام بمحق تلك الحرب المزمعة ان تنتشر وهكذا لما حدثت في
 الغد الواقعة صادف المسلمون تاخراً وشاهدوا من الصليبيين قوة غير متظرة
 ومنذ ذاك الحين ابتداء كل من الفريقين ان يهزم مرة وينتصر اخرى واما
 صلاح الدين فكان جسوراً هماً في المواقع وكان دائماً في مقدمة الجيوش يشجع
 جنوده التي ابتدأت من ذاك الحين ان تهامل وترفض النزول الى ساحة
 الوغى وعزم اخيراً الصليبيون على الرحيل اذ بلغهم ان صلاح الدين متظرفيجة
 من الجنود المصرية غير اننا نرى ان اشهر المورخين يمدح صلاح الدين على ما دبره
 من الحيلة لخلاص هذه المدينة وذلك انه امر قسماً من العسكر ان يذهب من
 المعسكر فلدى مبارحة هذا القسم معسكره ظن الصليبيون ان جيوش المسلمين
 قد اهلكت امر القتال ولم يعلموا ان ما بقي من الجنود لم يزل مستعداً للكفاح
 وهكذا اكر جميعهم على ميمنة الجنود الاسلامية وباتناء ذلك تقدم جيش اليسار

الاسلامي وصادم تلك الجنود ولم يضر زمن يسير حتى وصلوا الى الخلل الكامن
 به صلاح الدين مع قسم وافر من جنودهم فحدثت هناك موقعة دارت فيها الدائرة
 على الجنود الصليبية لان المسلمين انتصروا انتصارا شديدا وكذا يبيدون جميع
 اعدائهم مع انهم اسروا مقدارا وافرا منهم وكان ذلك في اواخر الخريف فطلب
 المسلمون الذين كانوا مع صلاح الدين في حرب الصليبيين ان يذهبوا بجيوشهم
 كي يبطوا زمن الشتاء في اوطانهم فاجابهم صلاح الدين قائلا . انا قد انتصرنا
 على اعدائنا الصليبيين ولكن غيب زمن يسير سوف نواجهنا جنود من اوروبا
 التي لا شك انية للاتحاد مع اعدائنا فاذا ذهبتم وتركتم الان المعسكر لا شك
 انهم ينتصرون علينا لدى شوب نيرمان الوغي فاذلك ارغب منكم جميعا ان تبقوا
 وياي متعدين

غير انهم لم يصفوا الى هذا الكلام ولم يقبلوا بتغيير عوائدهم وهكذا ابتدأوا
 ان ينفرقوا فمنهم من ذهب قاصدا الشام ومنهم من ذهب لبلاد بين النهرين
 واخرون لبلاد اخر مختلفة واذ علم الصليبيون انحلال القوات الاسلامية ابتدأوا
 ان يمحيطوا بالمدينة وحصنوا محلا للجنودهم وعدا الحفر التي اقاموها قد بنوا
 حائطا ابيهم من نيرمان الاعداء . وبنوا اصطبلات لخيولهم ثم انهم اقاموا معبدا
 يسمون الصلوة ولم تكن جنود صلاح الدين قادرة على ان ترد الجنود الصليبية
 عن العمل غير انه وافيت لاسعافها جنود اسلامية مصرية فاستعدوا للكفاح وبنوا
 جميع ما يلزمهم لصدمة تلك الجيوش التي كانت معسكرة امامهم اما صلاح الدين
 نظرا لما كان عليه من الخدق والدراية فلم يرغب ان ينهي حال تلك الحرب خوفا
 من انه اذا استفتح الصليبيون تلك المدينة لا يكتفون بها بل يتوجهون نحو
 المدن البحرية وهكذا كان يبذل الجهد والجهود في اطالة تلك الحرب ورغبتا
 هما كان موصوفتا من الدراية كان جيشه غير منظم مطلقا وقد اخبرنا المورخون
 ان جيشه استاذن منه يوما ما بان يذهب دونه لصدمة الاعداء فاجاب اني
 لمؤكد جيلا ان جيشي بدوني لا يقدر قط ان يكتسب موقعة فان انتصر

بواحدة فلا بد ان ينهزم بثلاث اخرى وهذا هو كاف ليؤكد عدم انتظام تلك
الجنود وكل من راجع بتأمل مطالعة هذه الحروب لا بد من ان يطنب بمدح
هذا الملك الشهير الذي رغمًا عما كان محاطًا به من الموانع كتأخر جيشه وما
اشبه كان دومًا يفوز بالعلبة والانتصار على اعدائه. اما الجنود الصليبية فانتعشت
مذ وفد عليها هنري امير شامبانيا مع جنوده الابطال اليسيري العدد وهكذا
تقدم الصليبيون نحو المدينة لاصادمه الجنود الاسلامية ولم يمكنهم ان يفتحوها
بل كانت دومًا ترجعهم التهمري وهكذا كان صلاح الدين مع جيوشه مستعدًا
للكفاح وما زاد تأخر الصليبيين اذ ذاك سوى وفود الطاعون والجماعة
فما ان البايئات اضرنا اضرارًا بليغة بتلك الجنود التي افقدت منها قسمًا
وافراشهم من توفوا اذ ذاك امير سواب الذي كان قد وافى من اوروبا لمساعدة
الجنود الصليبية وهكذا كانت حالة الصليبيين تزداد تعاسة بسبب اختلاف
قوادها واذ حضر فيلبوس اوغسطوس ورشارد القائدان الشهيران المنفقان
لمساعدة الصليبيين اختلفا عند وصولهما فكان ذلك سببًا لتأخرهم ونجاح
اعدائهم لانه حينما كان حزب فيلبس يحارب الجنود الاسلامية كان حزب
رشارد منهمكًا في الملاهي والملاذات وهذا هو السبب الوحيد الذي اعاق
الصليبيين عن افتتاح عكا غير انها انقضا اخيرًا وعمدا على افتتاحها معًا اذ دام
حصارها نيفًا عن اربعة وعشرين شهرًا وكانت المواقع تتجدد يومًا فيومًا
وقوات الجنود الصليبية تزداد فارسل اذ ذاك صلاح الدين الى الخليفة الذي
كان حينئذ في بغداد تحريراً مضمونه انه من المستحيل ايها الخليفة المعظم ان
اقدر اشرح عن عظم قوات العدو العديدة التي تزداد يومًا فيومًا اذ ان عدد
الخيل المعلوم عندنا خمسة الاف وعدد مشاتهم ما ينيف عن مائة الف وقد
ابدنا قسمًا وافرا منهم بالحروب والمعامع والمهاجمات الوافرة غير ان البحر
يفاجئهم بفوات جديدة يومًا فيومًا حتى اصبحوا عددًا وافرا جدًا وما يزيد
ارتباكنا سوى كوننا لا نقدر ان نتجسس اخبارهم فلا نفهم ما يتكلمون خيرا امرا

شرًا واما الجنود التي تأتي لنجدتنا فلا تصل إلينا سوى فريسة الاتعاب والجحاة
 تكونها وافدة من بلاد بعيدة وبالأجمال اقول ان جنودنا افرغت كمل
 قواها في الكناح ولكن لا امل بالفوز فان التعب قد اعيانا فاسمح لاعدائنا ان
 ينو بروجنا بها وافرغوا الأمل في افتتاح هذه القاعة الشهيرة انتهى . واذ شاهد
 الأمراء المسلمون ان لا نجاه لهم سوى بالتسليم ارسلا حاكم المدينة الى فيلبوس
 اغسطوس قائد الصليبيين ليتفاهر معه بامر الصلح فابي فيلبوس وطلب تسليم
 اورشليم مع كل المدن المحصنة الموجودة في فلسطين فلم يقبل الاسلام بذلك
 وهكذا تجدد القتال الى ان قدم الاسلام للصليبية اخشاب الصليب الحقيقية
 مع مائتي الف قطعة ذهبية وكسر قيود الاسرى الصليبيين الذين كانوا
 ينوفون عن خمسة عشر الف نسمة فقبل الصليبيون هذه الشروط واستلموا عكا
 وابقوا عندهم الحرس الخصوصي مع اعيان البلدة كاسرى حتى يستوفوا ما كان
 عند بينهم من الشروط وعند ما استولى الصليبيون على هذه المدينة اخذوا
 بالانشقاق والحسد فان كلاً منهم كان يرغب ان يتفاد ادارة مهام الامور حتى
 ان ريشارد احد القواد تجاسر في ذات يوم ان يرمي (برت ايوبولدا) القائد
 الألماني من علو احد ابراج المدينة وذلك كان سبباً كافياً لاقاء البغضة بين كل
 منها وقد كره المعيشة والاقامة في هذه البلد اغلب القواد المشهورين بالشهامة
 نظراً لما كانوا يشاهدون من الاضطراب والقلق الوافر بين كتائب الجنود
 الصليبية واخص من هاجر ربوع هذه العساكر فيلبوس اغسطوس المشهور
 عند كل مطالع تواريخ هذه الحروب الشهيرة . ثم ان فريدريكوس الثاني مع تصر
 نظره وقصر قادم كان دوماً يظهر من امور الشجاعة ما يحق بتاريخ الامم ان
 يفتخر به فانما نرى انه حينما اشهر عزمه بالمسير الى الافتتاح حرمة البابا ولكنه
 لم يبال بذلك بل داوم المسير واذ علم الملك الكامل بقوة وبسالة جنود هذا
 القائد الشهير ارسلا اليه سفراء يطالب منه ان يجمد نيران الفتنة والحرب التي
 عزم على اثارها وباخذ مدينة اورشليم وبيت لحم وهكذا دخل الى هاتين المدينتين

وحده دون الامل فانهم ابوا اسبب كونه محروما وجرى معه في مدينة عكا ما شابه ذلك فانه عند دخوله اياها لم يعتبره الشعب وكانت الهياكل مغطاة والصابان مطروحة وما كانت الكهنة تتكلم سوى بصوت منخفض مبدأ واشياء اخر كثيرة اضطرت الامبراطور المذكور ان يهاجر ربوع هذه القلعة الشهيرة وفي سنة ١٢٥١ حينما رجع الصليبيون من محاصرة وشعارية بعض الدبار المصرية كانوا بحالة برئ لها وذلك من جرى ما الم بهم من الجوع والاعباب وما شابه ذلك فاحاط حينئذ بعكا قسم وافرنهم مستغيثين باهلها وحينما ظهر ان موت القديس اوبس كان واسطة لانهزام الاوروبيين من المشرق اذ بعده وفي ادورد الانكليزي بسبعة الاف جندي ولكن جيوش بيارس احد سلاطين المماليك قد ظهرت براية الانتصار ولم يكتف بها افتتح من البلدان بل رغب وعزم على افتتاح عكا ولو لم يداهم الموت لافتتحها مع اورشليم وجوارها قبل ان تكمل سنة الف ومائتين وسبع وسبعين فقام خلفه كهون وكان شجاعا ورث الحمق والبغض من سلفه فهدم في سنة ١٢٨٨ اطرابلس باسرها واقام غيرها وبيهره عشر سنوات هدم اغلب مدن سوريا ولكن لم يقدر ان يفتح عكا فلدى موته اوصى ولده خليل ان لا يفتر عن افتتاحها والولد لم ينس قط وصية ابيه فانه افتتحها في اليوم الثامن عشر من شهر ايار سنة ١٢٩١ وذلك بعد ما ذاق اهلها افر واشد اتعاب الحصار

جبل لبنان

ان جبل لبنان هو سلسلة جبال تبدي بالقرب من جبال النصيرية من وادي قلعة الحسن ودير الحميرا التي تمتد اليها السلسلة جنوبا وتنتهي في وادي الليطاني ولسان قلعة الشقيف ومن هناك تمتد السلسلة الى نواحي صفد جنوبا وتغرف الى جهات نابلس شرقا وإلى جنوبي الناصرة ومرج ابن عامر وفي هذا السهل يوجد جبل منفرد يزعمون انه الجبل النحتي وهو يمتد مسافة اربعة

ايام في فينيقية وطوله من بلاد عكار الى جبل الكرمل وعرضه خمسة واربعون ميلاً من البحر الى اول سهل بعلمك والبقاع واعلى رووس جباله جبل عامل الكائن فوق مدينة طرابلس يبلغ ارتفاعه نحو احد عشر الف قدم . والثاني جبل صنين وهو اخفض منه قليلاً . ولبنان هو مستقل بحكومته اي متصرفية وهي معاملتان الاولى تسمى معاملة طرابلس وهي من حدود طرابلس الى جسر المعاملتين وسكانه قديماً سريان وقد كانت لهم اشوكة قوية في اوائل النصرانية حتى ان ملوك الروم كانوا يستنجدون بهم مراراً في الحروب ومن فعالهم المشهورة ايضاً صد معاوية عن اخذ مدينة القسطنطينية وذلك في زمن الملك قسطنطين الهعاني وفي سنة ٦٩٤ بينما كان يوستيانوس الملك يحارب بلاد الغرب ارسل يطلب نجدة منهم فلم يطيعوه فغضب عليهم الملك واراد ان ينتقم منهم فجهز عسكرياً تحت قيادة قائد بن لقصاصهم فقاتلوا جيوشه والفائدين وبددوهم فسموا مرده واما الذين اطاعوا اوامر الملك سمو مالكيين وكانت اراضي مسكنهم من حدود الشوف الى بلاد هدير وب. والثانية معاملة صيدا وهي من جسر المعاملتين الى صيدا وسكانه القدماء وثنيون عبدة اصنام . قبل لما حارب الملك داود الفلسطينيين واستنظر عليهم رحل اكثرهم الى جبل عامل ليستنجدوا بالفلسطينيين القاطنين هناك فنوطنوا هناك ولم يرجعوا فاستمرت هذه الاراضي مهجورة من سنة ٨٢٢ وجميع القبائل تعتبر هذا الجبل وتوقره فالنصارى تعظمه وتجلله نظراً لما فيه من المشاهد والاعلام المقدسة والمسلمون تعتبر ان بيت الله الحرام مبني من خمسة جبال من جملتها جبل لبنان اما اهله وسكانه فهم اصحاب عقول ثاقبة وقلوب قوية واخلاقهم كريمة فمن نهر الغدير حتى مدينة طرابلس جميع سكانه نصارى واغلبهم موارنة ويوجد في بلاد جبيل والبنرون قليل من المسلمين والمناولة واما سكان باقي معاملة صيدا فنصارى وعلى الغالب دروز اما مدن لبنان الفينيقية اي التي على حدود الجبل المذكور فهي سبع قد مر ذكرها وهي طرابلس والبنرون وجبيل وبيروت وصيدا وصور وعكا

و يوجد في هذا الجبل عدة انهر ونهيرات كثيرة لا يسعنا المقام لذكرها جميعها فنذكر اشهرها وهي تسعة

الاول نهر ابي علي وهو نهر كبير يخرج من اسفل ارض جبل لبنان اصله عين ماء يخرج احدها تحت قرية بشرنة والاخرى تحت دير قزحيا يلتقيان في اسفل وادي قاديشا وينصب اليه نهر وسواقي ونباييع ومناهل عديدة دنة حتى يصير نهراً كبيراً وهو يجري الى الشمال الغربي حتى يمر في مدينة طرابلس ويصب في بحر الروم

الثاني نهر الجوز وهو نهر صغير مخرجه من عين ماء ضمن مغارة فوق قرية كفر حادا ويجري في وادي يسمى باسمه حتى يمر في جنوبي قلعة المسيلحة حيثما تنفرع منه قناة فتسقي البساتين التي حولها وطوله خمسة فراسخ

الثالث نهر ابراهيم وهو نهر كبير يبعد عن مدينة جبيل خمسة اميال ومخرجه من مغارة تسمى مغارة افقة بقرب العاقورة وكان اسمه قديماً تموز قبل ان فتى اسمه تموز حسن الخلقة قد قتل في الصيد بالقرب من فسي النهر اذ ذاك باسمه وتوجد في قرية ينال لها قبيل صورة احد الوحوش الكاسرة بفنرسه وهو من خرافات اليونانيين . ومجرأه الى جهة الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من مدينة جبيل وله جسر هائل عظيم ذو قنطرة واحدة شاهقة ليس لها نظير بارتفاعها بين قناطر هذه البلاد قيل ان بانيها الامير ابراهيم احد امراء مردة جبل لبنان فنسب النهر الى اسمه وبالقرب منه يوجد رسوم قناطر منظمة ومتمثلة البناء التي منها كانوا ياتون بالماء الى مدينة جبيل ونسي قناطر زبيدة والى الجهة الجنوبية منه على بعد نحو اربعة اميال نهر شتوي يسمى المعاملتين له قنطرة جسر عظيمة بنيت من غير كاس ولا طين تعد من غرائب البنايات

الرابع نهر الكلب وكان اسمه عند اليونانيين ليقرس اي الذئب اصله من عين ماء يخرج من مغارتين من موضع يسمى جعيتا حتى ينتهي الى فم واد وهناك

يجتمع اليه مياه نبعين يقال لما نبع العسل ونبع اللبن من اعالي الجبل على مسافة
 عشرة اميال من العين وعن بعد بضعة دقائق من نبع اللبن جسر هائل طبيعي
 بحال الناظر اليه انه صنعة اليايدي ويسمونه جسر الحجر ومياه هذه الانهر تجري
 الى جهة الجنوب الغربي وتصب في البهجة الجنوبية من جونة كسروان حيثما
 نصب في بحر الروم ايضاً وكان لهذا النهر جسر قديم بناه انطيوخوس قيصر
 ملك سورية ق م نحو ٢٥ سنة بالقرب من البحر فهدم فجدد بناءه سنة ١٤٧ للملك
 انطونيانوس قيصر ثم هدم ويوجد بالقرب من مصبه على الصخور بعض نقوش
 وكتابات قيل هي تاريخ فتح سوسستريس ملك مصر هذه البلاد وقيل تاريخ
 فتحها من سحاريب ملك الاثوريين الذي امر بنقش صورته ايضاً مع اخبار
 وكيفية فتح هذه البلدان وفي باقية الان ووضع الوثنيون هناك تمثال كلب من
 صخر وقيدوه بجنزير وترواله في صخرة موضعا للطعام ظانين في ذلك انهم اذا
 اتهم الاعداء غفلة فبواسطة نجو يستيقظون فيحذروهم واذلك سمي النهر نهر
 الكلب غير ان ذلك التمثال قد سقط للبحر وهو باق الى الان وقد هدم
 الجسر ايضاً فبناه الملك سيف الدين الناصري المغوري سنة ١٢٩٢ ثم هدم هذا
 ايضاً فجدد بناءه الامير بشير الشهابي والي جبل لبنان وذلك في غير المكان
 الذي كان به اولاً وهو باق ليومنا هذا ومن هذا النهر جرت شراكة انكليزية
 فسما من مائه الى مدينة بيروت ووصلت الماء الى المدينة في اوائل سنة ١٨٧٥
 الخامس نهر انطلياس وهو بالحقيقة لا يعد نهراً نظراً لصغره فطوله مبلان
 وبينه وبين نهر الكلب مسافة فرسخ اما مخرجه فمن فوارين يجتمعان في وادي
 وله جسر صغير بقرب دير مار الياس ثم عليه الناس في اشتداد ايام الشتاء فقط
 وبالقرب من جنوبه نهر يسمى نهر الموت يجتمع من بعض سواقي ماء ويفوى
 قايلاً في الشتاء قبل سبب تسميته بذلك لتعسر القطع به احياناً لكونه بغاية
 الخطر وذلك بقرب البحر وقيل بسبب موقعة عظيمة جرت هناك قتل بها
 عدد ليس بقليل

السادس نهر بيروت وهو مركب من نهيرين صغيرين أحدهما مخرجة بقرب قرنتي ترشيش وككر سلوان والثاني بقرب فالوغا وحمانا من منطقة المن ومنبعهما مع نبع بين صخرين ويجري في وادي تحت دبر القاعة يسمى نبع النصير وهو يمر في شرقي مدينة بيروت وله جسر طويل بقرب البحر ذو سبع قناطر وهو يجري الى جهة الغرب ثم يرتد الى الشمال حتى يصب في خليج مار جرجس بقرب المدينة في بحر الروم وطوله يبلغ ثلاثة فراسخ وميلاً واحداً ويبعد عن نهر انطلياس مسافة فرسخ

السابع نهر الدامور اي الخرب وهو نهر كبير مجتمع من نهيرات صغار أحدها الغابون يخرج من نبع بقرب بعمدون يسمى نبع بجشتيه والثاني الصفا مخرجة من مكان بقرب عين زحلنا ومنه جر الأمير بشير عمر الشهابي قناة الى بتدين ثم يضاف اليه ماء نبع خارج من كهف هناك يقال له نبع القاع ويأتيه ماء آخر من نبع عين داره وتجتمع ايضاً اليه عيون ومناهل آخر فيصير نهراً كبيراً يجري في وادي لجهة الغرب الجنوبي ويصب في بحر الروم بالقرب من قرية المعلقه اني تنسب اليه وكان له جسران الاول في وادي التي بين دبر القمر وعبيه ويسى جسر القاضي نسبة لبانيه احد قضاة عين كسور من بني تنوخ من ولاية جبل لبنان الدور قديماً ولم يزل قائماً الى يومنا الحاضر والثاني بقرب البحر ويسى جسر الدامور بناء الأمير بشير الشهابي سنة ١٢٢٠ هجرية فهدمته المياه ولم يزل حجارته ملقاة في مجراه كالصخور العظيمة وقد وضع له اخيراً حضرة صاحب الدواة فرانتو باشا منصرف جبل لبنان السابق جسراً من حديد وطول هذا النهر من مخرجه الاول الى مصبه اثنان وعشرون ميلاً وبين نهير بيروت مسافة عشرة اميال

الثامن نهر الاولى وهو نهر كبير اصله ماء نبع قوي يقال له نبع الباروك في مقاطعة العرقوب من لبنان يجري الى الجنوب الغربي ثم يرتد الى الغرب ويصب في بحر الروم قرب مدينة صيدا وتتفرع من اعلاه قناة الى صيدا فتستقي منها اهالي

البلد وبساتينها واما طوله فتلاثون ميلاً وبين نهر الدامور عشرة اميال
 التاسع وهو الاخير نهر الناسية ويقال له الالبطاني ايضاً وهو نهر كبير
 مخرجه بالقرب من بعلبك ومجراه في شرقي سهل البقاع الى ان ينفذ بين جبل
 لبنان وجبل الشيخ وهناك تضاف اليه مياه نهر البرذوني ومياه نهر اخر يقال
 له نهر يحنوفة ونهر عنجر من جهة الجبل الشرقي ويمر تحت قلعة الشقيف ويصب
 في بحر الروم بالقرب من صور وهناك يعرف بنهر الناسية وهو اكبر انهر جبل
 لبنان كما يستبين من طوله البالغ خمسين ميلاً وذلك من مخرجه الى مصبه. انتهى
 قد ذكرنا ان جبل لبنان ينقسم الى معامنين فالمعاملة الاولى معاملة طرابلس
 ويوجد بها ثمان مقاطعات الاولى مقاطعة الزاوية وهي ما بين النهر والجبل وهي
 من نهر البارد وموقعه شمالي طرابلس الى نهر ابي علي وسكانها نصارى وقراها
 المشهورة عرجس واردة وكفرزينا وداريا وكفرياشيت وكفرحور ويوجد
 بهذه المقاطعة جبل يسمى جبل تربل

الثانية الكورة وهي قسمان هلبا وسفلى فالعابا سكانها نصارى وقراها المشهورة
 اميون وهي القاعدة وسكانها روم ارتودكس وهي مركز مشايخ بني العازار وفيها
 يوجد مدفن موريق قائد جيش يوسنيانيوس الملك الاخرم الذي قتل في
 حرب المردة كما ذكرنا ومن قراها المشهورة ايضاً كسبا وكفرحزير ودبر بعشتر
 وبنزنا وقرى البكاليك. اما القسم الثاني السفلي فاشهر قراه النخلة والتلوف
 والحارة والبلند وفيها دبر عظيم للروم وهو على مسافة ساعة من القرية المذكورة
 الثالثة القويطع وحدودها من اسفل نهر المصفور الى نهر الجوز واشهر قراها
 طعبوره ووجه الحجر ورأس نحاش حيثما تسكن امراء الاكراد الفقراء وانفي وشكي
 والهرى والسكان اسلام وروم وموارنة وفيها الامراء الايوبيون

الرابعة جبة بشرّة وهي الى جنوبي طرابلس فوق الكورة والى الجنوب
 الشرقي منها وهي في سفح الجبل الشرقي وفي اسفلها توجد مقاطعة الزاوية وفي اعلاها
 يوجد ارض لبنان المشهور وعرضها من الضنية الى ثنورين وقاعدتها بشرّة وسكانها

مزارنة ودوم مع قليل من المتاولة وقراها المشهورة اهدن وزغرتة ووادي قاديش ثم حصرون وحديث وعين طورين والحديث ودبر قانوبين باسفل وادي عميق ودبر قزحيا في مكان اخر وغير ذلك مما يفوق عن ٢٢ قرية

الخامسة بلاد البترون وهي من نهر الجوز الى مسيل الماء وتنورين الذي يقال له المدفون الذي يبعد مسافة فرسخ واحد عن البترون الى الجنوب عرضاً وطولاً من ساحل البحر الى سطح الجبل وقاعدتها مدينة البترون ويوجد بشالي هذه المدينة نهر الجوز حيثما توجد قلعة المصلحة وسكانها نصارى ومتاولة واشهر قراها عبرين ودوما ويقسميا وسورات واسيا وتنورين وحردين وبشتودار وكفرحي وغيره وفي سهل هذه المقاطعة بنيت النتن الذي قلما تأتي بمثل غيرهُ من الاراضي نظراً لسلامته

السادسة بلاد جبيل وهي من نهر المدفون الى الفيدار الواقع جنوبي مدينة جبيل ومن البحر الى سطح الجبل وسكانها نصارى الا وادي طلمات فسكانها متاولة ويوجد في هذه المقاطعة النبع الجيد واشهر قراها عامشيت وبها كثير من التجار وغرزوز والبربارة والمنصف وبنغاز والكفور وغيرهُ من القرى المشهورة في ملك النواحي كحبالين وحافل وجاج والعاقورة

السابعة المنيطرة ومن قراها المنيطرة وميروبا والعاقورة

الثامنة مقاطعة الفتوح وهي الى جنوبي بلاد جبيل وحدودها من نهر ابراهيم الى وادي المعاملتين الى مسافة نحو خمسة اميال. واغلب سكانها مزارنة وبها قليل من المتاولة واشهر قراها البوار وطبرجا والثنية والى شرقها جبل شبرمخ اما معاملة صيدا فتبتدي من جسر المعاملتين وتنتهي الى نهر الاولى بالقرب من صيدا اما مقاطعاتها فهي ست عشرة وهي اكبر من المعاملة الاولى وبها عدد كبير من السكان وبها مركز حكومة الجبل

فالاولى كسروان قيل سبب تسميتها هكذا نسبة لامير من المردة كان يسكن بسكنها يدعى بكسرى سميت قديماً بالعاصية نظراً لتعسر المرور عليها

لصعوبة مسالكها وشيخ جبالها ويدخل البحر فيها وبها ما ينف عن اربعين
 قرية وكنها موارنة سوى زوق ميكايل فسكانه روم كاثوليك ومساكنهم على
 الاغاب بنو الخازن ولها قاعدتان الاولى زوق ميكايل المانوه عنه انبا وهي بلدة
 تجارية كان يقطنها قديماً امرأه التركان في زمن السلطان سليم الذي اقامهم
 للمحافظة عليها خوفاً من اذارة الافرنج دليها ثانية. والاخرى غزير وكانت قاعدة
 البلاد في ايام الامراء التركان وهم بنو المساف واما الامراء بني سنا ايضا
 ويوجد بها مدرسة شريفة للاباء السوعيين وفيها مركز المشايخ بني حبيش.
 واما قرأها الكبيرة فاشتهرت بالجدة ودليها وساحل دليها ثم الندير وغسطا
 وعشتوت وهي موالد غبطة البطرك بولس من بطريرك الموارنة ثم زوق ميكايل
 وعباتون وكفر ذبيان ووجد بها من الثرى الصغار ما ينف عن ست وعشرين
 قرية ككفر حباب وصاف وصاريا ويطحا وجراب ويوجد في ادلاها حصن
 قديم خرب ورسم قامة قديمة خربت ايضا ثم فاريا التي يجري في شرقها نبع
 العسل احد مخرجي نهر الكلب الذي يصب في نهره وهو اذنب ماء الجبل ثم
 عين طورا وبها مدرسة كبيرة لربان العازرية اشتهرت اشتهاراً فائقاً بامام
 اللغات وظهر منها عدة معلمين شهدت بهم البلغة بتدعيمهم وشبابهم
 الثانية الناطع وحدودها من نهر الكلب الى نهر انطلياس عرضاً وطولاً
 من البحر الى شوبا وهي جزء من مقاطعة كسروان فصارت عنها بامر الامير حيدر
 الشهابي سنة ١٢١٢ وجعلت مقاطعة مستقلة وسكانها موارنة وقبائل من الروم
 الكاثوليك وقاعدتها بيت شباب وبكفيا وبحر صاف وهناك اثار قلعة عظيمة
 قديمة من ابناء المردة ثم زوق الخراب وحارة البلاتة والياسة وعين الخروبة
 وغير ذلك من الثرى الكثيرة

الثالثة المتن وحدودها عرضاً من نهر انطلياس الى نهر يدروت وطولاً
 من البحر الى سطح الجبل وسكانها دروز ونصارى وقبائل من المناولة والاسلام
 وفيها نحو اربعين قرية كبار ومثلاً صغار غير ان المشهور من الكبار المئين

وهي القاعدة وبكفيا وصلبا وبسكتا وعين الثبور وكفر عقاب والشوير حيثما
يوجد دير كبير للروم الكاثوليك ويوجد به مطبعة قديمة ثم عين السنديانة
وعين طورا وبرمانا وبيت مري وقرنايل وهناك يوجد معدن فحم حجرى
وفالوفا وحمانا وهاربا. والفري المشهورة من الصغار المروج وعين البجصاصا
وعين المنصاف وعين سعادة الخ

الرابعة ساحل بيروت وهي من نهر بيروت الى عبر نهر القدير عرضاً
وطولاً من البحر الى ارض القنل وبها نحو خمس عشرة قرية وهي مركز الامراء
آل شهاب فمنها الحدث والحارة وبعيدا واللايزة ووادي شعور وكفر شيما
التي منها العالم العلامة الشيخ ناصيف البازجي ثم حارة حريك وغيرها من
الفري واما سكانها فنصارى على الغالب

الخامسة الغرب الاسفل وحدودها من الشويفات الى طريق دير القمر
وقاعدة هذه المقاطعة الشويفات ويوجد على شمالها غابة زيتون كبيرة متمعة
نسى بالصحرى ليس لها نظير تقريباً في جميع الاقطار العربية يبلغ غبظها نحو
فارسين ثم بشامون وعين عنوب ودير قبول وسرحمور وعين كسور والنساقين
اما سكانه فدروز ونصارى

السادسة الغرب الاعلى وحدوده من طريق دير القمر الى عاليه الى نهر
الغابون وقاعدته عينات ثم عاليه وبيصور وشلال وعيناب ودفون ومجدايا
ويمكين وبسوس وسوق الغرب وبناذون وحومال وسكانه دروز ونصارى
وهو بغابة الشراحة يعد من انزه جبل لبنان

السابعة الشخار وطولها من الدامور الى جسر القاضي وسكانها دروز ونصارى
وقاعدتها عبيه وفيها مدرسة علوم مشهورة للامركان وعلى المطير بشرقيها اثار
قلعة يظن انها من بناء الصليبيين ثم البنية وكفرمتى ودقون والبوم وبها يصنع
اجود البارود اللبناني ثم بعورته والمعلقة والدامور وعين درافيل والناعمه
الثامنة الجرد وهي اخر حد الغرب الاعلى اي من نهر الغابون الى نهر الصفا

عرضاً وطولاً الى المدير وسكانها نصارى ودرروز وقاعدتها بتاتر ثم بمجدون
والرويسة والدوير وشوريت وشارون وبدغان ورشميا وعين تراز وقد انشا
فيها حديثاً غبطة غريغوريوس بطريرك الروم الكاثوليك مدرسة

التاسعة المناصف وحدودها من جسر القاضي الى وادي بيت الدين وسكانها
نصارى ودرروز وقاعدتها دير القمر وهي شهيرة بعمل الحرير والقري المشهورة
بشتمين وكفر قطرا ودير بابا ثم بيت الدين وهي الان مركز حكومة جبل لبنان
في مدة الصيف ومقام المنصرف ايضاً واليهما جاب الامير بشير الشهابي الماء من
نبع القاعة عن بعد مسافة ثلاث ساعات

العاشرة العرقوب وسكانها درروز ونصارى وهي من المعاصر الى حدود
قلعة قب الياس طولاً ومن شوية الى سطح جبل الباروك عرضاً وتنقسم الى قسمين
احدها العرقوب الاعلى وقاعدته قرية عين زحلنا وبها يسكن المشايخ ال عيـد
الذين كانوا مفاتيحية ذلك القسم قبل نظام الجبل الحالي ثم اغميد والورهانية
وكفرا والنسم الثاني اي الجنوبي قاعدته قرية الباروك وبها يسكن المشايخ العمادية
الذين كانوا مفاتيحية ذلك القسم قبل النظام ايضاً ومنها الشيخ ناصر الدين عماد
الذي قتل بوقعة وادي بكا اشجار به عساكر مصر ثم الفريديس وشلون وعين
وزين وكفر نبرخ وبها مساكن بعض المشايخ العمادية ثم عيت عزيمه والنواره
وبرج والجمايل واليرري وميدل معوش وشوية وكفرنيس وشمشين وبودين
وعين داره

الحادية عشرة الشوف وسكانها درروز ونصارى وحدودها من المعاصر
حتى جزين طولاً ومن وادي بيت الدين الى سطح الجبل عرضاً وهي تنقسم الى
قسمين الشوف الحثي والشوف السويجاني والفاصل بينهما مجرى نهر الباروك
فقاعدة الاولى قرية الختارة وبها دارا الشيخ بشير جنبلاط المشهورة وخلافه من
عائلة جنبلاط الذين الذين كانوا يتولونه قبل النظام ثم بطما ومعاصر النجار
ومرسته وبعدران وبها مسكن بعض الجبلاطين ثم نيجا وهناك توجد قلعة نيجا

المشورة وبائر وبها المشايخ بنو حمدان ثم حارة جندل وعين ماطور وعين قنية. والشوف السويجاني وقاعدته قرية بعقلين وهي مركز قائمقامية قضاء الشوف وعين بال وغربه وبيفون والمزرعة والكاونه والجديدة والسفانية

الثانية عشرة اقليم جزين وحدودها من الشوف الحبيثي الى حدود جبل الريحان وقاعدته جزين ثم وادي جزين وبكاسين وقيتولة وبسري وهي قديمة وروم وعازور وقطين وغيرها من النرى الكثيرة واما سكانه فهو اربعة

الثالثة عشرة الشوف البياضي وموقعها غربي البقاع وسكانها اسلام وانصاري وقاعدتها زحلة وهي مدينة البقاع بها مخازن وحواصل كثيرة واكثر سكانها روم كاتوايك يرفيها النهر البرذوني وبعدها وادي العرايش والمعلة ومكسة وقب الياس حيث يوجد في اعلاها اثار قلعة وبوسطها نهر يجري والمضيق والخربة وسغبين وهي الاثني عشر بعد زحلة من باقي القرى ثم عين التينة

الرابعة عشرة اقليم التفاح واشهر قراه البراميه والبرغوتيه وكفر جره والحسانية والصالحية وجون وكرخا وبرتي وايما وسكانها مسلمون وانصاري

الخامسة عشرة اقليم الخروب قاعدتها شعيم وسباين وحصروث وجون والمنثيه والوردانية وداريا والريميله وعلمان والزعروريه والزيتونيه وبرجا التي يوجد بها اجرد الزيت وسكانها نصاري ومسلمون

السادسة عشرة جبل الريحان وهو اخر هذه المعاملة وقاعدته الريحان ثم ميدون والوردية والموبزة والدمشقيه والعيشيه وقرية وعرمنا والزغرين وقروح والوازعه وبقيرة وشبيل والوزد والصورة والجرمق وسكانه نصاري ومسلمون وهذا الجبل كان حسب النصوص الدينية مشهورا في الزمن القديم وسكانه كانوا من الطوائف الخويين والجباليين ثم خصصه يشوع بن نون لسيط اشير وبزمن حكم اليهود نساط على بعض الفينيقيون وما وجد في هذا الجبل من الاثار الشهيرة يستدل على ان امما كثيرة تداولته ففي جبل الشوف وجد صنم مصري وصنم اشوري ونقود مصرية وعربية وغيرها وفي جهات مختلفة منه توجد

اثار رومانية ورسوم واعمدية واخفية وكان سكانه كثيرًا يسعفون قياصرة الروم
لدى حدوث حرب الامر الذي يترجم عن عظم اقتدارهم وسطوتهم السالفة
وحينما رفضوا ان يسعفوا الامبراطور يوسنبنيانوس قبصر في محاربتهم مع العرب
جرّد المشار اليه عسكريًا المحاربين فانتصروا وفازوا بالغلبة عليه وقتلوا قواده ومنذ
ذاك الحين تسبوا مرّة وكان ذلك سنة ٦٩٤م وكان ابتداء ولايتهم سنة ٦٠٠م
وفي سنة ٨٢٠م وافى من اطراف البلاد العربية الامير تنوخ الملقب بالمنذر وتوطن
مع قبائله بنو احي لبنان وبنى وسكن فيها وكان هذا الامير متوليًا امور الحكم
بينهم فخلعه بنوه الى سنة ٦٣٢م اذ انقضت السلالة التنوخية وكان في سنة ١١٢
قد جاء الامير معن الابوي وتزل في بعقلين ولفرط مودته مع ال تنوخ انفراد
بولاية الشوف واستمر اميرًا مدة ٢٠ سنة الى ان داركنه الوفاة فاستمر الحكم بيد
سلالة بني معن الى سنة ١٦٩٧ فتولى اذ ذاك الامراء ال شهاب المشهورون
بالجود والكرم ومعهم كانوا خاضعين لولاة اباله صيدا المنصبية من طرف
الدولة العلية كان امر نصب وعزل متوطني الاقليم منوطًا بهم ومن حاز الدرجة
العظمى من الافتخار بين هذه العائلة الامير بشير الشهابي الذي يضرب المثل بما
اشتهر به والذي اسبب سوء تصرف ابن عمه الامير يوسف تناول امر ادارة
الاحكام في سن ٢٢ وفي حاكمًا حتى سنة ١٨٤٠م اذ قبضت الدولة العلية على
الاحكام السوربة فذهب اذ ذاك مع من يلوذ به الى جزيرة مالطة اذ لم يرتض
بالسليم ومن هناك حضر الى دار السعادة وتوفي فيها واستلم ادارة الاحكام
مقامه الامير بشير الثاني الذي لسوء التصرف وعدم ادارته لم يكن محبوبًا من
الاهالي الذين حاصروه في دير النهر واما قتلته الى ان حضر بامر مشير بيروت
السيد عبد الفتاح اغا حماده واخرجه وحضر به لبيروت وانقضت اذ ذاك
احكام الامراء ال شهاب واسبب عدم الاتفاق بين الدروز والنصارى بالجميل
المذكور اقامت الدولة فائمة نصرانيًا على انصارى القسم الشمالي وقائمة
دروزيًا على الدروز بالقسم الجنوبي الى ان التفت الصغيرة والاحتفارات الهادرة

من كل من الطرفين ضد الآخر احدثت تلك الحرب الاهلية المعروفة بمحادثة سنة ١٨٦٠ او اذ كان قد حصل كثير من التعدي وبسبب ذلك ارسلت دولة فرنسا ١٠٠٠٠ جندي لمنع التعدي وتخميد النار وذلك برضى الدولة العلية وهكذا باقى الدول الاجنبية فمنهم من ارسل بوارج حربية ومنهم من ارسل نواباً واما الباب العالي فارسل فواد باشا الشير بالادارة والتدبير كي يهدد الامور ويقاص المذنبين وغلب اجراء ما لزم اجرائه استخضمت الدولة العلية بالافاق مع الدول الاجنبية ان تتحول احكام الجبل لتصرف من غير اهاليه نصراني يتخابر الباب العالي راساً بما ينوط في امور الاحكام فتوجهت اذ ذاك المتصرفية لعهدة صاحب الدولة واللياقة داود باشا فاقام بحق شروط مامورينو مدة ست سنوات وبزمانه حدثت الفتنة التي نسبت رياستها لايوسف بك كرم واستمرت مدة ١٢ شهراً فاضطر اخيراً للتسليم عن يد فرنسا وصار اخراجه من البلاد فساد بالبلاد الاوربية فجاز على درجة من الاعتبار الكامل واخيراً رجع باذن الدولة العلية الى دار السعادة وهناك تواجه مع صاحب الابهة والدولة محمد رشدي باشا شراواني زاده الذي كان متبوعاً مسند الصدارة العظمى حينئذ ومع صاحب الدولة راشد باشا وزير الامور الخارجية وكان مرعي المخاطر عند اغلب وزراء الباب العالي الى ان اخيراً ترتب له معاش غرش شهرياً ومكث في اسلامبول ولم يزل فيها

وبعد الفتنة المذكورة رجع داود باشا الى اسلامبول حيثما توجهت عليه فيما بعد وزارة النافمة وارسل مقامه صاحب الدولة نصري فراتقو باشا الذي لم يحدث بزمانه شيء مهم نظراً للسياسة بل دام جبل لبنان راتعاً في جنان الامن والراحة الى ان توفي المشار اليه في اوائل سنة ١٨٧٢ او دفن في الحازمية باطراف الجبل لجهة بيروت وبنت له حكومة جبل لبنان ضرباً متقناً واذ ذاك ارسلت الدولة العلية عوضاً عنه سفيرها في بطرسبرج عاصمة بلاد المسكوب دواتلي رستم باشا ايضاً الى المجلس مشهوداً بحسن السيرة والسياسة ولم يزل بها يدبر

الأمور والأحكام على أحسن أسلوب

بلاد الشقيف

هي اسم لمنطقة أو قضاء وتبعد عن صيدا ٦ ساعات منها النباطة عدد سكانها ٦٠٠ وبيوتها ١٥٠ وبها حارتان حارة للنصارى وأخرى للشيعة ، في كل يوم اثنين يصير بها سوق يجتمعون به الناس وموتعة بأول المدينة ويسمونه سوق الاثنين يأتيه التجار من أغلب الأقطار القريبة له وعدد دكاكينها من ٢٢ الى ٢٥ ونصف البلد بحارة الشيعة يوجد جامع للصلاة وبجارة النصارى يوجد كنيسة بها خوري واحد وأهلها مغرمون بركوب الخيل منهم حسن بك النضل وهو من أبناء العشائر وفي داره منزل لثري الضيوف وكان ذلك جاريًا من أيام والده الشيخ فضل الحسن الذي كان حاكمًا بها وفيها عين ماء تبعد عنها أربع دقائق ومن ناحية الشمال منيرة الشيعة ذات فسحة وعمارها من حجارة وطين وغالب عمارها بلا ترتيب وبها سراي للحكومة وبها عالم فاضل اسمه عبد الله نعمه وهو ذر مقام عند الشيعة ومن نظمه اذ ارسل اليه احد الشعراء قصيدة مطلعها

أما بلاد الشقيف فهي شرحة المنظر جيدة الهواء والتربة وموقعها بين نهر الزهراني شمالاً والفاسمية جنوباً وفيها توجد قلعة مشهورة تدعى قلعة بلاد الشقيف وهي شاهقة البناء ومن تحت القلعة المذكورة تجري مياه النهر البهائي وقد تقدم الكلام عنها فعليك بالمراجعة وهذه البلاد قلما ذكرت في كتب المؤرخين نظراً لعدم أهميتها وتوحش أهلها

أما بلاد بشاره فتوقعها في جنوب شرقي صور وأكثر سكانها متاولاة وقاعدتها نينين وفيها القلعة التي حسبنا أخبر بعضهم ان الذي بناها هو هو سنة ١١٠٧ وبعد موقعة حطين في سنة ١١٨٧ استولى على هذه القلعة الملك صلاح الدين الأيوبي ومن قرى هذه البلاد بنت جبيل والطيبه والزربية وبديان

وقانا ومونين وفيها قلعة عظيمة كانت مشهورة في سالف الازمان غير انها الان في حيز الدمار والمشايخ من بني علي الصغير يتولون احكام هذه البلاد وعشائرهم المناكرة والجندرية والصعبية ويتبع بلاد بشاره مرج عيون وموقعها بين بلاد بشاره وبلاد وادي التيم عن يسار نهر اللباني الفاصل بينها وبين بلاد الشنيف وبلاد مرج عيون جيدة الهواء والتربة معاً شرحة المنظر خصبة الارض ومن قراها ابل الفصح والمطلنة وكندر كلّي والقلبعة وفيها يوجد اشهى واشهر انواع البطيخ والذّة طعمها والجديدة وهي جيدة الهواء وقاعدة هاتيك البلاد وفيها الذره وفيها اجود السمن وهي على مسافة ساعتين تقريباً من حاصبيا والخيم وابل الهلوى وهي شرحة جداً وهو اؤها قوي حتى في زمن الصيف

فلسطين

ما من مسمي يسمع اسم فلسطين الا ويتنفس متذكراً بما اودعه لنا الشعوب الذين قطنوا هذا الاقليم في غابر الزمن فان كل حجر يدهو رمز عن قدرة العناية وافعالها العجيبة وكل دمار يشير الى رزايا ومعاصي اهلها اذ كان ذلك لهم اعظم ثواب فيتردد في قلب كل منا ذكر العبرانيين ذلك النسل الشهير ويصبوا الى تلاوة اخباره وحوادث ما قد الم به من لا يرغب ان ينظر امكنة كانت بها تظهر للمعيان تلك العناية التي بيدها القادرة تدبر الامور وتفي المالك في حيز الوجود فبالغة فلسطين يجب ان نفهم حسب المؤرخين القدماء جميع المدن التي سكنتها في الزمن السالف بنو اسرائيل فكانت تمتد ما بين ٣١ و ٣٤ درجة من العرض الشمالي وما بين ٣٢ و ٣٥ من الطول الشرقي والقدّيس (جه روم) اشهر من ساح الى فلسطين قال في احدى رسالاته بان حدود فلسطين من الشمال الى الجنوب لم تكن تبلغ اكثر من ١٦٠ ميلاً رومياً وهذا يقارب ٥٥ مرحلة واسم فلسطين مشتق من العبرانية من كلمة (بلاه تدت) وما كان يطلق اذ ذاك سوى على البلاد التي مركزها في ناحية الشمال الغربي

واشهر اسم لهذا الاقليم هو ارض كنعان كان يطابق على ما بين الاردن ومصر
 الروم غير انه كان يعم فينيقية وفلسطين حتى ان هذا الاسم وجد منشوفاً على
 سكة عملة فينيقية وبذلك اخبر القديس اغسطس ومنذ دخول العبرانيين
 اليها اخذت ان تطلق باسماء مستجدة فسمها ارض العبرانيين وارض اسرائيل
 وغرب سبي بابل تلتفت باليهودية ونوه عن ذلك في توارخ الرومانيين وفي
 العهد الجديد قد دعيت بارض الموعد. واما تحديد حدود فلسطين فمن
 اصعب الامور لانه لم يكن بمحض جيل الا وتغير حدودها يد المورخين او
 نقاب تديرها يد الافتتاحات وشن الغارات ففي سفر التكوين ص ١٠ ع ١٩
 يقال ان ارض كنعان كانت ممتدة من صيدا حتى غزة وممتدة شمالاً حتى سدوم
 وعمورة وشرقاً حتى لازا وكاليد هو الكائنة جنوب شرقي بحيرة لوط ونظراً
 الى حدودها من جهة الشرق فكانت محدودة بنواحي الاردن غير ان حدود
 ارض اسرائيل ليست هي ذاتها حدود ارض كنعان القديمة وانه بعد الفحص
 والتدقيق نقول ان حدود فلسطين القديمة حسب اصحابها في هذه * ان فلسطين
 كانت تمتد شرقاً حتى الصحراء نواحي الفرات ومدينة تاسيا كيس في اخر ومنتهى
 حد فلسطين من ناحية الشمال الشرقي وشمالاً تمتد فلسطين حتى انهار يلبان
 وملفات صور والشام وحدها الغربي هو بحر الروم حتى مصب مسيل مصر
 ووادي العريش وجنوباً من العريش حتى جنوبي بحيرة لوط. والمسطين هذه
 التي قد اتينا بذكر حدودها تقسم الى قسمين الاول لناحية الشرق والاخر
 للناحية الغربية من الاردن وقبل دخول العبرانيين اليها كانت تقسم لاقسام
 شتى صغيرة مدعوة ارض كنعان باسم الشعب الناطق بها والعبرانيون قد قسموا
 فلسطين الى اثني عشر قسماً حسب عدد الاسباط وفي زمن رحبعام بن سليمان
 افترق عشرة اسباط عن العائلة الداودية واذ ذاك قسمت الى قسمين بلاد
 يهوذا وبلاد اسرائيل ومنذ زمن المكابيين حتى خراب اورشليم من جنود
 بطرس قسم المورخون فلسطين الى اربعة اقسام وهي الجليل والسامرة واليهودية

وعبر الاردن الكائنة شرقية وهذا هو التقسيم المشهور عند اشهر المؤرخين
بوليتدي بالجليل فنقول

الجليل

ان هذا الاسم مشتق من اللغة العبرانية من لفظة كاليل او كايلا التي
تفسيرها محور شاسع وهذا الاسم قد ذكر في سفر يشوع وان سليمان عليه السلام
قد وهب حيرام ملك صور عشرين مدينة من مدن الجليل وحيث لايس
البنينيون فقط تواردوا للسكن في تلك النواحي بل قسم وافر من الاغراب
وولاية الجليل كانت في الزمن السالف ذات اتساع شاسع اذ كان يحدها
شمالاً انطليمان وشرقاً الاردن وطبريا وغرباً قسم فينيقي كان ممثلاً من حدود
صور حتى جبل الكرمل وجنوباً قسم من الكرمل ومن هذا التحديد يتضح جلياً
ان الجليل كان يعم جبال نفتاليم وسهل بزرعيل او زرعين وحيثما كان ملتقى
الجبال بالكرمل كان يتكون ممر الذي جواره قرضون والذي بواسطته سكان
الاقليم امدوا علاقاتهم مع النواحي الفينيقية وان الجليل كانت اصغر من
اليهودية ولكن اكبر من السامرة فطولها من الشمال للجنوب كان يبلغ نحو عشرين
مرحلة وعرضها من الغرب للشرق من التسعة الى الاحدى عشرة مرحلة غير ان
سكانها كانوا ذوي سطوة نظراً لخصب ارضهم وعوضاً عن ذلك كانت
بسالتهم مشهورة لدى القبائل وحينما اشتمر حرب الرومانيين عليهم جمع منهم
يوسيفوس المؤرخ المشهور مائة الف محارب

(دان) قد دعيت هكذا نسبة الى نسل دان الذي افتتحها وقد نوه عنها
في الكتاب كعهد للاقليم ومركزها الى الناحية الشمالية من فلسطين وكانت تدعى
ليسكل وحسبما نص ازوب احد المؤرخين انما تبعد مسافة اربعة اميال رومانية
عن غربي بانياس وفي زمن القديس جه روم كان يوجد قرية تدعى دان في
تلك النواحي

(قدس) هذه المدينة كانت شهيرة وكان مركزها بالقرب من بانياس على حدود تخوم صور وحسبما نص احدثهم انها كانت تبعد عن صور عشرين ميلاً والان ليس لها أهمية مطلقاً

(جنسبارة) تدعى البحيرة المجاورة لها بهذا الاسم ايضاً وكان لاشك مركزها في النخل الذي يصب في هذه البحيرة وقد نوه عن هذا النخل في الكتاب المقدس وعلى مسافة ميلين كانت كفرناحوم هذه التي مع كونها لم تذكر في العهد العتيق قد نوه عنها في مواضع عديدة من الانجيل والسيد المسيح كان جعلها سكناً له وكان يقيم بها مراراً في مدة الثلاث سنوات التي طوّاها مع الناس راشداً وكان يعظ في مجمع هذه المدينة ويصنع بها معجزاته (وبونيفاس) الذي ساح فلسطين في الجيل السادس عشر قال انه نظر دمار كفرناحوم وبوسطها شجرتا نخل وهي مشهورة في زمن الملك شاول الذي له مغارة بالقرب من الزرية

(اقه كسى) توجد في سهل استرالون وبقرتها قد حدثت الموقعة الدموية الهائلة ما بين الفلسطينيين والعبرانيين اذ قتل فيها شاول مع ابنه يوناتان وبالقرب من تخوم صيدون كانت موجودة ايضاً مدينة مدعوة بهذا الاسم غير انها كانت تحت سلطة سبط اخر ومدينتان ايضاً قد اندرست رسومها هناك تذكران المطالع ما حدث بوسطها من المواقع واذا تأملنا في نواحي الجليل نرى انه يوجد بعض مدن منها لم تنفع تحت سلطة العبرانيين في سالف الزمن كالكريب وعكا فان الكريب التي دعاها الرومان اكريبيا هي في جوار عكا على مسافة ثلاث مراحل وقد تقدم الكلام بخصوص عكا

ومنها بلاد صفد التي يقال لها صفت فمن اشهر قراها قدس وهي قادس نفثالي وبالقرب من هذه البلاد اثار قديمة جداً تدل على رسوم ما فعل النور السالف قيل انها من عهد بني اسرائيل واشهر بلادها لابل قاعدتها صفد التي تبعد اربعة فراسخ عن شمال غربي طبريا واما صاحب سورية اذ تكلم عنها في الوجه السابع والاربعين من المجلد الثاني من تاريخه المشهور فقال انها اشتهرت

في زمن الصليبيين وانها احدى المدن الاربع التي كانت تعتبر مقدسة عند
العبرانيين غير انها الان قد فقدت اهميتها وهي ليست سوى على جزء مما كانت
عليه في غابر عصرها . والعالم مونك الشهير قال ان صفدي في شمال شرقي
طابور وانها مذكورة في سفر طوبيا وانها قبل حدوث الزلزلة المتأخرة كان فيها
ما ينبت عن سبعة الاف نفس و ٦٠٠ بيت منها ١٥٠ مختصة بالامة اليهودية
و ١٠٠ بالروم الارثوذكسيين وكان فيها ثلاثمائة عائلة يهودية وحسبما اخبر
بعضهم ان اصل اليهود الذين هم فيها من اوربا من اسبانيا وكان لهم بها مدرسه
شهيره لتربية الحاخامية روسا الديانة وسبعة مجامع او معابد واليهود يعتبرون
اربع مدن مقدسة وهي صيدون وطبريا واورشليم وصفد وابنية هذه المدينة
منتشرة على ثلاثة اقسام وسكانها اغلبيهم حسبما تقدم من الامة الاسرائيلية وفيها
عدد يسير من الاسلام والنصارى وفي اوائل سنة ١١٨٨ تغلب على قلعتها
المشهورة الملك صلاح الدين وفي سنة ١٢٢٠ هدمها الملك المعظم غير انه في
سنة ١٢٤٠ اتفق الافرنج مع اسماعيل ملك الشام واسترجعوها وفي سنة ١٢٦٦
استفتحها بالقوة الجبرية ييرس ملك مصر المشهور . اما المدرسة التي سبق الشرح
عنها فوجدت في صفدي في اوائل الجبل السادس عشر وحسب زعم بعضهم هي
سبب اعتبارها من اليهود لانه بسبب وجودها فيها توارد اليها الناس من اوربا
وافريقية فممنهم بعد ان درس الدروس اللازمة بقي بها حتى توفي فصارت مقر
ومدفن اشهر علمائهم الامر الذي اوجب اعتبارهم اياها وفي سنة ١٨٢٧ حدث فيها
زلزلة ابادت الف نسمة من الاسلام واربعة الاف من اليهود ومن قرى بلاد
صفدي عكبره وميرون وكفر برعم والحبش والرابن الاخير . اما الاراضي التي
موقعها في الناحية الغربية من بحيرة الحولة يقال لها ارض الحيط ومن قراها فرعم
والجعاونة والنياعة والملاحه واما الاماكن الواقعة شرقي النهر فتدعى ارض البثنية
وجسر بنات يعقوب موقعه بيت بحيرة الحولة وبحيرة طبريا . قال الدكتور
كرنيليوس فانديك في جغرافيته وفي معاملته صفدي عدة قبائل من العرب

كعرب الاكراد وعرب العشار وزبيد والسواعيد والصويلات . والى غربي بلاد صفد مقاطعة يقال لها الجبل ومن قراها ترشيحه التي هي مولد الشيخ صالح الترشيحي الشاعر الذي اشتهر بالنصاحة والبلاغة حتى فاق اقرانه وسعسع وغيرها وجميع - كان هذه المقاطعة اسلام ونصارى ودروز

والى الناحية الجنوبية من الجبل مقاطعة ذات اهمية عظيمة وتدعى مقاطعة الشاغور ومركزها ما بين مدينة عكا وطبريا ومن قراها المنصورة والمغارة ومجدل كروم والرامه وكفرغان وغير ذلك من القرى التي كل من ساح في تلك النواحي ودقق في احوالها يتبرهن له ويضح كاتضاح الشمس في رابعة النهار انها عادة كل اهمية

وان تكلمنا عن اهلها نقول انهم اسلام ونصارى ودروز ومن القرى التي حول مدينة عكا البصة والزيب وتدعى حسب ما زعم بعضهم اكزيب وقد تقدم الكلام عنها فعاينك بالمراجعة والشيخ داود وشعب وشفاعمر والجبدل واهلها كما تقدم بالكلام عما سبق اسلام ونصارى ودروز واما كفرناحوم فمع اننا لا نرى لها ذكرا في العهد القديم يتبرهن لنا من مراجعة الكتب المقدسة انها كانت ذات اهمية في غابر الزمن وقد ذكرت بما تقدم فراجع

اما بيت صيدا او محل صيدا فهي في جوار ما تقدم من البلدان وهي مولد الرسولين بطرس واندراوس وبالقرب منها توجد اثار كوروزين التي لم يات بذكرها احد من المؤرخين ولنايين بالكلام عن بلاد الناصرة

بلاد الناصرة

منها (صفوريه) ان هذه البلدة كانت مشتهرة في سالف الزمن وقد اصيبت يوما عاصفة الجليل وغب دمار اورشليم كانت التي عليها حصار نقل اخبرا الى طبريا ومركزها على قمة جبل واما هيرودوس انتيبا يوس الذي اقام عددا وافرًا من الابنية الحصينة فدعاها باسم مخصوص ومع اننا لا نرى ذكرا لها في التوراة

فقد تعرض المورخون ومنهم بوسيفوس المشهور لذكرها في جملة مواضع وحسبها
يظهر من الكتب المتأخرة انها مولد ووطن اقارب مريم العذراء ام السيد المسيح وفي
سنة ثلاثمائة وتسع وثلاثين هدمها الرومان وسبب دمارها كان عصيان
الاهلين على كالموس واما الان فمركزها توجد صفورية وتحتوي على ستائة
نفس واما قانا (او كفر قانا) فمركزها على مسافة فرسخين من جنوب شرقي
(صفورية) وقد اشتهرت واخبرنا الكتاب المقدس بانها كانت المحل
الذي جرت به اول معجزات السيد المسيح حسبما جاء مدونا بالاصحاح الثاني
من انجيل القديس يوحنا وهي الان قرية صغيرة وليس يسكنها سوى
بعض انام من الكاثوليك كثيرا ما زعموا انهم ياتون بالسباح الى المحل الذي
به حوّل السيد المسيح الماء الى خمر وان الامبراطورة (هيلانة) بنت بالزمن
الغابر فيها كنيسة كانت تعد من افخر الابنية واحسنها غير اننا لا نرى الان
سوى اثر دمارها وليس بعيد عن شرقي قانا اذا صعد السائح نحو الاكام التي
يفطيمها عدد وافر من العابق والفرطب يصل الى الناصرة وبالحقيقة انه منظر
يحزن ولناين للكلام عنها فنقول انه ما من مسيحي عالم كان او جاهلا يجهل
هذه المدينة واهميتها في غابر الزمن كان ينتعش عند ذكرها او التذكر بن
اقام بها وما عليها سوى مراجعة العهد الجديد فنرى عظم درجة الاهمية التي
قد انصابت اليها هذه المدينة المشهورة بالاعصر الغابرة وقد كانت محل اقامة
اسباء السيد المسيح وذاك هو من جملة الاسباب التي سببت اشتهارها وكتبها لم
تذكر في العهد القديم ولا بكتاب بوسيفوس المورخ المشهور ولم تكن اذ ذاك
مشهورة وما يبرهن لنا عن ذلك هو ما ورد في الاصحاح الاول من انجيل يوحنا
وهو قول (نشائيل) وهل ممكن ان يخرج من الناصرة شي لا جيد على اننا نرى انها
اشتهرت اخيرا حتى انه نسبة اليها دعي السيد المسيح ناصرياً وتابعوه نصارى
وفي زمن حكم كلود كانت بطلت هذه التسمية واخذ النصارى اسم مسيحيين غير
انه اخيراً تغلب اسم نصارى على كل تابع ديانة السيد المسيح وقد اقامت في البلدة

الامبراطورة هيلانة الكنييسة التي تدعى كنييسة البشارة وكان النبي عليها حصار شديد في زمن الصليبيين وغلب زمن دولة المذكورين كادت تنفع في حيز الدمار والخراب وبعض المؤرخين اخبر وبرهن انها خربت تماماً ولم يبق منها اثر عار على الاطلاق . في اواسط سنة ١٦٢٠ استاذنت جمعية الارمن المقدسة بان تبني كنييسة البشارة التي سبق الكلام عنها وكانت ولم تنزل حتى اواخر الجبل الثامن عشر في تاخر مفرط حتى نهضت بالزمن الحاضر واخذت تستفيق من رقادها وذلك في مدة الشيخ ظاهر الذي كل من يطالع ما اتخفنا به المؤرخ (فولانه) المشهور يتبين له عظم شفقتي على المسيحيين وحسن معاملته اياهم وحينما ساح (فولاني) الاقطار السورية كان ثلثا سكان هذه البلدة مسيحيين ولكن في ظروف سنة ١٨١٢ (بوركهارد) الذي هو من اشهر السياح زار الناصرة فوجد حسبما اخبر مؤرخ فلسطين نحمواثين من الاسلام والف من النصاري واذا طالع المدقق اقول هذا السائح يرى ان لا شيء يستحق الذكر سوى دير الابا الفرنسي سكانيين مع كنييسة البشارة فان فيها من الصناعة ما يجذب تعجب المتأمل وحسبما يتبين ان احد اليهودين الموجودين فيها مكسور عند وسطه ومن المعلوم انه كان فيها بيت السيدة مريم البتول وحسب قول بعضهم انه نقل اخيراً منها وكل يعرف ان اول واشهر كنائس سورية اثنتان الاولى كنييسة القبر المقدس والثانية كنييسة البشارة الموجودة بالناصرة اذ تقدم ذكرها وبالناصرة يوجد بيت يوسف خطيب مريم والابرار المريمية وبالناحية الغربية منها محل الكنييس الذي يوكان يعظ الناس السيد المسيح وفي محل مجاور يوجد الصخر الذي اراد الناصريون ان يرموه من اعلاه فكيف لا يهتز الانسان طرباً لدى سماعه عن وجود كذا محلات جرت بها مواقع شهيرة وفيها طالما سار انام اشتهروا في كل ما به يتشرف العقل البشري ومن ليس بدركة الاسد اذا شاهد او سمع عن وجود كذا اراضي شريفة في حيز الدمار نعم ان ذلك امر موجب غم ومفرط اسف شديد ثم ان من بلاد الناصرة كفر كنا وصفنا به وقد جاء الكلام عنها واكسنا

بام جبل وقانا الجليل وقد ورد ذكرها

بلاد طبرية

ان قاعدة هذه البلاد هي طبرية التي في احدى مدن الجليل الاربعة اذ ذاع
اشتهارها كما سوف يتبرهن لكل من سوف يعين النظر جيداً في مطالعة تاريخها
قال يوسفوس اليهودي ان الدس بنها هو هيرودس ودعاها طبرية
اكراماً واجلالاً للإمبراطور طيباريوس الروماني وحيث ان مركزها في سهل
ضيق محاط من كل ناحية بالجليل كان من الواجب ان تكون بواسطة الفلاحة
والزراعة ام جميع المدن المشهورة بالازهار والاثار وكان فيها مدرسة مشهورة
للاليهود ويهودا النخام المشهور الذي جمع جميع تقاليدات اليهود في كتاب دعاة
المشته كان احد معلمها وكان ذلك في سنة مائتين وعشرين للتاريخ المسيحي وفي
هذه المدرسة وضعت الحركات المستعملة حتى الان في اللغة العبرانية وضبطت
اسفار العهد القديم وهذه البلاد استثنى عنها المسلمون في زمن الخليفة عمر بن
الخطاب سنة ٦٣٧ مسمية ثم انه غلب زمن يسير وقعت تحت سطوة الافرنج
وبقيت بايديهم الى سنة ١١٨٧ فتغلب عليها في ذلك الاوان الملك صلاح
الدين الايوبي الفاتح المشهور ثم استرجعها سنة ١٢٤٠ باتفاق مع ملك دمشق
وبعد ذلك استرجعها ملك مصر سنة ١٢٤٧ وقد هدمت منها جانباً عظيماً
ازالة حدثت في اول سنة ١٨٢٧ وهيرودس كي يشهر البلدة جالب كثيراً من
عبدة الاصنام واليهود اليها واوهمهم مجاناً قسماً وافراً من الاراضي مع كثير من
الامتيازات وبقيت عاصمة الجليل حتى زمن هيرودس اغريبياوس فانه جعل
مركز حكومة العاصمة الاولى وهي صيفورية وقد خضعت من دون حصار
الإمبراطور فاسباسيانوس الروماني فكان ذلك سبباً لتفضيل الرومان اياها على
غيرها وتخصيصها دون الغير بانعام وافرة وغب دمار اورشليم لم يرتض اليهود
مبارحة الارض المقدسة فاستوطن علانهم واعظم حاخامهم بمدينة طبرية

وثابت اذ ذاك بها المدرسة المشهورة وفي زمن قسطنطين بنيت في هذه المدينة كنيسة للطائفة النصرانية وغلب ذلك محاصرت طبرية حصاراً شديداً وفي سنة ٦٣٦ لدى افتتاح العرب اياها صار نفي اليهود والمسيحيين مآماً من طبرية مع انها في زمن الصليبيين كانت مركز الاسقفية وان مدينة طبرية المحاصرة ليست سوى جزء يسير من طبرية القديمة التي حسبما اخبر (بوركهاد) احد السباح المشهورين انها كانت واقعة نحو الشرق خاصة من المدينة الحالية وفي الازمنة المتأخرة كان عدد سكانها اربعة الاف نسمة منهم الف من اليهود اصاهم من اسبانيا وبرباريا وسورية ومنهم اربعون او خمسون عائلة من ولونيا وصائهم مفروق عن البلدة بمخاط ذي باب واحد يقفل لدى الغروب وفيها عدد يسير من النصارى ولم فيها كنيسة يزعمون انها بالخل الذي يد بطرس التي الشبكة ليصطاد السمك ولذلك دعيت كنيسة مار بطرس وفي عيده يأتي اليها الناس لحضور القداس مع كهنة الناصرة وحسبما اخبر مورخ فلسطين ان يهود اورشليم اخبروا ان الزلزلة التي حدثت في اوائل كانون الاول سنة ١٨٣٧ احالة طبرية الخراب والدمار والى جنوب شرقها على ساحل البحر توجد المياه العذبة المعدنية وعاليها الحمام المشهور يغتملون به ويتجاردون اليه من سائر الاقطار خصوصاً في شهر حزيران وخاصة المصابون بالامراض العصبية ويبلغ طول بحيرة طبرية ١٣ ميلاً وعرضها ٦ اميال قال احد مشاهير فرنسا ان هذه المياه شبيهة بمياه (اكس لاشابل) في فرنسا وقد زاد في ابنية هذا الحمام ابراهيم باشا خديوي مصر واصلاح ما كان هدم منه واذا قطع الممر قليلاً من هذا الحمام يصادف بحيرة عظيمة تمنع اليها المياه وتفيض منها جارية الى الاردن وهي ذات امواج واساك قد اظهرت قدماً بالغياض وازدهرت بالرياض وفيها قال الاديب ابو الطيب المنبجي

لولاك لم اترك البحيرة وال غور دفي وماؤها شيم
والوج مثل اغويل مزبدة تهر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحجاب تحسبها فرسان باقى تخونها المجمع
كانها والرياح تضربها جيش وغى هازم ومنهزم
كانها في نهارها قمره حفّ بها من جناتها ظلم
تغنت الطير في جوانبها وجادت الارض حولها الدم
فهي كمارية مطوقة جرّد عنها غشاءها الادم
ومن الاماكن الموجودة في مقاطعة طبرية المجدل والكرك وكفرسيت وعول
وسيرين وخطين ولوييه وبين قرون خطين ولوييه صارت موقعة بين الافرنج
والمسلمين وهي مشهورة بموقعة خطين وكانت طبرية والناصرية في سهم زبلون
من اسباط بني اسرائيل

ولاجل تبين الفائدة نشرح في هذا المواقف ما قد جاء عن بلاد نابلس
في المرأة الرضية اذ قيل واما بلاد نابلس فهي ثمان مقاطعات الاولى من جهة
الشمال مقاطعة جانيث ويقال لها حارثة الشمالية ويتبعها جانب كبير من مرج ابن
طامر ومن قراها جانيث وعرانة وجلبون وهي جلبوع القديمة ونورس وتوصف
بمودة المحنطة وبزرعيل وسولم وهي شولم اولاً ونين وهي ناين ويسان وهي
بتيسان وبرقين وغيرها وكانت هذه المقاطعة جزءاً من سبط يساكر من اسباط
بني اسرائيل

الثانية مقاطعة الحارثة ومن قراها طوباس وسيرس والمجدبة وميثلون
والكفير وغيرها

الثالثة الشعراوية وهي قسان الشعراوية الشرقية والشعراوية الغربية اما
الشرقية فن قراها الفندوميه وسيله والظهير والدير والرامه وفحمه وجميع وسانوع
ذات القلعة المشهورة وهي قلعة متينة على جبل لا يسلك اليها الا من مضيق
حرج عصي فيها الشيخ الجرار في احمد باشا الجزائر وحاصره فيها مراراً وهلك
ن عساكره خلق كثير ولم يقدر عليه وما زالت هذه القلعة نصب عينيه ينتهز
فرصة عاينها حتى مات سنة ١٢١٩ هجرية واستمرت في عنفوانها حتى عصيت

فيها مشايخ تلك البلاد التي كان مقدمها الشيخ قاسم الاحمد فحاصرهم عبد الله باشا واستنجد الامير بشير ابن الامير قاسم ابن الامير عمر شهاب فحضر برجاله واقام على حصارها ايام ثم داسها خيلة مهاجمة وامر عبد الله باشا بهدمها فهدمت وكان ذلك سنة ١٨٣٠ م واما الغربية فبين الشرقية والبحر ومن قراها قاقوز والدبر والمخالد وزيتا وعنبل وغيرها وفي تلك الاراضي نهر ابي زابور ومن الاماكن التي على شاطئ البحر الى جنوبي راس الكرمل عثيث وهي بلدة نائمة فوق ابنية معقودة بالحجارة العظيمة الهائلة وهذه الابنية خالية مظلمة وهناك اثار قلعة قديمة كانت للافرنج والطنطورة وفي دورا القديمة وخرائب قيصرية التي بناها هيرودس الملك ودعاها قيصرية نسبة الى اوغسطس قيصر ويقال لها قيصرية فلسطين تميزا لها عن قيصرية فيلبس التي هي باناس كما مر وكل هذه الاماكن كانت في سهم سبط منسى بن يوسف

الرابعة وادي الشعير ومن قراها بيت امرين وبرقه واجنبس بني اورامين وطول كرم وسبطة وهي سامرة القديمة وعقربة وسيلون وهي شلو مع بيتا وهودلي وسالم وبيت دجن مختصة بالخامسة وهي ايتاوي الى شرقي مدينة نابلس السادسة مقاطعة بني صعب ومن قراها حجة والفندق وعزون وجبلولة ويقال انها الجبلال وكفر سابا وهي انطيفانريس القديمة وحرم علي بن عليم بقرب البحر وارسوف وغيرها وهذه الاماكن كانت في سهم سبط افرايم الاسرائيلي وكان شاطئ سهم سبط وسبط منسى من الطنطورة الى يافا متدا من البحر غربا الى الاردن شرقا واما ما يتايل ذلك الى شرقي الاردن وهو جبل عجلون وجبل الساط او جلعاد فلسبط جاد والى الجنوب منه سهم سبط راوبين

السابعة جورة عمرة ومن قراها بورين ورجيت وبيت ايبا ورافيديه وغيرها الثامنة جورة مرداو من قراها عين ابوس وحوار وعفرقة والدير والسوية وغيرها ولا شك ان كل من يعرف حق المعرفة ان هذه البلاد التي مر ذكرها هي بلاد السامرة وما من مورخ تدر ان يطلع على احوال هذه البلاد وما من سائح بها نال

مراثة بالكتابة عنها حتى قلنا نفدر ان نؤكد مسافة بعد بعض بلدان عن اخرى
هذا وان السامريين ايدت انارهم فلم يبق منهم سوى عدد يسير لا يذكر منهم
بنابلس وسبق الكلام عن اصل هذه الطائفة ومتعلقاتها في فائحة الكتاب فعمليك
بالمراجعة . واذ قد تكلمنا عن مدن نابلس اجمالاً علينا بالكلام عن اشهر مفرداتها
(بيسان) وهي بيت سان وحسبما اخبر بوركهنادد احد السياح المشهورين انها
على مسافة فرسخين من الاردن واربعة من طبرية وفي زمن الملك شاول كانت
هذه المدينة تحت سيطرة الكنعانيين وفي زمن الملك سليمان دخلت تحت سطوة
الebraيين واذ نولى هذه البلاد اليونان دخلت بحكمهم ودعيت (سيثوبوليس)
اي مدينة بيت سان وذلك لزعيمهم ان قوم سان حينما كانت ذاهبة
لنواحي فلسطين سنة ٦٢١ ق م كان اقام ابنة فيها مع انها ترى ان العبرانيين لم
يذكروا مطلقاً هذا الكلام فلا يمكن ان ندخله حيز الثبوت وغيب مرور عدة
قرون ادعى بعضهم ان كلمة (سيثوبوليس) مشتقة من لفظتين احدها عبرانية
والاخرى يونانية وتفسيرها مدينة الخيم وهو غير مثبت ومركزها غربي الاردن
وفي زمن الصليبيين تحصرت حصاراً شديداً لان ليست هي سوى قرية صغيرة
وفيها ٧٠ او ٨٠ بيتاً ويوجد بها خرابات هائلة تجري حولها مياه غزيرة وقد زارها
سياح مشهورون ظالموا اظهروا ناسفاً شديداً على ما قد الم بها

سولم او شولم او سالم

كان مركزها الى جنوبي المدينة السابق ذكرها وهي على مسافة ٢ فرسخ منها
وعلى كل مسيحي ان يتذكر بها وبالاوقات السالفة حيثما كان يوحنا المعمدان
يعبد بمكان قريب منها وحسب القديس (جيه روم) انها هذه سولم ملشيبا صادق
وظن البعض انها مجهولة ومدينة (ابل محولا) وهي في سهل الاردن على مسافة ١٠
اميال رومانية من بيسان التي تقدم الكلام عنها واشتهرت بكونها وطن النبي
(اييلياس)

جنيه و جنين

ان هذه المدينة مركزها على حد جبل افرايم الغربي نواحي سهل زرعين او بزرعيل ومع انها لم تشتهر بالكتب فقد اخبرنا يوسفوس انها كانت حد منتهى حدود السامرة من ناحية الجليل اذ تبعد ٦ او ٧ فراسخ عن السامرة

اسرده لون او اسنواده لا

هذه المدينة تدعى الان زرعين وهي بزرعيل القديمة ملوك اول ص ١٨ ع ٤٦ وتبعد مسافة ٤ فراسخ عن شمال شرقي السامرة وهذه المدينة كانت اشهر واعلم مدن بني اسرائيل ودعي السهل الموجودة فيه سهل بزرعيل او زرعين نسبة اليها والملك اخاب كان بني فيها سراية جميلة وقد أمر بومبا على ايزابل ان ترمي من اعلى شبايكها ملوك ثان ص ٩ ع ٢٣ وفي زمن الصايين لم تكن هذه المدينة سوى مزرعة خنيرة اذ دعيت هكذا من كيايوم ملك صور وقد دعاها زرعين بروشارد وبشرايكات وحسبما اخبرنا شهر مورخي ذلك العصر مبنية في نواحي سهل زرعين او بزرعيل

السامرة او سبطية

هذه المدينة هي حصينة وذات شهرة في التاريخ القديم وبنائها احد ملوك اسرائيل على جبل كان اشتراه من بعضهم وكان مركزها على مسافة ١٦ فرسنگاً من شمالي اورشليم وصارت منذ السنة السابعة من تولي بانها مركز ملوك بني اسرائيل وهدمها شلمنصر ملك اشور ثم جدد بنائها وهدمها اذ ذاك يوحنا المكابي فامر ببنائها كانيوس احد حكام اليونان في سورية وفي زمن هيرودس تدامت على جواد النجاش حتى اشتهرت اشتهاراً كبيراً حسبما اخبر المورخون وتام هيرودس فيها هيكلًا باسم اوغسطوس الملك ودعاها به بسمه كلمة يونانية تفسرها

او غسطوس وكوتواسي الساحح الذي ساح في الجبل السادس عشر اذ وصل اليها لم يوجد فيها سوى اثار دمار مشهور ودارفيو قال انه وجد فيها اثار خراب كنيسة حيثما يزعمون ان في ذلك الدمار يوجد ضريح يوحنا المعمدان وغب زمن طول قال (مانرل) انه لم يجد مكان هذه البلدة سوى اثر دمار لا يذكر غير انه نظر بالناحية الشمالية جنبنة تعقب مربع به صف عواميد (وكلارك) الذي ساح سنة ١٨٠١ لم يجد مطلقاً اثاراً لهذه البلدة واذ ذاك باسف نقول ان لا ذكر لان هذه المدينة ولا اثر على الاطلاق مع انه من الواجب ان نذكر ما تخلفنا به الهمام الفاضل (بوليه) صاحب انقاموس العمومي المشهور اذ قال ان الدامرة او سبطية هي من مدن فلسطين في سبط افرايم على حدود ارض اسرائيل من سبط منسى وكانت بعد نابلس مركز ملوك اسرائيل والعشرة الاسباط ثم اصبحت قاعدة بلاد السامرة وباني هذه البلدة هو (اوره) بناها في سنة ٩١٢ ق م وفي سنة ٦٧٢ تجدد بناؤها وذلك غب ان افتتحها شلنصر سنة ٧١٨ واخذ سكانها حتى نواحي الفرات وافتتحها غب ذلك سنة ٢٠٢ انطيوخوس الاكبر وعندها ظاهراً في سنة ١٢٩ افادخلها كابينوس لحيز الوجود وشيد عمارها وفي زمن هيرودس تقدمت جداً ورجعت الى حالها الاول والسامريون منذ دمار اورشليم اختلطوا بالغرباء وعبدوا الصنم وكانوا يثيرون نيران الوغى بينهم وبين اليهود ولا يرغبون في ان ينظروا اليهم قاطعين كل العلاقات الودادية حتى صار يضرب بمقدم المثل والملك يوستينيانوس اقام فيها خمس كنائس وقد حرقها فيما بعد السمرة وقد حرق في زمن الصليبيين ثم بنيت في سنة ١٢٨٢ وهذه البلدة لم تنزل حتى الان مشهورة ولو يسيراً واما كتب السمرة فمنهكة باحرف قديمة جداً يصعب الحصول عليها والوصول لتفسيرها وحتى الان لم ينزل بعض السمرة موجوداً بنابلس ويمتازون بعائهم البيضاء غير انه قلما يوصل الى كلامهم

سيارون اورشليم

ان هذه المدينة هي من تخوم سبط افرايم حيثما وضع ليشوع اثلاث مظال
اذ كان الهيكل مبنياً الى شرقي نابلس واما الان فبالكد يقدر ان ينفوز السائح
باحد حجارة هذه المدينة وكثيراً ما افرج الكد والجهد من ساح من السباح
المتأخرين حتى يصل الى ادراك معرفة حقيقة المعلومات بها فلم ينفوا على كل
ذلك من اثر طفيف

نابلس

ان نابلس هي مدينة شكيم القديمة كما ذكر في جملة كتب شهيرة وموقع هذه
المدينة بين جبل عيبال وجبل جززيم تكثف فيها المياه ورياضها مشهورة وكثيرة
وقد كانت بالازمن انساني في سبهم سبط منسى الاسرائيلي وهي وطن بعض
السيرة الذين سبق ذكرهم وتوفي بها بالقرن الثاني عشر للهجرة الامام الفاضل
والهام الكامل الشيخ عبد الغني النابلسي المشهور بالتصوف وصناعة الشعر الذي نشأ
في دمشق الشام وفي اشهر واندم مدن الكنعانيين وتبعد فرسخين عن جنوبي
السامرة وكانت في زمن يعقوب تحت سلطة الامبر حور الذي كان له ولد
يدعى شكيم فدعيت البلدة باسمه مع انه قيل انه بانيها ولم يثبت ذلك في كتب
المؤرخين وغلب افتتاح العبرانيين اختصت بسبهم سبط افرايم الاسرائيلي
وصارت معتبرة عندهم حتى اتوا اليها ببقايا يوسف عليه السلام وفي هذه المدينة
اجتمع يشوع مع الاعيان ووعظهم بالارشاد والنصائح وقد هدم القسم الوافر منها
بامر ابيالك وذلك لان اهله كانوا اشهروا ضده الهواة ومنذ ذلك الحين
لم يسمع لها اسم سوى في زمن داود فانه غلب وفاء سليمان اقام جمهور وطني في
هذه البلدة وبسببه صار انقسام العشرة الاسباط واما رجب عام اول ملوك اسرائيل
فعظم وكمل هذه المدينة مزينة اياها وجعلها عاصمة له وفي زمن ملوك الفرس
تحاصرت حصاراً شديداً فبنى السامرة اذ ذاك على جبل جززيم قرب البلدة هيكلآ

ورغب بنائه بما ينيف عن مائتين سنة هدمه وادخله حيز الدمار يوحنا انكلي وفي
 انجيل يوحنا ذكرت هذه المدينة تحت اسم سيكر وبالقرب من المدينة كان
 يوجد بشر يعقوب عليه السلام التي بالقرب منها تحدث السيد المسيح مع السامرة
 التي لا تفتني قصتها على مطالعي الكتاب المقدس والامبراطور فاسبسيانوس عظم
 هذه المملكة حتى انه اقام فيها محكمة رومانية فدعيت (نه يابوايس) واذ ذاك
 لم يعد العرب يلقبونها بهذا الاسم الموحراي شكيم بل مذ مكوها دعوها نابلس
 ولم تنزل حتى الان وفيها اجتمع جمهور من المسيحيين وولد فيها يوستنيانوس
 والامبراطور (زهلون) نفي السهرة من جبل جرزيم ومنجراها واسع واهلها موصوفون
 بشدة الباس وكثيرا ما يتورطون في مارية اخطار الخصام الامر الذي يتعب
 كل من يتنقل مهام امورها وفيها من ابناء العشائر بنو الجرار وبنو طوفان وم
 مشايخ تلك البلاد وفيها عدة مصابن اذ ان من هناك اشهر الصابون ولم تنزل
 تحت سلطة الدولة العلية العثمانية وفي مركز المتصرف بها المنيطة احكامه بامر
 والي ولاية سورية وفي شمالي البلدة قيل انه يوجد قبر يوسف وقد اقام عليه
 المسلمون جامعا

بثل

كانت تدعى في غابر الاعصر (لوز) وحينما اشتهرت سطر اسمها في اشهر
 كتب المؤرخين وغرب ان نظر يعقوب فيها بالحلم ذلك السلم الذي كان ظهر
 انه ملتصق بالساء لقبها باسم (بثل) اي معبد الله وقد اخذها نسل افرايم مع
 انه كن من الواجب ان تخص بسبط بنيامين وكانت هذه المدينة موجودة في
 زمن الرومان والامبراطور فاسبسيانوس حينما افتتحها اقام بها حرسا خصوصا
 وفي زمن القديس جيه روم لم تكن سوى قرية حقيرة فما حتى ان تذكر بكتب
 المؤرخين

هذا وقد ذكرنا ان اليهودية من جملة اقسام فلسطين التي نتكلم الان عنها

أولاً كلاماً عموماً ثم ثاني بالكلام عن مفردات بلادها

اليهودية

ان لفظة اليهودية تستعمل غالباً لتدل على البلاد التي سكنها العبرانيون غير اننا الان نعني بها عن القسم الواقع في غربي الاردن اذ انه يمتد من حدود السامرة حتى بلاد العرب والحد الشمالي التي حسبما اخبر يوسفوس المورخ يصل حتى الاردن تجاه يثوق وحتى الناحية الشرقية يحدها الاردن وبحيرة لوط وشالاً تحدها حدود فلسطين في هذه الحدود وغرباً كان ممتداً حتى بحر الروم مع انه كما قال احد المورخين كان يعم كل البلدان الخارجة عن حد السامرة في ذياك الجوار وللشمال الغربي كان ممتداً حتى الكرك

اما جبال اليهودية فهي ذات ارتفاع يفرق ارتفاع كل جبال السلسلة الغربية واشرقى الرامة كما تقدم المره بالسير ينظر مراتع بها تسر النواظر وتقرأ الخواطر ولا شك انه سوف يأتي باقسام وافرة من تلك الاراضي المعراة عن كل خصب ويستحيل ذياك الفرح لكدر وغم وما من دليل يقدّر ان يقود السياح لتلك الاراضي ولطرق تلك الصخور بيد ان ما يدع هؤلاء السياح ان يبلغوا غاية قصدهم خصوصاً اذا كانوا وافدين من يافا لاورشليم طريق واديين مشهورين ومع ان اليهودية اقل خصباً من غيرها فحسب شهادة يوسفوس المورخ كانت مخصبة بالقمح والاثار والخمر وبالزراعي الشائعة وقد انقسمت الى اثني عشر قسمًا بالزمن القديم غير اننا الان نضرب صفحاً عما انت به الازمان من الاختلافات ونتبع القسم الاوفر من المورخين مبتدئين بالكلام حسب هيئة البلاد الطبيعية من البلدان الواقعة بالسهل الشرقي عن غربي الاردن ثم رويداً رويداً عن كل ما هو مختص ببلدان هذا الاقليم

اريجيا

ان هذه المدينة المدعوة بلدة النخل هي على مسافة فرسيتين من النهر وستة
 من اورشليم وهي من اشهر مدن اليهودية وحسبما يتبين من مطالعة التواريخ
 انها ذات قدمية وان احد السباح المشهورين وهو (فولنابي) قال انها سهل
 يبلغ طوله ستة او سبعة فراسخ وعرضه ثلاثة فراسخ وحولها ترى تلك الجبال
 العادمة الخصب التي تسبب وجود وحدث الحرارة فيها وهذه ارض مدينة
 من مدن الكنعانيين استفتحها الاسرائيليون وان يشوع حينما هدمها لعن كل من
 يحدد او يسبب تجديد عمارها ومع ذلك تراها انها كانت ذات اهمية في زمان النضاة
 حيث انه غلب وفاة عثنيئيل استولى الموابيون عليها كما جاء مدونا في سفر النضاة
 (٢: ١٢) كما انها اشتهرت في زمن داود عليه السلام وحسب كتاب او سفر
 الملوك لم يحدد بناء هذه المدينة سوى في زمن الملك اخاب زاعما من بناها
 ان يشوع عليه السلام كان لعن من يخصصها واذ ذاك مضت برهة فسكن بها
 القديسان الشهيران ايليا واليشع واذ رجع اليهود من بعد سبي بابل صارت بعد
 اورشليم اهم مدن اليهودية وكانت احدى المدن التي امر بتحصينها يونانان القائد
 الملكي . وهيرودس الاول بنى فيها امفيتياترو وقصرا معتبرا وهذا الملك في
 اواخر عمره جعلها مركزا له وفيها توفي وفي زمن حصار اورشليم بحكم الامبراطور
 فاسبسيانوس هدمت فجددها ادريانوس وبموقعها يوجد الان قرية حقيرة بها
 اربعون او خمسون عائلة من الاسلام ولا ينظر اثر لخراب اريجيا الان وقد
 وجد فيها الاب ماريتي السابع اثر عمود يزعم انه من بقايا كنيسة كانت بقرب بيت
 زكا وفي القرن السابع عشر كانوا يجلبون السياح المهيضة التي صعد عليها زكا
 لينظر السيد المسيح وبالجوار توجد مدينة هدمت مع عين ماء قيل ان ماءها
 باعجوبة صارت عذبة وقال شاتوبريان انها على اسفل الجبل الذي صلى وصام
 عليه السيد المسيح مدة اربعين يوما وانها على مسافة ميلين من البلد وحول هذه

البلدة توجد قرى وضياح كثيرة تضرب صمغاً عن ذكرها لعدم اهميتها فان كمل
سابع تلك النواحي مسيره يتصل بتلك الطريق انني تودي من يسير فيها الى
القدس الشريف

أورشليم

من لا يصبو لمعرفة ما تد حدث في هذه المدينة من الحوادث ومن لا
يتعش عند ذكرها ولا شك ان الاسهاب بوصف شرف وقدمية كذا مدينة
شهيرة يكون كفارغ امر والاختصار اولى فاقول انها كما هو معلوم اشرف واقدم
مدن الكرة الارضية ولما نرى او نسمع عن بلقا انها قاست ما قاسته من الاهوال
والتغييرات فكم وكم من المعامع جرت وسطها وكم حصار طرا عليها واعمرى كم وكم
هيئت اطماع اصحاب الهمة لافتنحات ولشن الغارات ولذلك اصبحت تؤثر
بالتنافس المفرط فوادكل من ياتي متاملاً ما قد الم بها

فهي مملوءة من الاشياء ذات القدمية الوافرة وقد دعيت (ايليا) ومركزها
على جبل تظهر قمته من الغرب للشرق وللناحية الغربية يوجد باب الخراب
وتحت ذلك قبة داود وللشرق باب الرحمة الذي يكون غالباً مغلقاً فلا يفتح
سوى في عيد الشعانين وللشرق ايضاً يوجد باب صهيون وللناحية الشمالية
يوجد عمود الجحوراب واذا ذهب المرء من الخراب يسير برهة يسيرة فيصل
اذ ذاك لكنيسة القيامة

ولشرقي هذه الكنيسة اذا نزل المرء قليلاً يصل الى الخلل الذي قبض به
على السيد المسيح والى الخلل الذي صلب به ومن يتوجه من الكنيسة الخصوصية
شرقاً يصادف ذلك البناء المشهور الذي اقامه سليمان بن داود عليه السلام
المعروف بالجامع الاقصى عند الاسلام

وبنيامين احد الكتاب المشهورين قال ان للقدس الشريف اربعة ابواب
وهي باب داود عليه السلام وباب صهيون وباب ابراهيم عليه السلام وباب

يوشافاط ولا شك ان هذه التسييات كانت أكثر استعمالاً في زمن اليهود
واما السور الذي يحيط بالمدينة فبناه السلطان سليمان وذلك سنة الف
وخمسمائة وثلاثاً وأربعين فيبلغ طوله مسافة أربعين قدماً وعرضه ثلاثة اقدم
وعلوه بلغ مائة وعشرين قدماً وله أربعة ابواب على الجهات الأربع ففي الحائط
الشالي يوجد بابان فللناحية الغربية باب الشام او باب العمود وهو يودي
للباس والناصره وعكاو باب هيرودس او افرايم وهو المدعو باب الرحمة
والشرق ايضاً يوجد بابان الاول باب القديس اثناسيوس حيثما دعي
القديس المذكور غير ان الشعب يدعوه باب ستي مريم وسبب ذلك حيث انه
يوصل السائر لتبر سيدتنا مريم ومنه يذهب الى مدينة اريحا وذلك عن
طريق جبل الزيتون ونحو الجنوب يوجد الباب المذهب ثم قليلاً يوجد باب
المغاربة وهو شهير وطريق توصل الساحل لبركة سالوان وللغرب يوجد باب
صهيون ويدعى عند اهل المدينة باب النبي داود وخارج هذا الباب على قمة
صهيون توجد كنيسة ارمنية وليس بعيداً عن ذلك جامع مبني حسبما قيل على قبر
داود وللغرب ايضاً توجد عمارة كانت مختصة قديماً للفرنسيين اذ كانت كدير
لهم والآن هي مستشفى وفيها قاعتان قيل ان بالاولى منها عيد السيد المسيح
الفصح وباخرى حل الروح القدس على التلاميذ وعلى صهيون توجد ايضاً
المقابر المختصة بالامة المسيحية وللغرب لا يوجد سوى باب بيت لحم الذي يوصل
لبيت لحم ولحبرون وعلى اليمين توجد الطريق الموصلة ليافا والشعب يدعوها
باب الخليل وسبب ذلك حيث انها تودي الى حبرون المدعوة مدينة الخليل
وبالقرب من هذا الباب توجد عمارة شهيرة ومنها برج داود وكانت قائمة منذ
زمن الصليبيين

وان كثيراً من السياح قد قاسوا مساحة السور وحصروا عدد الخطوات
ومن جملتهم السامح (مانده ره لا) الذي خروجه كان من باب بيت لحم. قال
من باب بيت لحم للزاوية الموجودة والقائمة في الشمال الشرقي من السور. ٤٠

قدم ومن هناك باب العمود ٦٨٠ ومن باب العمود لباب الزهرة ٢٨٠
ومن الباب المذكور لقبر ارميا ١٥٠ ومن قبر ارميا للزاوية الموجودة في الشمال
الشرقي ٢٢٥ ومن الزاوية المذكورة لباب القديس اثناسيوس اوستي مريم ٢٨٥
ومن باب ستي مريم الباب المذهب ٢٤٠ ومن الباب المذهب للزاوية الموجودة
في جنوب شرقي (موريا) ٢٨٠ ومن الزاوية المزبورة لباب المغاربة ٤٧٠
ومن لباب صهيون ٦٠٥ ومن باب صهيون لزاوية الجنوب الغربي ٢١٥
ومن لباب بيت لحم ٥٠٠ المجموع ٤٦٣ قدم فن ذلك جميعه يعلم المطالع اقسام
المدينة باسرها واذ ذاك نرى ان المدينة يهيتها كطارق التي ناحيتها الاكثر
طولا هما الشمالية والشرقية واذا فرغنا من ذلك نتكلم عن ازمة اورشليم فنقول

- (١) اشهر الصوامع سوق باب العمود فانها ممتدة من الشمال للشرق
 - (٢) السوق الكبيرة وهي ممتدة من الغرب الى الشرق
 - (٣) سوق الالام تبتدي بباب مريم وتنتهي ببلاطس وتنتهي بالبحجلة
- ثم انه يوجد غير هذه الازقة الثلاثة الواسعة والمشهورة سبعة اخرى

- (١) سوق المسلمين
- (٢) سوق النصارى تبتدي بالقبر المقدس وتنتهي عند دير اللاتين
- (٣) سوق اليهود وفي مركز الانصايين
- (٤) سوق باب هوتا قرب الهيكل
- (٥) سوق الزهرة وهي ليست بجيدة
- (٦) سوق المغاربة

وازمة هذه المواضع هي ضيقة وغير متساوية وايسر مباطة سوى قسم جزئي
منها. اما بيوت اورشليم فهي غير مرتفعة ولا ينظر شبابيك سوى في قسمها العالي
واذ ذاك علينا ان نذكر قليلاً اشهر اهل ابنة هذه المدينة فنقول. اولاً نحن
الناحية الكائنة شمال غربي البلد كنيسة السيد المسيح وهي كنيسة شهيرة حُرقت في سنة
الف وثمانماية وثمانية في الليلة الحادية عشر من شهر تشرين الاول غير انها

تعمرت فيما بعد . ثانيًا دير (سان سالفادور) ما بين باب العمود وباب بيت لحم . ثالثًا دير الروم قرب القبر المقدس . رابعًا كنيسة الارمن لدى ابتداء جبل صهيون خامسًا جامع عمرو وهو مشهور عند كل مطالع التواريخ

واما محل الحجلة فمركزة الى شمالي صهيون وبقرية كان يوجد حسب ما جاء في انجيل يوحنا القبر الذي وضع به السيد المسيح فالحجلة مع القبر كانا خارج البلد مع اني نرى الان انها صاروا ضمنها وذلك امر غير مدهش ولكن نرى ان الخوض ببحر الفكر بما خص موقع بعض الاماكن في اورشليم سبب التوهم في عدم صحتها ولذلك نرى ان اشهر العلماء والسياح قال انه امر غير ممكن ان الحجلة والقبر المقدس حقيقه وجدا في الاماكن التي قيل ويقال عنها الان انها وجدت بها ومن يدقق النظر في هذه الاحوال يظفر له جليا ان المؤرخين على غير اتفاق من هذا القبيل فنرى ان بعضهم يقولون انه هذا هو محل القبر المقدس واخرون يشكرون ذلك ويسندون اقوالهم ببراهين قوية

والان نتكلم عن نواحي اورشليم وجوارها فالاول جبل الزيتون الموجود شرقي اورشليم وهو منحد بطول وادي يهوشافاط وله قمم اولها القمة الشمالية وهي الاكثر ارتفاعا وبه تنظر خرابات وعلى قمة المتوسط توجد كنيسة الصعود وقد بنت الامبراطورة هيلانة في المحل ذاته كنيسة وذلك حيث حسب ما جاءت النصوص انه من هناك صار صعود السيد المسيح الى السماء وبالكنيسته يوجد اثر خطوته ولم يزل الى الان وللناحية الشرقية من هذا المنظر اثار مخزنة والغربية الجبل المدعو جبل الشك وبالحقيقة انه قسم من جبل الزيتون واما من علو جبل الزيتون فينظر المرء منظرا محزنا وبهجا معا وذلك لدى مشاهدته سهل اريحا الذي يجاوره ترى مياه الاردن جارية به فكم وكم من الناس المفرط بلم بكل من يشاهد منظرا كهذا اذ يرى بلادا امتطت اوج النجاج قد اصبحت قاعا صفتا وذلك لاشك امره موجب الناسف المفرط ومياه الاردن التي تلاعب هناك تضرب بالبحر الميت او بحيرة لوط وللغرب

نظرا المدينة ثم بعيدا عن ذلك بنظر المتأمل مياه بحر الروم
وعلى اسفل الجبل لناحية البلدة الشمالية توجد جنيحة الزيتون المسماة بالانجيل
(جشماني) فيذهبون اليها من المدينة اذا خرج القاصد ومرياب القبر
المقدس وقطع على جسر قدرون وهي مخصصة الان بالابا الانيين ومساحتها
ماية وستون قدما مربعا وفيها ثمان زيتونات ذات اعتدال وافر حتى ظن
قوم انها منذ الزمن القديم لشمال الجنيحة كنيسة تحت الارض يوجد فيها قبر يقال
انه قبر مريم يتزاون اليه سبع واربعين درجة من الرخام وبوسط السلم يوجد
على ناحية قبر بواكيم وحنه وعلى الاخر قبر حضرة يوسف . واما وادي يوشافاط
فيمتد من جشماني حتى قرية سلوان التي موقعها الى جنوب غربي جبل الزيتون
وهناك توجد قبور اليهود ودها ك ما جاء موضحا به من هذا القبيل (شانوبريان)
احد السياح المشهورين ان قبور اليهود تشبه محلا متساعا لآوا بالدمار والاثار وفيها
بين هذه الخرابات توجد ثلاثة قبور وهي قبر زكاو يوشافاط وايبالون وعين مريم
هي تجاه قرية سلوان وبركة سلوان هي بين (صهيون) (والموريا) حيثما يتصل
وادي يوشافاط بوادي (هينوم) وهي تندفق من صخر وحسبا يظهر انها هذه
هي العين الوحيدة ذات الماء العذب الموجود في جوار اورشليم وهي مفسومة
لقسدين وفي كل وقت كان الاهلون كما علموا ان اعداءهم مزعمون ان يحاصروا ويدبنتهم
يحاولون ماء بركة سلوان ويسدون النبع بحيث ان الماء كانت تاتيهم على
قدر احتياجهم فقط الامر الذي كانوا يخلصون به من خطر العطش ويقعون
عدوهم به

ولشرقي صهيون بعيدا عن وادي (هنوم) يوجد حفل الدم الذي اشتراه
اليهود ثلاثين من انفضة ويا وادي لناحية الغربية من مدينة جيحون توجد حفرة
مسماة بالاسم ذاته وهي بركة غير انها ناشفة ولا بركة متجاورة في تلك النواحي
الامر الذي يدعنا ان نظن انها صنعت لتعوي داخلها ماء مطر تلك النواحي
وتلك البحار

ومن هناك لشمال البلدة على مسير يسير قبل الوصول لباب العمود
توجد منارة التي بها حسب ما بيان من مطالعة التاريخ الف (ارميا) كنية
وهو داخلها. وبلغ طولها ثلثين قدماً وعنهما اربعين وستفها رآكز على عمودين
او ثلاثة وليس من الواجب ان يتنكر المطالع ان هذه هي قبر ارميا فان ضريح
المرقوم هو يهجرة. مركزها هناك وانما الناحية الشرقية وعلى مرمى ثلاث اواربع
طلقات بارود من المنارة المذكورة يوجد اشهر واحسن الابنية الموجودة في
ذلك الجوار وهو قبور الملوك والشمال توجد قبور النضاة

واما بيت عنيا وقد ذكرت في الكتاب المقدس فكان مركزها شرقي جبل
الزيتون وطريقها هي الطريق التي توصل لاريجا التي سبق الشرح عنها وان
السيد المسيح جلب ابيت عنيا ذلك الاثنان الذي دخل به اورشليم وحسب ما
برهن من تاخر من السياح ان لارسم لدمارها الان

وبيت عنيا مركزها على مسافة ثلاثة ارباع فرسخ من اورشليم وقطن
بها لعازر مع شفيته مريم ومرثا مدق والسيد المسيح كن يطاري اكثر الالام في مدة
وجوده على الارض في هذه القرية وبيت عنيا الان قرية خفية جداً وما
من شيء يذكر بها سوى اثار مسكن لعازر وقبره واذا نظرنا لجنوب شرقي القدس
نرى مدينة بيت لحم التي هي من اشهر واقدم اماكن العالم ووادي روفائيل
فاصلة بينها وبين اورشليم التي تبعد عنها نحو فرسخين ومركز بيت لحم على
تل عال كاشف ما جاورها من الاماكن وهي شهيرة بالهدد القديم لكونها مولد
داود وبالهدد الجديد لكونها مولد السيد المسيح قال بعضهم انها بعيدة فرسخين
عن بيت المقدس بها كنيسة لم يزل معلماً بها جنح نخل زعم بعضهم ان من ثمر
اكلت مريم عليها السلام في بيت لحم يوجد نحو مائة بيت وبعض عيال من المسيحيين
مع قليل من الاسلام ولا يهود بها و (فولناي) وجد فيها في زمن سياحتهم ما
بقارب (٦٠٠) محارب فن هذه الجنود يوجد مائة من اللاتينيين واهل بيت
لحم يصطنعون المسائح وينصبون على حرثة الارض وزراعتها وشرقي بيت لحم

على مسافة مائة خطوة يوجد دير اللاتينيين المتصل بكنيسة شهيرة قبل ان
 الامبراطورة هيلانة هي التي بنت هذه الكنيسة في محل ولادة السيد المسيح
 وقال احد الجغرافيين انها واسعة متينة قل ما يقدر السائح ان يجد لها نظيراً ثم
 يوجد على مسافة خمس دقائق من هذه الكنيسة المحل الذي يوضع الاطفال
 الذين امره يروودس بقتلهم وذلك كما جاء في الكتاب المقدس وبالقرب منه
 المنارة التي سكن بها القديس (جه روم) وكذلك ضريحه ثم قبر القديس
 نولس والمشرق من هذه الكنيسة يوجد دير الروم وبالقرب منه دير الارمن
 وعلى مسافة نصف فرسخ من بيت لحم يوجد ضريح راحيل امرأة يعقوب
 عليه السلام ولشرفي بيت لحم يوجد طريق يسار بها نحو فرسخ ومنها يتصل
 السائر الى عين ماء تدعى راس العين ومياهاها ليست غزيرة كالسابق وعلى مسافة
 مائة واربعين خطوة يوجد محل به اجتمع قديماً ثلاث عيون ماء ولجنوب شرقي
 بيت لحم على بعد ستة الاف ميل روماني كانت موجودة مدينة رومية تدعى
 تكواوي وطن عاموس ولكن مرور الزمان لم يبق لها رسماً ولا اثرًا

حدود اورشليم ومركزها القديم

هي في ٢١ ٤٧ درجة من العرض الشمالي و ٢٢ من الطول الشرقي ومركزها
 على اعلى قمة جبل يهوذا على حدود اراضي بنيامين ويهوذا والجبل المجاور
 اورشليم اذا نزل السائح من الشمال يرى انه محاط شرقاً وغرباً بوديان تتبعها
 جبال مرتفعة بحيث لا يقدر الناظر ان يشاهدها على بعدها واشهر هذه الاكام
 ثلاث اولاً جبل صهيون ومركزه للجنوب الغربي منها هو واسع ومرتفع ثم الاكستان
 الثمان ثابته وما جرى عليها من الحوادث اجبر من كان بها على تحصينها بالاسوار
 وهي ثلاثة وابوابها ذكرت وازقتها كذلك

ولما افتتح البابا يونس هذه المدينة امست اجمل بناياتها واشهرها قرية

مختصر من تملك عليها

ان الكتاب المقدس لم يخبر في اي زمن وجدت هذه المدينة ولم يقدر على ذلك اشهر مورخي الا عصر وكاهنهم على اتفاق ان هذه البلدة اول ما وجدت بخل مدينة سالم اذ كان اذ ذاك ماشي صادق ملكا وفي زمن يشوع قام ادونيه صادق ملكا عليها ونوفي اذ وقع بين يدي العبرانيين فاستلموها وغلب الانشفاق العبراني بقيت عاصمة يهوذا وكان داود جعلها اذ ذاك مركزه وفي السنة الخامسة من حكم رحبعام افتتحها سه ذاكبوس ملك مصر وبنون يوراييم عصابة من العرب والفاسطينيين غزوها واسروا الملك مع اولاده وفي زمن اماسيوس نهبت المدينة وذبح سكانها بامر الملك (يواسيوس) ملك اسرائيل وعند ذلك حاصرها الاشوريون ولكن بدون نفع وبعد سنة ١٢٠ حاصرها الكلدانيون بحكم وامر بنت نصر وهدموها على اخرها وبقيت حتى امر كاسيوس ملك الفرس بتدميرها ولدى سقوط ملك الفرس سلمت اورشليم بدون حصار الى الاسكندر وبعد وفاة الاسكندر افتتح اورشليم بطولر ماوس ملك مصر سنة ١٧٠ ق م ذبح اهلها انطاوخوس ابيفانيوس ملك سورية وعمق الهيكل مذ وضع فيه تمثال (جوبيتر) وغلب ان ارتاحت قليلا من مشقات المعامع دخل اليها سنة ٦٢ ق م منتصرا بومبايوس القائد الروماني المشهور ثم غزا الهيكل بعد برهة يسيرة كراسيوس

وكان هيرودس قد زين المدينة بعمارات جميلة غير ان تمرد وعصيان اليهود سبب حدوث حرب فافتتح اذ ذاك تيطوس الروماني هذه المدينة وكان ذلك سنة ٧١ ب م فصارت اليهودية باسرها اذ ذاك اقلها رومانيا وهدمت اورشليم بنامها وكان الامبراطور تيطوس قد اعاف بعض بروج وبيوت من الدمار فاباد رسمها الامبراطور ادرينانوس فيما بعد لسبب عصيان اليهود والامبراطور المذكور رغب ان يبد اسم هذه المدينة ولذلك اقام في موقعها

بانت اخري جديدة ودعا كاثوليكينا وحرم على اليهود ان يدخلوها تخريباً قطعياً
ولكن منذ صار صعود القباصرة المسيحيين على عرش التتلك ابتدأت ان تجدد
بعض البنية الدينية في اورشليم مع بعض عمارات

غير ان كسرى في سنة ٦١٥ افتتح هذه المدينة وغلب ارمه يسيرة استرجعها
الابراطور هراكليوس الروماني وكن ذلك سنة ٦٢٧ فلم ثابت زمناً طويلاً
حتى افتتحها حضرة الفاتح المشهور عمر الخليفة ثم تداولتها ملوك الفرس والفاطمين
والمصريين والسلاجقة

وفي سنة ١٠٩٩ اخذها الصليبيون وكانوا تحت راية (غرندا فودا) وفي
سنة ١١٨٧ افتتح اورشليم الملك صلاح الدين الايوبي وفي سنة ١٢٢٩ وهبها
الملك مالك كامل الى فريدريكوس الثاني ولكن سنة ١٢٤٤ استرجعها
المسلمون وشيئت تحت سلطنة ملوك مصر وسورية حتى افتتحها في سنة ١٥١٧
السلطان سليم الاول واما ابراهيم باشا فقد اخذها سنة ١٨٣٢ غير انها رجعت
ولم تنزل تحت سلطنة مارك نبي عثمان

هذا واننا نرى مدينة بيت المقدس اي القدس الشريف وان تكن قد انحطت
عن سامي قدرها نظراً للامنية والاشية التجارية فلم تنزل بدرجة اولى من الاعتبار
الديني والسياسي فانه قبل الفصح اي بزمن الصوم يتقدم ان يتوارد اليها السياح
من كل صنف وناد فكثيراً ما نشاهد ابناء وافدين من البلاد الروسية واخرين
من فرنسا وغيرهم من امركا واكثر افاصدين فقط مشاهدة هذه المدينة التي
يلتقي بها ولها كل مدح واكرام وكانت تابعة لوالي الولاية السورية لكنهما
انفصلت عنها حينما سمي متصرفاً على صاحب السعادة نظيف باشا وذلك سنة
١٨٧٣ فكان يخطب راساً الباب العالي بامور الاحكام وبعد ان وقع النزاع
المضاد بين الاثنين والروم صار نصيبه بامر الباب العالي والتما جرائر البحر الابيض
وسي عوضاً عنه سه ادتلو كامل باشا متصرف بيروت الانسقي ولم ينزل بها يدس
الامور على احسن اسلوب الى او اخر سنة ١٨٧٤ اذ صدر الامر بفصله وتعيين

عطوفتناو علي بك الذي كان متصرفا لندرجا ليا
هذا ومن اراد ان يعرف عن هذه المدينة باكثر تدقيق عن مآوكها وحكامها
واكثر ما جرى فيها من الوقائع وحالاتها المحاضرة فعليه بمطالعة كتاب تاريخ
القدس الشريف الذي طبع هذه السنة في مطبعة المعارف

يافا

هي في طول شرقي ٢٤ ٥٢ وعرض شمالي ٢٢ ٢٢ تبعد عن اورشليم نحو
اربعين ميلا ولا شك ان كل من زار تلك النواحي يتبرهن لجمال هذه البلدة
وعظم زهرتها فان فيها ابارا وبساتين كثيرة وابنية على جانب من الاتقان والكمال
وتجارتها منتنة في محاصل جميع البلدان واما اليونان فيدعونها (جوبه) ومركزها
على ساحل بحر الروم تبعد مسافة خمسة عشر فرسخا عن شمالي غربي اورشليم
وذلك كما جاء بتاريخ فلسطين وهذه البلدة هي من اشهر بلدان اسيا ومن جملة
نبت تواريخ يظهر انها كانت موجودة قبل الطوفان وحسب تواريخ اليونانيين
انه بالقرب منها على صخر (اندروماروس) وبلينوس احد المؤرخين
المشهورين قال ان في زمنه كان لم يزل على الصخر اثر السلاسل التي قيد بها
(اندروماروس) وبالزمن القديم كانت يافا المثل الوحيد الذي كان الاسرائيليون
بواسطة يمدون علاقاتهم مع سكان البحر الاسود وبواسطة ساحل يافا
وهل ارز لبنان مع كل ما كان لازما لبنا هيكل سليمان المشهور

فمنها سافر النبي يونان الى نرسيس مع اننا نرى ان لاهية لها في كل
الكتب الدينية وقد افنتها الاميران المكابيان يونانان وسمعات رغما عن
ارادة وقوة السوريين وقد افنت هذه المدينة بواسطة مهاجمات عديدة
(كاسينوس) فاحرقها وامر عسكره بابادتها سكانها فاهلكوا ما ينيف عن ثمانية
الاف نسمة وغب ذلك ببرهة يسيرة اقام اليهود اسوار هذه البلدة وظهر اصوص
اخيرا من نواحي يافا سببوا انشقاقات ومخاضات حمة الامر الذي هيج الرومان

تامةً ولذلك قدم الامبراطور فيليبسيانوس واباد اثر هذه المدينة ولم يبق منها
رسما وبني في محلها قلعة وضع فيها حرسا رومانيا وكانت ذات اهمية بالنظر الى
المسيحيين وبدوين الاول حصنها واسترجعها صلاح الدين سنة ١١٨٨ ومنذ
ذاك الاوان كانت تقاسي وتكرر مركز امها سورية في كل ما كان يجري عليها وفي
اواخر القرن السادس عشر لما زار (كوتويك) سورية قال ان يافا لم تكن
اذ ذاك سوى بقعة دمار وغمره سنة ١٦٤٧ ما وجد فيها سوى عمارة وثلاث
مغارات واذ ذاك اقول ان يافا المحاصرة ليست في حيز الوجود سوى منذ
مائة وخمسين عاما

واشتهرت مؤخرا بسبب محاربة نابليون الاول اياها واذ ذاك ذهب فرسان ارماس
الغضب ما ينيف عن ٤٠٠٠ اسير من اعداء هذا البطل واما استلام الفرنسيين
يافا فكان في ٦ اذار سنة ١٧٩٩ وغلب ذهاب الفرنسيين بنو عمارة على
الناحية الجنوبية من البلدة قبل ان الانكيز امروا بذلك وهو غير معلوم
وحسب شاتوبريان ان هذه المدينة تظهر للناظر انها مكونة من اكبة بيوت
مكدسة ومرتبعة كما فينياتر على بقعة مرتفعة ومن ناحية البحر يحيط بها سور
تكااد ناحيتها ان تلتصقا بالبحر المذكور ويافا تحتوي على محل للسياح
وفيها من السكان خمسة الاف نفس وهي الان مزهرة بالرياض ومزدهرة
بالغياض فيها من انواع الفاكهة البردقانات المشهور واذ هي اسكلة القدس
الشريف ترى بها يوميا عددا وافرا من السياح وذلك بسبب شديد
الغارات بها يوما بعد يوم وبالقرب منها محل به اشهر انواع البطيخ والذرة وفيها
الليمون والرمان والبن والتفاح والخوخ والتخل وغير ذلك ولكن ميناها غير
امينة للسفن ولذلك ترسي بعيدا عنها كل المراكب البحرية التي تأتي اليها

لد

للشالي الشرقي من رملة على نحو ساعة وشرقي يافا على مسافة ثلاثة فراسخ

توجد هذه البلدة المدعوة لد وحسب أشهر مؤلفات من تأخر من المؤرخين
ان الذي بنى هذه البلدة بعض نسل بنيامين وذكر في بعض مواضع عن
الكتب الدينية ويبدو انهم كانت مختصة باقليم السامرة وذلك لان
(ديونيسيوس موير) رغب فصلها عن سورية فكان كبر غربي ووجهها مع بلدتين
اخرين يونانان النكالي

ورغب ان هدمها سسنيوس فجدد بناؤه واذاك دعيت (ديوسبوليس) أرض
الجبل الرابع صار لها اسقف تحت امر بطريرك اورشليم وتدعى الاسقفية هناك
اسقفية مار جرجس الزعم ان القديس المذكور استشهد هناك وفي هذه البلدة
كانت موجودة كنيسة على اسم المذكور . قال كليموس ملك صور ان بانها
الامبراطور يوستينيانوس واحد الساج المدعى (افسوكس) وجد دمار هذه
الكنيسة قال كثير شمرًا به ذكر لد

جوا منزل الاحلال من مرج راهط ورمانه لد اذ تباح سهرها
اما الان فبالمل الذي كانت فيه هذه البلدة توجد قرية حاضرة لم يزل
بها بعض ابنية لا يمتد بها وكل من نظرها لم يفسد معرضا عما حاق بها من
التاخر الوافي والمد كانت بلدة مشهورة جدًا اشتهرت بالحروب بين الافرنج
والمسلمين وفي تلك النواحي حول الرملة وباقا والد قري وضباع كثيرة

الرملة

ان الرملة بسهل خصب شهر عند كل زائري تلك الارض ومركزها الى جنوب
شرقي مدينة يافا التي سبق الكلام عليها وهي على مسافة نصف فرسخ من اللد وحسب
ما قال ابو الفدا ان الرملة بنيت في سنة ٧١٦ وبانيها هو الخليفة سليمان بن عبد
الملك (وده لد) يقول ان من طالع يعرف ان ابا الفدا من اشهر المؤرخين
نظرًا لما يعمده العالم به من وافر التدقيق وظن كثيرون انها هي (ارماتيا) التي
يقول عنها القديس (جه روم) انها بالقرب من لد

وما صالح (فرنسي) العالم المشهور في مصر وسورية شاهد الرملة كما اليد خراباً
 ونوعه عن ذلك في كتب سياحته وقد استولى عليها الأفرنج سنين عديدة ثم أخذها
 منهم السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٦٢ هـ شجرة ذكره ياقوت في المشرك
 وكانت الرملة ذات أهمية على وجع ما وذلك بسبب منبرها بالحبرون والصابون
 وما أخذها الأفرنج بقيت بيدهم حتى سنة ١٢٦٦ مسمية فنتاب عليها السلطان
 بيبرس في ذلك الوقت استفتح مدينة يافا وتأس ذلك على جامع قديم بقرب
 الرملة وقد ولد في هذه المدينة الشيخ خير الدين الرومي صاحب الفتاوي التي
 اشتهرت عند النعماء وكانت دار ولاية الأمراء بني طنج الذين يتول فيهم ابن
 الطبيب المتنبئ

أرى دون ما بين الفرات وبرقة خراباً يمشي الخيل فوق الجحجم
 وطعن غضاريف كانت أكتفهم عرض الردييات قبل المعاصم
 حتمه عن الأعداء من كل جانب سيف بني طنج بن جف الذفر
 هم المحسنون الذكر في حرمة الوغى واحسن منه كرم في النكارم
 هذا وكل مطالع أديب يتأسف إذ يرى بلدة كهذه قد انحطت عما كانت
 عابرة قبلاً وصارت ذابحة في أسباب التآخر والموان وبالالاخص لدى النانو
 النظر على ما يجاورها من البلدان المتجاورة فانظر وتجب متاملاً من التقلب
 بكل بلدة

حبرون

ان حبرون مركزها الجنوبي بيت لحم وعلى مسافة خمسة فراسخ عنها والجنوبي
 اورشليم وعلى مسافة يوم منها وتدعى الان الخليل وهي قديمة وهناك سكن ابراهيم
 الخليل واسحق ويعتوب عليهم السلام ودفنوا مع بعض نسايتهم وفي زون بني
 اسرائيل كانت احدى مدن اللاويين وحسب ما جاء في سفر العدد ٢٢ عدد ١٢
 يضح انهما من اقدم مدن الكهانيين واما اصل اسمها فانه قرية اربع وابراهيم

قطن جوار حبرون حيثما اشترى تلك المغارة التي دفنت سارة بها وهي في سهل يهودا وبالمغارة نفسها قبر هو والسحى ورفقة امراته ويعقوب وابنة وبها قتل العبرانيون (هوهام) ملك حبرون وكانت ذلك في زمن يشوع وحسب وعد موسى اعطيت البلدة أولاً لكالب ثم اخذها اللاوييون وكانت من مدنها المشهورة وكانت مركز داود حتى اوان افتتاح قلعة او حصن صهيون ومن طالع جيداً كتب التاريخ ينضح له ان اليهود بعد سبي بابل سكنوا هذه المدينة ايضاً الامر الذي سبب اعتبار هذه الملة طريين ان الادوميين اخذوها من اليهود ايضاً حيث ذكر ان يهوذا المكابي طردهم منها وقد استولى عليها اليونان فاسترجعها منهم سمعان غيران (سه داليس) غلب مهاجمات وافرة اخذها منهم وقتل حرس اليهود الذي كان مقيماً بها واذ ذاك امر باحراقها فحرقت باسرها وفي زمن الصليبيين كانت مركز اسقف وكانت تتكرم اكراماً لذلك الشهير الذي قطنها وهو ابراهيم اب الالباء وذكر بنيامين ان كنيسة ابراهيم عليه السلام التي كانت في هذه البلدة صارت في زمن الاسلام كنيسة لليهود مع ان ذلك غير مثبت

ومسجد الخليل الموجود هناك الان اقام عرض الكنيس الذي سبق الكلام عنه والمسلمون يسمون البلدة نفسها الخليل وذلك اعتباراً بان من كان ساكناً فيها هو ابراهيم خليل الله والان في حبرون او الخليل ما ينيف عن اربع مائة بيت واكثر ساكنها مسلمون وفيها من اليهود عدد يسير

ولاشك ان كل مطالع يرغب ان يطلع على ما قال الشهير فولاني اذ قال ان حبرون مرتكزة على اكمة ذات بقعة غير متساوية وما جاورها من المدن والضباع كان غنياً لو اجتهد الشعب بالزراعة والحراثة وكان حتى زمن ذلك السامع من عادة النساء ان تغزل ما كانت تخرجه اراضيهم من الاقطان وترسله طوراً لاورشليم وطوراً لغزة وعندهم مصابن ومحل كانوا يصنعون فيه نوعاً من الزجاج

وفي حبرون عدا عن قبر من سبق الكلام عنهم يوجد مدفون (يسا) وقائد
روماني شهير سنة ١٦٦٦ وجد فيها أحد السياح المشهورين عين ماء ينزل إليها
بأربع درجات من حبر

غزة

ان غزة هي الى جنوب غربي الكليل على مسافة يوم ونصف وموقعها في اوائل
بلاد الشام من جهة الديار المصرية ويقال لها غزة هاشم لان عمر بن عبد المناف
الفرسي المنقب بهاشم الثريد خطر اليها ناجرا فامس فيها وفي ذلك يقول مطرود
بن كعب الخراعي

وهاشم في ضريح وسط بلعة تسفى الرياح عليه بين غزات
قال بن حوقل بها قبر هاشم بن عبد مناف وبها واد الامام الشافعي وغيرها
أسرو وحضرة عمر بن الخطاب في الجاهلية لانها كانت مستطرقا لاهل الحجاز وهي
مركبة من ثلاث قرايا وهذه المدينة التي اشتهرت في سالف الزمن ليست الان
سوى بقعة دمار حلت من البقايا والرسوم القديمة وسرايتها مخروبة كسراية الرملة
التي سبق الكلام عنها غير ان سراية غزة افضل فان من اسوارها يشاهد الناظر
البحر الذي بات منفصلاً عنها بلحف آكته على مسافة نصف فرسخ والبرية التي
منظرها النفر يذكر المنازل لابل يشخص امامه ارض مصر وايس بر الشام فان
المناخ والنبات والارض والحرارة نجبر الانسان على الظن بانها من اراضي مصر
ولاشك بذلك حتى ان رسم الاهالي ووجوههم واطباعهم يبرهن انهم مصريون
وايسوا بمصريين

واذ بات موقع غزة بين مصر وسورية اصبحت هذه البلدة مركزا لعلاقات
مكان هذين الاقايين فاشتهرت ولو كان من داب اهلها السرعة والنشاط
والاقدام بالاشغال لكانوا اوصلوا بلادهم الى ذرى المعارف والمجد وهي ذات
رياض مزهرة على ساحل البحر وبها قبايل نخول وكروم خصبة وبها قلعة شهيرة

وما ينظر فيها المتأمل من البلاط الأبيض يبرهن أنه عن قدمية وأهمية هذه المدينة في سالف الأعصار وترباها مخصب جدًا فإن أراضيتها التي تسمى بماء دون زراعة البنة ثاني بتملك الآثار المختلفة من الرمان والبردقان والشمر اللذين والبصل الجيد ولذلك يكثر المشاهد عندما يرى أن هذه البلدة قد انتطت عن سابي قدرها كالأغلب المدن السورية ورغبًا عن شهرة اسمها أما سكانها فبالكاد يبلغون ألفي نفس ومنجرهم قام بسالف الزمن ببضاعة الانطمان وبعمال الصابون وتبلاً كان عديم ألفي المشهور لتكرخن الصابون والنبال التي كانوا ياتون بالنبات المجاور وبحرقونه فمن رماده كانوا يحصلون على (السود) وهو الفلي

وأما عسقلان فمركزها إلى شمال هذه البلدة وفيها كثير من الآثار الندية وكذلك باتت تذكر كل من ساح في تلك النواحي بأهميتها الساقفة وأما العريش فحسبها توضع من كلام المؤرخين المتأخرين أنها من أعمال فلسطين ومنهم من يبرهن أنها من مصر ومركزها على ساحل البحر لجنوب غربي غزة وأخر ما ذكر مؤلف تاريخ فلسطين مدينة (رافيا) فقال أنها آخر مدينة من أعمال سورية مع أنها أوشكت أن تقع في حيز الدمار وهي من أعمال مصر والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً

قال مؤلفه الياس بن ديب مطر هذا ما قدرت أن أجمعه من مقتضيات الفن من فضلات أدبا وأكارم الأعصر الغابرة وأنا أرجو من كل من اطلع على هفواته أن يسبل ستر العفو والمغفرة على أن الإنسان موضوع الخطأ والنسيان وأناي مقر بأنني لست من فرسان هذا الميدان وما بلغت من السن هو أعظم برهان وأن العصمة والكمال لله وحده

ولما اطلع على هذا الكتاب جناب الشهم الفاضل والشاب
الاديب الكامل علي سداد بك نجل صاحب الدولة والنفخامة
جودت باشا وزير المعارف شرفه بالتقریض الاتي باللغة التركية

دختر پاکیزه معارف بروقت دیبای زیبای زبان عربی به پور بنوب
الثبت ابتدی صکره اناردن بوز چو بروب دست نازیني اغیاره اوز ابتدی لکن
انک خیال الفت و محبتی عربارک قابلرنده برلشش ایدو کندن انار حال اول
دختر پاکیزه اختری اونوقدمبار و تکرار انک نکاه جانقزاسنه نائل اوانی انچون
هردرلو فدا کارلقدن کیر و طور مدیار نه چاره که فلک خیالی وقت انلرک
ارزوسنه مساعد اولدی و میوه امیداری هنوز کمال بولادی فقط بو یقینده نسیم
سعی و غیرت بارانی قزک زلفنی بریشان و نیجه مدت بصر بصیرت لرندن نهان
اولان روی روح افزاسنی نمایان ابتدی بنه اسکی الفتارینه توجهنی جانب
انچون اکابرک بز اخلاص اوله جتی کتابلر ترجمه و تالیفنه باشلانادی و کندوسنه
خجته کاه الفت اوله جتی مکتبلر کشاد اولندی حتی شبان عصر دن الیاس افندی
مطار کردن دختر معارفنه عهود الدریه بی تعلیمی ایدیو بردی یعنی تاریخ
سوریه بی تالیف ایله طبع ابتدی بردی هنوز مدت تحصیله سنی تکمیل ایدر
ابتد معارفه خدمت غرضیله کتاب تالیفیله اوغراشان برکتک نفدر تقدیر
و تحسینه شایسته اولدیغنی تعریفه حاجت کوره مم کتاب مذکورک تاریخچه اولان
قواندن بشقه لسان عربی تحصیله خواهشکر بولناناره منافع کثیره سی
قابل انکار دکادر خلاصه کلام کتاب مذکور رغبت عمومی به دیگر برادر
اولد یغنی من غیر حدی اخطار ایدرم
علي سداد

وقد ورد علينا جملة تقاريط فانتصرنا على ما ياتي منها فادرجت
حسب ورودها من ناظمها

فمنها ما تبرع به العالم الاريب والعلامة الاديب مكرم تالوا الشيخ
ابراهيم افندي الاحدب نائب محكمة بيروت المذهب

وقفت على هذا السفر الذي اسفر صبح بيانه . وتخلت الاسفار بدرراجادته
واحسانه . وابتمت ثغور ميانه . ونفوس حواجب نوناته . وقامت الفاتة في
السطور كنفود الغيد . وانعت دالانه في جامع الطروس اشتماء العبيد . فوجدته
كتابا بديع المثال يحسن عطف نسق الشكر لمنشئ بلا ابدال . اذ كان مع
وجائزة في مبانيه . ورشاقة في بيان معانيه . ابان معالم بلاد سورية . واخبار من
تولى الامر بها من البرية واني بما يعتد في السمع . وبحسن حملة على كاهل القبول
بلا وضع . فلذلك احتتمضت همة القلم لتقر يظا ومدحه فنشط لاجابتي وصدق
بعد ما صعد على صرحه

هذا الكتاب بدا رشيق مباني	حسن معانيه بلطف بيان
احبالنا القوم الذين تندملوا	واعاد عصرًا مر منذ زمان
وجلا لنا سورية باطائف	هي كالنسيم سري بروض جنان
وابان من حكمول بها وتصرفوا	بالنهر في الامصار والبلدان
من كل من يزهو السرير بعزه	وله عظيم الجاه والسلطان
للمناظرين بسو مواعظ حجة	تدع الاديب يدن بالاذعان
وبه محاسن اعربت اخبارها	بالابتداء لطائف الاحمان
سفر به يغني لدا الاسفار من	يسري ليعرف كنه كل مكان
شكرًا لاياس الذي ابدى لنا	اعرابه برقائيق الثبيان
ذاك الاديب المرتدي برد العلي	بيد الكمال فخاله من شاني

في منهج الاداب سار بهمة
وبراعة قد قام بسري في دحي
هذا الكتاب له غدا باكورة
لازال بسري للعلي ما غردت
بعلوها اضني رفيع الشان
نفس وبيض الهند في الاجفان
واني الامام بوردة البستان
ورثته فترى منابر الاغصان

ثم قال جناب العالم العلامة الفاضل والاديب الاريب

الكامل الشيخ يوسف افندي الاسير الازهري

لله تاريخٌ بدیعٌ مختصرٌ
يحسن في السمع ويجلو في النظر
فهو فريد ضيئة عند الدرر
بنضل من الله كل افر
الله الياس من بني مهار
سفر عن المعنى الجميل قد سفر
وساوة في حضر وفي سفر
لازال في خير موقي كل شر

وقال جناب الماجد المكرم والاديب المفهم صاحب الفضيلة
والسيادة السيد محيي الدين نجبل سعادة الامير عبد القادر

الحسني الجزائري

كتاب قد حكى روضاً نصيراً
جلي سورة الحسناء تحكي
فقد وجب الثنا والشكر منا
اديب في المعارف دام يستمر
بهذا الفن لم ينظر نظيراً
هرو سافد زهت وعلت سريراً
لمن في جمعه شغل الضمير
على اقرانه قهراً منيراً
جاءه الله عن ذا السعي خبراً
في فخر موطنه مجتاً

وقال جناب الاديب الاريب البارع الامير سليم شهاب

ان المعارف ابهى حلية البشر
صنع الجميل جميل المدح حق انه
ليس الفخار يجمع المال والبدن
من يحمي الحق اضني وهو في غرر

هذا الكتاب الذي كادت نواذره تربك في العين ما قد جاء في الخبر
احبار رياض احاديث الدبار ولا يدع لأن حياة الروض بالطر
لشكرتك بالباس ما صدحت ورقاه اوراقه في دوحه الفكر

وقال جناب الماجد الفاضل والاريب الكامل صاحب

النضاية حسين افندي بهم

ياحسن تاريخك سوربة تبدو فضايها ففعلوا شانا
اهداه للوطن العزيز مذهب ففان ادب قد حوى الاتقان
الياس من شاعت نتاج فكره ففدت على استعداد برهانا
وبذا الموائف قد ابان معارفنا وبراعة فاستوجب الذكرانا
والدولة الفراء قد رضيت به ففجت مكافاة عليه نشانا

ثم قال السيد الفاضل والاديب الكامل مكرماتلو الشيخ

محمد رشيد

هذا الكتاب مبين جبل مبناه رياض حسن جنبنا ورد معناه
اهدت نوافسه طيب الاربع لنا تاليفه المعالي الياس سواه
تاريخ سوربة المبدى محاسنها شكرا لها وله بالحسن ابداه

ثم قال العالم الفاضل والشهم الكامل الحاج مصطفى افندي

الانطماكي الحايي الشهير

قد طوقت عنق التاريخ والسور اداب الياس اطواقا من الدرر
وتد زهت صحف الاخبار منه لما تعطرت من شذا اوصافه الغرر
وزان بيروت دار الانس منبجيا منه صباح البديع الوازع القمر

فلمست أسري وقد جئت محاسنة
أمن برأعيه أم من تبايعني
أم من درأني أم من بارغني
فهم وحزم وأدب ومعرفة
مذ كان في الفراء معرفة
جميل الخلق ذوا ذنب
كم زمت صحت الانشاء لئلا
وارخص اللوا والمضرد منطمة
إذا عصته الذواني قال ما لها
في لوح فكري المصنول منطاع
ما جال في مغلق فكري أبدا
حي المدارس في يمدوت كم رمت
لازمت يافقي الأفران تفتنا
جليت جوهرة درية فغدت
كانت لنا خير تاريخ يترجم عن
لوم تحق لنا اخبارها لغدت
فكان تاريخك الراي البديع لها
سبكت فيه عبارات عبارتها
شمس المعاني بافتى الصحف فيؤلف
من كل لفظ رقتي تحت احرفه
أكثر نفع بني الاوطان مجتهدا
فاسلم ودم في صفا الايام متعبدا

ما تحبر في اوصافه بصرى
أم من فضلة عقل فيه منصر
أم من حدائق سن بعد في صغر
سبحان مودعها في اجل الصور
معارف ابن ثار من العصور
رض المعارف فيه بايع الشر
بالطريق في جوار الطرس كالمطرس
يا حسن منظر منه ومشر
هذا ابن سودة الانشاء بصرى
توقد الشمس بزهو في صفا القمر
الا والركن فوق على الترس
فيها بلائذ نجيب اولها فكر
بما يشاف سمع البدو والكضر
يتيم في حشوز الدهر والنصر
بلاد سورية ما صح من خبر
طبي الاحاديث فيها غير مشهر
عنوان ديباجة الاخبار والسير
لوجنة الطرس كانت وردة الخفر
دارت على محور السموات والفقر
معنى دقيق جلي غير مستقر
وانت في الرد عنهم غير متصر
ما جادت السحب بعد الياس بالاطر

وقال جناب الأستاذ

اللغة العربية في مدرسة جسر بريد

هذا المؤلف اهدي زينة الدر
انشاء الياس في كدٍ وهذبة
وشى اليراعة بالسبك الجميل وقد
عرفته قبل ان خطت انامله
وان تسربت الشمس الحمايب في
اني افتخرت به ما رابت به
قد صاغه سلك دريتم ادبجه
وهي العفود التي از دانت مراندها
قد جال في حلية الاداب وهفتي
وامسك الغيث في ابان رحله

وقال جناب الخواجه شاکر البنلونی

هذا كتاب عميد الفع مع صغير
قد جال في حلية الاداب صاحبه
ابدي الوقائع مع ذكر الأثرى سلفها
قد شنف الاذن ذكر سنة حين بدا
سقياً لصاحب فاليوم حتى له

ابدي لنا ما مضى في سالف الزمن
فاظهر اليوم ما قد كان لم يبد
وكل ما قد جرى من قبل في الوطن
فاصبح الطرف محسوداً من الاذن
مدح بصاغ اذا في السر والعلن

فهرس

وجه		وجه	
٥٩	تدمر أو بالامرا	٢	المقدمة
٦٣	دمشق الشام	٥	سورية
٧١	بعلبك	١٥	سورية القديمة
٧٨	فينيقية	١٩	السكان
٨٢	اللاذقية	٢١	سورية الجديدة
٨٥	جبلة	٢٢	جبال سورية
٨٧	طرطوس	٢٢	مناخ سورية
٨٩	جزيرة ارواد	٢٢	حيوانات سورية
٩٢	جبال النصيرية	٢٤	حواصل سورية
٩٤	بلاد عكار	٢٥	معادن سورية
٩٥	عرقا	٢٦	سكان سورية
٩٦	طرابلس	٢٧	حلب
١٠٢	بترون	٢١	قنشرين
١٠٣	جبيل	٢٢	عين ناب
١٠٦	بيروت	٢٥	انطاكية
١٠٨	القابا	٤٥	سويدية
١٢٠	صيدا	٤٦	اسكندرونه
١٢٥	صور	٥١	حماه
١٢٠	هكا	٥٥	حصص
١٢٦	جبل لبنان	٥٨	افاميا

وجه	وجه	
١٦٦	٤٩	بلاد الشقيف
١٦٧	١٥٠	فلسطين
١٦٨	١٥٢	الجبيل
١٦٩	١٥٥	بلاد الناصرة
١٧٥	١٥٨	بلاد طبرية
١٧٦	١٦٢	سولم او شولم او سالم
١٧٨	١٦٣	جنيد او جين
١٧٩	١٦٣	اسرده لون او استراده لا
١٨٠	١٦٣	السامرة او سبطية
١٨١	١٦٥	سيلمون او شيلون
١٨٢	١٦٥	نابلس

